مجموع فتاوى

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

جمع وترتيب

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

المجلد الثامن عشر

Bibliotheca Alexandrina
0024099

مجموع فتاوى

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

قدس الله روحه

جمع وترتيب المرحوم

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

بمساعدة ابنه محمد

المجلد الثامن عشر

كتاب

الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

سؤال ورد على الشيخ رحمه الله

قال السائل :

الحمد لله رب العالمين

يا متقنا علم الحديث ومن روى — سنن النبي المصطفى المختار
أصبحت فى الاسلام طوداً راسخاً — يهدى به وعددت فى الأحبار
هذى مسائل أشكلت فتصدقوا — ببيانها يا ناقلي الاخبار !
فالمستعان على الأمور بأهلها — إن أشكلت قد جاء فى الآثار
ولكم كأجر العاملين بسنته — حين سئلتموا يا أولي الأبصار

الأولى : ماحد الحديث النبوي ؟ أهو ما قاله فى عمره أو بعد البعثة أو تشريعاً ؟.

الثانية : ماحد الحديث الواحد ؟ وهل هو كالسورة أو كالآية أو كالجملة ؟ .

الثالثة : إذا صح الحديث هل يلزم ان يكون صدقا أم لا ؟ .

الرابعة : تقسيم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف تسمية صحيحة أو متداخلة ؟ .

الخامسة : ما الحديث المكرر المعاد بغير لفظه ومعناه من غير زيادة ولا نقص ؟ وهل هو كالقصص المكررة فى القرآن العظيم ؟ .

السادسة : كم فى صحيح البخاري حديث بالمكرر ؟ وكم دونه ؟ وكم في مسلم حديث به ، ودونه ؟ وعلى كم حديث اتفقا ؟ وبكم انفرد كل واحد منهما عن الآخر ؟ .

فأجاب شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله :

الحمد لله رب العالمين . الحديث النبوي هو عند الاطلاق ينصرف

إلى ماحدث به عنه بعد النبوة : من قوله وفعله وإقراره : فان سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة . فما قاله إن كان خبراً وجب تصديقه به ، وإن كان تشريعاً إيجابا أو تحريماً أو إباحة وجب اتباعه فيه ؛ فان الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل ، فلا يكون خبرهم إلا حقاً ، وهذا معنى النبوة ، وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب وأنه ينبيء الناس بالغيب ، والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه .

ولهذا كان كل رسول نبياً ، وليس كل نبي رسولا ، وإن كان قد يوصف بالارسال المقيد فى مثل قوله : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) ، وقد اتفق المسلمون على أنه لا يستقر فيما بلغه باطل ، سواء قيل : انه لم يجر على لسانه من هذا الالقاء ما ينسخه الله ، أو قيل : انه جرى ما ينسخه الله فعلى التقديرين قد نسخ الله ما ألقاه الشيطان وأحكم الله آياته والله عليم حكيم ، ولهذا كان كل ما يقوله فهو حق .

وقد روي أن عبد الله بن عمرو كان يكتب ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له بعض الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الغضب فلا تكتب كلما تسمع ! فسأل النبي صلى الله

عليه وسلم عن ذلك فقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج من بينها إلا حق — يعني شفتيه الكريمتين — » .

وقد ثبت عن أبي هريرة انه قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظ مني إلا عبد الله بن عمرو ؛ فانه كان يكتب بيده ويعي بقلبه وكنت أعي بقلبي ولا أكتب بيدي ، وكان عند آل عبد الله بن عمرو بن العاص نسخة كتبها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبهذا طعن بعض الناس في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن جده ، وقالوا : هي نسخة . — وشعيب هو : شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص — وقالوا عن جده الأدنى محمد : فهو مرسل ؛ فانه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن عنى جده الأعلى فهو منقطع ؛ فان شعيباً لم يدركه .

وأما أئمة الاسلام وجمهور العلماء فيحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده إذا صح النقل اليه ، مثل مالك بن انس وسفيان بن عيينة ونحوها ، ومثل الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، قالوا : الجد هو عبد الله ؛ فانه يجيء مسمى ومحمد أدركه ، قالوا : وإذا كانت نسخة مكتوبة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان هذا أوكد لها وأدل على صحتها ؛ ولهذا كان في نسخة عمرو بن شعيب

من الأحاديث الفقهية التى فيها مقدرات ما احتاج اليه عامة علماء الاسلام .

والمقصود : ان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أطلق دخل فيه ذكر ما قاله بعد النبوة ، وذكر ما فعله ؛ فان أفعاله التى أقر عليها حجة ، لا سيما إذا أمرنا أن نتبعها كقوله : « صلوا كما رأيتمونى أصلي » ، وقوله : « لتأخذوا عنى مناسككم » ، وكذلك ما أحله الله له فهو حلال للأمة مالم يقم دليل التخصيص ؛ ولهذا قال : (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً) ولما أحل له الموهوبة قال : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن الفعل يذكر للسائل انه يفعله ليبين للسائل أنه مباح ، وكان إذا قيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : « اني أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده » ومما يدخل في مسمى حديثه : ما كان يقرهم عليه ، مثل إقراره على المضاربة التى كانوا يعتادونها ، وإقراره لعائشة على اللعب بالبنات ، وإقراره فى الأعياد على مثل غناء الجاريتين ، ومثل لعب الحبشة بالحراب في المسجد ونحو ذلك ، وإقراره لهم على أكل الضب على مائدته ، وإن

كان قد صح عنه أنه ليس بحرام . إلى أمثال ذلك ، فهذا كله يدخل في مسمى الحديث ، وهو المقصود بعلم الحديث ؛ فانه إنما يطلب ما يستدل به على الدين ، وذلك إنما يكون بقوله أو فعله أو إقراره.

وقد يدخل فيها بعض أخباره قبل النبوة وبعض سيرته قبل النبوة ، مثل : تحنثه بغار حراء ، ومثل : حسن سيرته ؛ لأن الحال يستفاد منه ما كان عليه قبل النبوة : من كرائم الاخلاق ومحاسن الأفعال ، كقول خديجة له : كلا والله لا يخزيك الله أبداً : إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق ، ومثل المعرفة فانه كان امياً لا يكتب ولا يقرأ ، وانه لم يجمع متعلم [مثله] وإن كان معروفا بالصدق والأمانة ، وأمثال ذلك مما يستدل به على احواله التى تنفع في المعرفة بنبوته وصدقه ، فهذه الأمور ينتفع بها في دلائل النبوة كثيراً ؛ ولهذا يذكر مثل ذلك من كتب سيرته ، كما يذكر فيها نسبه وأقاربه وغير ذلك مما يعلم أحواله وهذا أيضاً قد يدخل في مسمى الحديث .

والكتب التى فيها أخباره منها كتب التفسير ، ومنها كتب السيرة والمغازي ، ومنها كتب الحديث . وكتب الحديث هي ما كان بعد النبوة أخص ، وإن كان فيها امور جرت قبل النبوة ؛ فان تلك لا تذكر لتؤخذ وتشرع فعله قبل النبوة ، بل قد أجمع المسلمون على أن الذي

فرض على عباده الايمان به والعمل هو ما جاء به بعد النبوة .

ولهذا كان عندهم من ترك الجمعة والجماعة ، وتخلى في الغيران والجبال حيث لا جمعة ولا جماعة ، وزعم أنه يقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم لكونه كان متحنثاً فى غار حراء قبل النبوة فى ترك ما شرع له من العبادات الشرعية التى أمر الله بها رسوله ، واقتدى بما كان يفعل قبل النبوة كان مخطئاً ؛ فان النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أكرمه الله بالنبوة لم يكن يفعل ما فعله قبل ذلك من التحنث فى غار حراء او نحو ذلك ، وقد أقام بمكة بعد النبوة بضع عشرة سنة ، وأتاها بعد الهجرة فى عمرة القضية ، وفي غزوة الفتح ، وفى عمرة الجعرانة ، ولم يقصد غار حراء ، وكذلك أصحابه من بعده لم يكن أحد منهم يأتى غار حراء ، ولا يتخلون عن الجمعة والجماعة فى الأماكن المنقطعة ، ولا عمل احد منهم خلوة اربعينية كما يفعله بعض المتأخرين ، بل كانوا يعبدون الله بالعبادات الشرعية التى شرعها لهم النبى صلى الله عليه وسلم ، الذي فرض الله عليهم الايمان به واتباعه ؛ مثل الصلوات الخمس وغيرها من الصلوات ، ومثل الصيام والاعتكاف فى المساجد ، ومثل أنواع الأذكار والأدعية والقراءة ومثل الجهاد .

وقول السائل : ما قاله فى عمره او بعد النبوة أو تشريعاً ، فكل ما قاله بعد النبوة واقر عليه ولم ينسخ فهو تشريع ، لكن التشريع

يتضمن الايجاب والتحريم والاباحة ، ويدخل في ذلك ما دل عليـه من المنافع فى الطب : فانه يتضمن إباحة ذلك الدواء والانتفـاع به ، فهو شرع لاباحته ، وقد يكون شرعا لاستحبابه ؛ فان الناس قد تنازعوا فى التداوي هل هو مباح أو مستحب أو واجب ؟

والتحقيق : ان منه ما هو محرم ، ومنه ما هو مكروه ، ومنه ما هو مباح ؛ ومنه ما هو مستحب ، وقد يكون منه ما هو واجب ، وهو : ما يعلم انه يحصل به بقاء النفس لا بغيره ، كما يجب أكل الميتة عنـد الضرورة ، فانه واجب عند الأئمة الأربعة وجمهور العلماء ، وقـد قال مسروق : من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النـار ، فقد يحصل أحياناً للانسان إذا استحر المرض ما إن لم يتعالج معه مات والعلاج المعتـاد تحصل معـه الحياة كالتغـذية للضعيف ، وكاستخراج الدم أحياناً .

والمقصود : أن جميع أقواله يستفاد منها شرع ، وهو صلى الله عليه وسلم لما رآهم يلقحون النخل قال لهم : « ما أرى هذا ـ يعني شيئاً ـ » ثم قال لهم : « إنمـا ظننت ظناً فلا تؤاخـذوني بالظـن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله فلن أكذب على الله » ، وقال : « أنتم أعلم بأمور دنياكم فما كان من أمر دينكم فالي » وهو لم ينههم عن التلقيح لكن هم غلطوا فى ظنهم أنه نهـاهم ، كما غلط من غلط فى ظنـه أن (الخيط الأبيض) و (الخيط الأسود) هو الحبل الأبيض والأسود .

فصــــل

وأما الحديث الواحد فيراد به ما رواه الصاحب من الكلام المتصل بعضه ببعض ولو كان جملا كثيرة ، مثل حديث توبة كعب بن مالك ، وحديث بدء الوحي ، وحديث الافك ونحو ذلك من الأحاديث الطوال ؛ فان الواحد منها يسمى حديثاً ، وما رواه الصاحب أيضاً من جملة واحدة أو جملتين أو أكثر من ذلك متصلا بعضه ببعض فانه يسمى حديثاً ، كقوله : « لا صلاة إلا بأم القرآن » « الجار أحق بسقبه » ، « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » ، وقوله : « إنما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » الى آخره ، فانه يسمى حديثاً .

وكذلك قوله : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخواناً » وقوله فى البحر : « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته » وقد أكمل من أجناس مختلفة ، لكن فى الأمر العام تكون مشتركة فى معنى عام كقوله : « لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ، ولا يبيع على بيع أخيه ، ولا يستام على سوم أخيه ، ولا

تسأل المرأة طلاق اختها لتكفأ ما فى صحفتها ولتنكح ، فان لها ما قدر لها ، فان هذا يتضمن النهي عن مزاحمة المسلم في البيع والنكاح ، وفى البيع لا يستام على سومه ، ولا يبيع على بيعه ، وإذا نهاه عن السوم فنهيه المشتري على شرائه عليه حرام بطريق الأولى ، ونهاه أن يخطب على خطبته . وهذا نهي عن إخراج امرأته من ملكه بطريق الأولى ، ونهى المرأة أن تسأل طلاق أختها لتنفرد هي بالزوج ، فهذه وان تعلقت بالبيع والنكاح فقد اشتركت فى معنى عام .

وكذلك قوله : « ثلاثة لا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر » ، فهؤلاء الثلاثة اشتركوا فى هذا الوعيد ؛ واشتركوا فى فعل هذه الذنوب مع ضعف دواعيهم ؛ فان داعية الزنا في الشيخ ضعيفة ، وكذلك داعية الكذب فى الملك ضعيفة ؛ لاستغنائه عنه ؛ وكذلك داعية الكبر في الفقير ، فاذا أتوا بهذه الذنوب مع ضعف الداعي دل على أن فى نفوسهم من الشر الذي يستحقون به من الوعيد ما لا يستحقه غيرهم .

وقل أن يشتمل الحديث الواحد على جمل الا لتناسب بينها وإن كان قد يخفى التناسب فى بعضها على بعض الناس ، فالكلام المتصل بعضه ببعض يسمى حديثاً واحداً .

وأما إذا روى الصاحب كلاما فرغ منه، ثم روى كلاماً آخر وفصل بينهما : بأن قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بأن طال الفصل بينهما فهذان حديثان ، وهذا بمنزلة ما يتصل بالكلام في الانسان والاقرارات والشهادات كما يتصل بعقد النكاح والبيع والاقرار والوقف فاذا اتصل به الاتصال المعتاد كان شيئاً واحداً يرتبط بعضه ببعض ، وانقضى كلامه ، ثم بعد طول الفصل أنشأ كلاماً آخر بغير حكم الأول كان كلاماً ثانياً . فالحديث الواحد ليس كالجملة الواحدة ؛ إذ قد يكون جملا ، ولا كالسورة الواحدة ، فان السورة قد يكون بعضها نزل قبل بعض أو بعد بعض ويكون أجنبياً منه ، بل يشبه الآية الواحدة او الآيات المتصل بعضها ببعض ، كما أنزل فى أول البقرة أربع آيات في صفة المؤمنين ، وآيتين فى صفة الكافرين ، وبضع عشرة آية في صفة المنافقين ؛ وكما فى قوله : (انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) ، فان هذا يتصل بعضه ببعض وهو نزل بسبب قصة بني أبيرق الى تمام الكلام

وقد يسمى الحديث واحداً وإن اشتمل على قصص متعددة إذا حدث به الصحابى متصلاً بعضه ببعض فيكون واحداً باعتبار اتصاله فى كلام الصحابى ، مثل حديث جابر الطويل الذي يقول فيه : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم » وذكر فيه ما يتعلق بمعجزاته ، وما

يتعلق بالصلاة ، وبغير ذلك ، فهذا يسمى حديثاً بهذا الاعتبار ، وقد يكون الحديث طويلا وأخذ يفرقه بعض الرواة فجعله أحاديث كما فعل البخاري فى كتاب أبى بكر فى الصدقة ، وهذا يجوز إذا لم يكن فى ذلك تغيير المعنى .

فصـــــل

وأما قول السائل : إذا صح الحديث هل يكون صدقا ؟ .

فجوابه : أن الصحيح أنواع ، وكونه صدقا يعنى به شيئان . فمن الصحيح ما تواتر لفظه كقوله : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . ومنه ما تواتر معناه : كأحاديث الشفاعة ، وأحاديث الرؤية ، وأحاديث الحوض ، وأحاديث نبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك . فهذا يفيد العلم ويجزم بأنه صدق ؛ لأنه متواتر إما لفظا وإما معنى ، ومن الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا به ، كما عملوا بحديث الغرة فى الجنين ، وكما عملوا بأحاديث الشفعة ، وأحاديث سجود السهو ، ونحو ذلك . فهذا يفيد العلم ، ويجزم بأنه صدق ؛ لأن الأمة تلقته بالقبول تصديقاً وعملا بموجبه والأمة لا تجتمع على ضلالة ؛ فلو كان فى نفس الأمر كذباً لكانت الأمة قد اتفقت على تصديق الكذب والعمل

به ، وهذا لا يجوز عليها .

ومن الصحيح ما تلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث كجمهور أحاديث البخاري ومسلم ؛ فان جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكتابين ، وسائر الناس تبع لهم في معرفة الحديث ، فاجماع أهل العلم بالحديث على أن هذا الخبر صدق كاجماع الفقهاء على أن هذا الفعل حلال أو حرام أو واجب ، وإذا أجمع أهل العلم على شيء فسائر الأمة تبع لهم ؛ فاجماعهم معصوم لا يجوز أن يجمعوا على خطأ .

ومما قد يسمى صحيحاً ما يصححه بعض علماء الحديث ، وآخرون يخالفونهم فى تصحيحه ، فيقولون : هو ضعيف ليس بصحيح ، مثل ألفاظ رواها مسلم فى صحيحه ونازعه فى صحتها غيره من أهل العلم ، إما مثله أو دونه او فوقه ، فهذا لا يجزم بصدقه إلا بدليل ، مثل : حديث ابن وعلة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيما إهاب دبغ فقد طهر » فان هذا انفرد به مسلم عن البخاري ، وقد ضعفه الامام أحمد وغيره ، وقد رواه مسلم ، ومثل ما روى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الكسوف ثلاث ركوعات وأربع ركوعات ، انفرد بذلك عن البخاري ، فان هذا ضعفه حذاق أهل العلم ، وقالوا : ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل الكسوف إلا مرة واحدة يوم مات ابنه إبراهيم ، وفى نفس هذه الأحاديث التى فيها الصلاة بثلاث ركوعات

وأربع ركوعات أنه إنما صلى ذلك يوم مات إبراهيم ، ومعلوم أن إبراهيم لم يمت مرتين ولا كان له إبراهيان ، وقد تواتر عنه أنه صلى الكسوف يومئذ ركوعين فى كل ركعة ، كما روى ذلك عنه عائشة وابن عباس وابن عمرو وغيرهم ؛ فلهذا لم يرو البخاري إلا هذه الأحاديث وهذا حذف من مسلم ؛ ولهذا ضعف الشافعي وغيره أحاديث الثلاثة والأربعة ولم يستحبوا ذلك ، وهذا أصح الروايتين عن أحمد ، وروى عنه أنه كان يجوز ذلك قبل أن يتبين له ضعف هذه الأحاديث .

ومثله حديث مسلم : « إن الله خلق التربة يوم السبت ، وخلق الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة » ، فان هذا طعن فيه من هو أعلم من مسلم مثل يحيى بن معين ومثل البخاري وغيرهما ، وذكر البخاري أن هذا من كلام كعب الأحبار ، وطائفة اعتبرت صحته مثل أبي بكر بن الأنباري وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهما ، والبيهقي وغيره وافقوا الذين ضعفوه ، وهذا هو الصواب ؛ لأنه قد ثبت بالتواتر أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، وثبت أن آخر الخلق كان يوم الجمعة ، فيلزم أن يكون أول الخلق يوم الأحد ، وهكذا هو عند أهل الكتاب ، وعلى ذلك تدل أسماء الأيام ، وهذا هو المنقول الثابت في أحاديث وآثار أخر ؛

ولو كان أول الخلق يوم السبت وآخره يوم الجمعة لكان قد خلق فى الأيام السبعة ، وهو خلاف ما أخبر به القرآن ، مع أن حذاق أهل الحديث يثبتون علة هذا الحديث من غير هذه الجهة ، وأن رواية فلان غلط فيه لأمور يذكرونها ، وهذا الذي يسمى معرفة علل الحديث بكون الحديث إسناده فى الظاهر جيدا ، ولكن عرف من طريق آخر : أن راويه غلط فرفعه وهو موقوف ، أو أسنده وهو مرسل ، او دخل عليه حديث في حديث ، وهذا فن شريف ، وكان يحيى بن سعيد الأنصاري ثم صاحبه علي بن المديني ثم البخاري من أعلم الناس به ، وكذلك الامام أحمد وأبو حاتم وكذلك النسائى والدار قطنى وغيرهم . وفيه مصنفات معروفة .

وفى البخاري نفسه ثلاثة أحاديث نازعه بعض الناس فى صحتها مثل : حديث أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن الحسن : « إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ، فقد نازعه طائفة منهم أبو الوليد الباجي ، وزعموا أن الحسن لم يسمعه من أبي بكرة ، لكن الصواب مع البخاري وأن الحسن سمعه من أبى بكرة ، كما قد بين ذلك فى غير هذا الموضع ، وقد ثبت ذلك في غير هذا الموضع .

والبخاري أحذق وأخبر بهذا الفن من مسلم ؛ ولهذا لا يتفقان على

حديث إلا يكون صحيحا لا ريب فيه قد اتفق أهل العلم على صحته ثم ينفرد مسلم فيه بألفاظ يعرض عنها البخاري ، ويقول بعض أهل الحديث . إنها ضعيفة ، ثم قد يكون الصواب مع من ضعفها : كمثل صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وأربع ، وقد يكون الصواب مع مسلم ، وهذا أكثر ، مثل قوله فى حديث أبي موسى : « إنما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا » ، فان هذه الزيادة صححها مسلم ، وقبله أحمد بن حنبل وغيره ، وضعفها البخاري وهذه الزيادة مطابقة للقرآن ، فلو لم يرد بها حديث صحيح لوجب العمل بالقرآن ، فان فى قوله : (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) أجمع الناس على أنها نزلت فى الصلاة ، وأن القراءة فى الصلاة مرادة من هذا النص .

ولهذا كان أعدل الأقوال فى القراءة خلف الامام ان المأموم إذا سمع قراءة الامام يستمع لها وينصت لا يقرأ بالفاتحة ولا غيرها ، وإذا لم يسمع قراءته بها يقرأ الفاتحة وما زاد ، وهذا قول جمهور السلف والخلف ، وهو مذهب مالك وأصحابه ، وأحمد بن حنبل ، وجمهور أصحابه ، وهو أحد قولي الشافعي ، واختاره طائفة من محققي أصحابه وهو قول محمد بن الحسن وغيره من أصحاب أبي حنيفة .

وأما قول طائفة من أهل العلم كأبي حنيفة وأبي يوسف : أنه

لا يقرأ خلف الامام لا بالفاتحة ولا غيرها لا فى السر ولا في الجهر ؛ فهذا يقابله قول مـن أوجب قراءة الفاتحـة ولو كان يسمع قراءة الامام ، كالقول الآخر للشافعي وهو الجديد ، وهو قول البخاري وابن حزم وغيرهما . وفيها قول ثالث : أنه يستحب القراءة بالفاتحة إذا سمع قراءة الامام ، وهذا مروي عن الليث والأوزاعي ، وهو اختيار جدي أبي البركات .

ولـكن أظهر الأقوال قول الجمهور : لأن الـكتاب والسنة يدلان على وجوب الانصات على المأموم إذا سمع قراءة الامام ، وقد تنازعوا فيما إذا قرأ المأموم وهو يسمع قراءة الامام : هل تبطل صلاته ؟ على قولين ، وقد ذكرهما ابو عبد الله بن حامد على وجهين فى مذهب أحمد . وقد أجمعوا على أنه فيما زاد على الفاتحة كونه مستمعاً لقراءة إمامه خير من أن يقرأ معه ، فعلم أن المستمع يحصل له أفضل مما يحصل للقارىء مع الامام ، وعلى هذا فاستماعه لقراءة إمامه بالفاتحة يحصل له به مقصود القراءة وزيادة تغنى عن القراءة معـه التى نهي عنها ، وهذا خلاف إذا لم يسمع ، فان كونه تاليـا لـكتاب الله يثاب بكل حرف عشر حسنات خيراً من كونه ساكتاً بلا فائدة ؛ بل يكون عرضة للوسواس وحديث النفس الذي لا ثواب فيه ، فقراءة يثـاب عليهـا خـير من حـديث نفس لا ثواب عليـه . وبسط هـذا له موضع آخر .

والمقصود هنا : التمثيل بالحديث الذي يروى في الصحيح وينازع فيه بعض العلماء ، وأنه قد يكون الراجح تارة ، وتارة [المرجوح] ، ومثل هذا من موارد الاجتهاد فى تصحيح الحديث-كموارد الاجتهاد فى في الأحكام ، وأما ما اتفق العلماء على صحته فهو مثل ما اتفق عليه العلماء فى الأحكام ، وهذا لا يكون إلا صدقا ، وجمهور متون الصحيح من هذا الضرب ، وعامة هذه المتون تكون مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم من عدة وجوه رواها هذا الصاحب وهذا الصاحب ، من غير أن يتواطآ ، ومثل هذا يوجب العلم القطعي ؛ فان المحدث إذا روى حديثاً طويلا سمعه ورواه آخر ذكر أنه سمعه وقد علم أنهما لم يتواطآ على وضعه علم أنه صدق ؛ لأنه لو لم يكن صدقا لكان كذبا .اما عمدا واما خطأ ؛ فان المحدث إذا حدث بخلاف الصدق : اما أن يكون متعمدا للكذب ؛ وإما أن يكون مخطئا غالطا . فاذا قدر أنه لم يتعمد الكذب ولم يغلط لم يكن حديثه إلا صدقاً ، والقصة الطويلة يمتنع في العادة أن يتفق الاثنان على وضعها من غير مواطأة منهما ، وهذا يوجد كثيرا في الحديث يرويه ابو هريرة وابو سعيد ، او ابو هريرة وعائشة ، او أبو هريرة وابن عمر ، او ابن عباس ، وقد علم ان أحدهما لم يأخذه من الآخر ، مثل حديث التجلي يوم القيامة الطويل : حدث به أبو هريرة وأبو سعيد ساكت لا ينكر منه حرفا بل وافق أبا هريرة عليه جميعه إلا على لفظ واحد فى آخره .

وقد يكون النبي صلى الله عليه وسلم حدث به فى مجلس وسمعه كل واحد منهما فى مجلس ، فقال هذا ما سمعه منه فى مجلس ، وهذا ما سمعه منه فى الآخر ، وجميعه فى حديث الزيادة ، والله أعلم .

فصل

وأما قسمة الحديث الى صحيح وحسن وضعيف ، فهذا أول من عرف أنه قسمه هذه القسمة أبو عيسى الترمذي ، ولم تعرف هذه القسمة عن أحد قبله ، وقد بين أبو عيسى مراده بذلك . فذكر : ان الحسن ما تعددت طرقه ولم يكن فيهم متهم بالكذب ، ولم يكن شاذا ، وهو دون الصحيح الذي عرفت عدالة ناقليه وضبطهم . وقال : الضعيف الذي عرف أن ناقله متهم بالكذب رديء الحفظ ؛ فانه اذا رواه المجهول خيف أن يكون كاذبا أو سيء الحفظ ، فاذا وافقه آخر لم يأخذ عنه عرف انه لم يتعمد كذبه ، واتفاق الاثنين على لفظ واحد طويل قد يكون ممتنعاً ، وقد يكون بعيداً ، ولما كان تجويز اتفاقهما في ذلك ممكناً نزل عن درجة الصحيح .

وقد أنكر بعض الناس على الترمذي هـذه القسمة وقالوا : انه يقول : حسن غريب . والغريب الذي انفرد به الواحد ، والحديث قد

يكون صحيحاً غريباً كحديث « إنما الأعمال بالنيات » وحديث « نهى عن بيع الولاء وهبته » وحديث « دخل مكة وعلى رأسه المغفر » فان هذه صحيحة متلقاة بالقبول ، والأول : لا يعرف ثابتاً عن غير عمر ، والثاني : لا يعرف عن غير ابنه عبد الله ، والثالث : لا يعرف الا من حديث الزهري عن أنس ، ولكن هؤلاء الذين طعنوا على الترمذي لم يفهموا مراده في كثير مما قاله ؛ فان أهل الحديث قد يقولون : هذا الحديث غريب أي : من هذا الوجه ، وقد يصرحون بذلك فيقولون : غريب من هذا الوجه ، فيكون الحديث عندهم صحيحاً معروفاً من طريق واحد ، فاذا روي من طريق آخر كان غريباً من ذلك الوجه ، وان كان المتن صحيحاً معروفاً ، فالترمذي إذا قال : حسن غريب ، قد يعنى به أنه غريب من ذلك الطريق ؛ ولكن المتن له شواهد صار بها من جملة الحسن .

وبعض ما يصححه الترمذي ينازعه غيره فيه كما قد ينازعونه في بعض ما يضعفه ويحسنه ، فقد يضعف حديثاً ويصححه البخاري ؛ كحديث ابن مسعود لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ابغني احجاراً استنفض بهن » قال : فأتيته بحجرين وروثة ، قال : فأخذ الحجرين وترك الروثة وقال : « إنها رجس » فان هذا قد اختلف فيه على أبي اسحاق السبيعي ، فجعل الترمذي هذا الاختلاف

علة ، ورجح روايته له عن أبي عبيدة عن أبيه وهو لم يسمع من أبيه ، وأما البخاري فصححه من طريق أخرى ؛ لأن أبا اسحاق كان الحديث يكون عنده عن جماعة يرويه عن هذا تارة وعن هـذا تارة ، كما كان الزهري يروي الحديث تارة عن سعيد بن المسيب ، وتارة عن أبي سلمة ، وتارة يجمعها ، فمن لا يعرفه فيحدث به تارة عن هـذا وتارة عن هذا يظن بعض الناس أن ذلك غلط ، وكلاهما صحيح . وهذا باب يطول وصفه .

وأما من قبل الترمذي من العلماء فما عرف عنهم هـذا التقسيم الثلاثي ، لكن كانوا يقسمونه الى صحيح وضعيف ، والضعيف عندهم نوعان :

ضعيف ضعفا لا يمتنع العمل به وهو يشبه الحسن في اصطلاح الترمذي .

وضعيف ضعفاً يوجب تركه وهو الواهي ، وهـذا بمنزلة مرض المريض قـد يكون قاطعـاً بصاحبه فيجعل التبرع مـن الثلث ، وقد لا يكون قاطعاً بصاحبه وهـذا موجود فى كلام الامام أحمد وغـيره ؛ ولهـذا يقولون : هذا فيـه لين ، فيه ضعف ، وهـذا عندهم موجود فى الحديث .

ومن العلماء المحدثين أهل الأتقان : مثــل شعبة ومالك والثوري ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي هم فى غاية الاتقان والحفظ ؛ بخلاف مــن هو دون هؤلاء ، وقد يكون الرجــل عندهم ضعيفاً لكثرة الغلط فى حديثه ويــكون حديثه إذا الغالب عليــه الصحة لأجل الإعتبار به والاعتضاد به ؛ فان تعدد الطرق وكثرتهــا يقوي بعضها بعضــاً حتى قد يحصل العــلم بها ، ولو كان الناقــلون فجاراً فساقاً ، فــكيف اذا كانوا علماء عدولا ولكن كثر فى حديثهم الغلط ؟!

ومثل هذا عبد الله بن لهيعة ، فانه مــن أكابر علماء المسلمين ، وكان قاضياً بمصر ، كثير الحديث ، لكن احترقت كتبه فصار يحدث من حفظه ، فوقــع في حديثه غلط كثير مع أن الغالب عــلى حديثه الصحة ، قال أحمد : قــد اكتب حديث الرجل للاعتبــار به : مثل ابن لهيعة .

وأما من عرف منه أنه يتعمد الكذب فمنهم من لا يروي عن هذا شيئاً ، وهذه طريقة أحمــد بن حنبل وغــيره لم يرو فى مسنده عمن يعرف أنــه يتعمد الكذب ؛ لــكن يروي عمــن عرف منــه الغلط للاعتبار به والأعتضاد .

ومن العلماء من كان يسمع حديث مــن يكذب ، ويقول : انه

يميز بين ما يكذبه وبين ما لا يكذبه ، ويذكر عن الثوري انه كان يأخذ عن الكلبي وينهى عن الأخذ عنه ويذكر انه يعرف ، ومثل هذا قد يقع لمن كان خبيراً بشخص إذا حدثه بأشياء يميز بين ما صدق فيه وما كذب فيه بقرائن لا يمكن ضبطها . وخبر الواحد قد يقترن به قرائن تدل على أنه صدق ، أو تقترن به القرائن تدل على أنه كذب(١) ،

---

(١) الى هنا آخر ما وجد .

وقال الشيخ رحمه الله :

فصـــــل

فى أنواع الرواية وأسماء الأنواع

مثل : حدثنا ، واخبرنا ، وأنبأنا ، وسمعت ، وقرأت ، والمشافهة والمناولة ، والمكاتبة، والاجازة، والوجادة ونحو ذلك ، فنقول : الكلام فى شيئين :

أحدهما: مما تصح الرواية به ويثبت به الاتصال .

والثاني: في التعبير ن ذلك ، وذلك أنواع :

(أحدها) أن يسمع من لفظ المحدث سواء رآه أو لم يره ، كما سمع الصحابة القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث أيضاً . وكما كان يقرئه عليهم، وقرأ على أبي (سورة لم يكن) فان هذا لم يفرق الناس بينهما كما فرق بعض الفقهاء في الشهادة ، ثم ذلك

القائل تارة يقصد التحديث لذلك الشخص وحده ، أو لأقوام معينين هو أحدهم ؛ وتارة يقصد التحديث المطلق لكل من سمعه منه فيكون هو أحد السامعين ؛ وتارة يقصد تحديث غيره فيسمع هو ؛ ففي جميع هذه المواضع إذا قال : سمعت فلاناً يقول فقد أصاب ، وإن قال : حدثنا أو حدثني — وكان المحدث قد قصد التحديث له معيناً أو مطلقاً — فقد أصاب ، كما يقول الشاهد فيما أشهد عليه من الحكم والاقرار والشهادات : أشهدني وأشهدنا . وإن كان قد قصد تحديث غيره فسمع هو فهو كما لو استرعى الشهادة غيره فسمعها فانه تصح الشهادة ، لكن لفظ أشهدني وحدثنا فيه نظر ، بل لو قال : حدث وأنا أسمع كان حسناً ، وإن لم يكن يحدث أحداً وإنما سمعه يتكلم بالحديث فهو يشبه الشهادة من غير استرعاء ، ويشبه الشهادة على الاقرار من غير إشهاد والشهادة على الحكم ، بخلاف الشهادة على الاثبات كالسمع ونحوه فانها تصح بدون التحميل بالاتفاق .

وأما الشهادة على الاخبارات كالشهادات والاقرارات ففيها نزاع ليس هذا موضعه ، وباب الرواية أوسع ، لكن ليس من قصد تحديث غيره بمنزلة من تكلم لنفسه ؛ فان الرجل يتكلم مع نفسه بأشياء ويسترسل في الحديث فاذا عرف أن الغير يتحمل ذلك تحفظ ؛ ولهذا كانوا لا يروون أحاديث المذاكرة بذلك .

وكان الامام أحمد يذاكر بأشياء من حفظه فاذا طلب المستمع الرواية أخرج كتابه فحدث من الكتاب . فهنا ثلاث مراتب :

أن يقصد استرعاه الحديث وتحميله ليرويه عنه ، وأن يقصد محادثته به لا ليرويه عنه ، وأن لا يقصد الا التكلم به مع نفسه .

(والنوع الثاني) أن يقرأ على المحدث فيقر به كما يقرأ المتعلم القرآن على المعلم ، ويسميه الحجازيون العرض ؛ لأن المتحمل يعرض الحديث على المحمل كعرض القراءة ، وعرض ما يشهد به من الاقرار ، والحكم ، والعقود ، والشهادة على المشهود عليه : من الحاكم ، والشاهد ، والمقر والعاقد ، وعرض ضمام بن ثعلبة على النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به رسوله فيقول نعم ! ، وهذا عند مالك وأحمد وجمهور السلف كاللفظ .

ولهذا قلنا : إذا قال الخاطب للولي : أزوجت ؟ فقال : نعم ! وللزوج أقبلت ؟ فقال : نعم ! انعقد النكاح وكان ذلك صريحاً ؛ فان نعم تقوم مقام التكلم بالجملة المستفهم عنها ؛ فانه إذا قيل لهم : هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ والله أمركم بذلك ؟ وأحدثك فلان بكذا ؟ وأزوجت فلاناً بكذا ؟ فقال : نعم ! فهو بمنزلة قوله : وجدت ماوعدني ربي ، والله أمرني بكذا وكذا ، وحدثني فلان بكذا وكذا ، وزوجت فلاناً كذا ، لكن هذا جواب الاستفهام وذاك خبر مبتدإ ، ونعم كلمة مختصرة تغني عن التفصيل .

وقد يقول العارض : حدثك بلا استفهام بل إخبار ، فيقول : نعم ! ثم من أهل المدينة وغيرهم من يرجح هذا العرض لما فيه من كون المتحمل ضبط الحديث ، وأن المحمل يرد عليه ويصححه له ، ويذكر هذا عن مالك وغيره . ومنهم من يرجح السماع ، وهو يشبه قول أبي حنيفة والشافعي . ومنهم من يجيز فيه اخبرنا وحدثنا ، كقول الحجازيين . ومنهم من لا يقول فيه إلا أخبرنا كقول جماعات ، وعن أحمد روايتان . ثم منهم من قال : لا فرق فى اللغة وإنما فرق من فرق اصطلاحاً ؛ ولهذا يقال فى الشهادة المعروضة من الحكم والاقرار والعقود أشهدنى بكذا ، وقد يقال : الخبر فى الأصل عن الأمور الباطنة ، ومنه الخبرة بالأشياء ، وهو العلم ببواطنها ، وفلان من أهل الخبرة بكذا ، والخبير بالأمور المطلع على بواطنها ، ومنه الخبير . وهو الفلاح الذي يجعل باطن الأرض ظاهراً ، والأرض الخبار اللينة التى تتقلب ، والمخابرة من ذلك .

فقول المبلغ : نعم ! لم يدل بمجرد ظاهر لفظه على الكلام المعروف وإنما دل بباطن معناه ، وهو أن لفظها يدل على موافقة السائل والمخبر ، فاذا قال : أحدثك ؟ وأنكحت ؟ فقال : نعم ! فهو موافق لقوله حدثني وأنكحت ، وهذه الدلالة حصلت من مجموع لفظ نعم وسؤال السائل ، كما أن أسماء الأشارة والمضمرات إنما تعين المشار إليه والظاهر

بلفظها ، ولما اقترن بذلك من الدلالة على المشار إليه والظاهر المفسر للمضمر .

وأحسن من ذلك أن قوله : حدثني أن فلاناً قال ، وأخبرني أن فلاناً قال في العرض أحسن من أن يقول : أخبرنا فلان قال : أخبرنا وحدثنا فلان قال : حدثنا ، كما أن هذا هو الذي يقال في الشهادة ، فيقول : أشهد أن فلان بن فلان أقر وأنه حكم وأنه وقف ، كما فرق طائفة من الحفاظ بين الاجازة وغيرها فيقولون فيها : أنا فلان أن فلاناً حدثهم؛ بخلاف السماع .

وقد اعتقد طائفة أنه لا فرق بينهما بل ربما رجحوا « أن » ؛ لأنهم زعموا فيها توكيداً ، وليس كما توهموا ؛ فان « أن » المفتوحة وما في خبرها بمنزلة المصدر ، فاذا قال : حدثني أنه قال فهو في التقدير حدثني بقوله ؛ ولهذا اتفق النحاة على أن « إن » المكسورة تكون في موضع الجمل ، والمفتوحة في موضع المفردات ، فقوله : (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك) — على قراءة الفتح — في تقدير قوله : فنادته ببشارته ، وهو ذكر لمعنى ما نادته به وليس فيه ذكر اللفظ . ومن قرأ (إن الله) فقد حكى لفظه ، وكذلك الفرق بين قوله أول ما أقول : أحمد الله ، وأول ما أقول : إني أحمد الله .

وإذا كان مع الفتح هـو مصدر فقولك : حدثني بقوله وبخبره لم تذكر فيه لفظ القول والخبر ، وإنما عبرت عن جملة لفظه ؛ فانه قول وخبر ، فهو مثل قولك : سمعت كلام فلان وخطبة فلان ، لم تحك لفظها. وأما إذا قلت : قال : كذا فهو إخبار عن عين قوله ؛ ولهذا لاينبغي أن يوجب اللفظ في هذا أحد ، بخلاف الأول فانه إنما يسوغ على مذهب من يجوز الرواية بالمعنى ، فاذا سمعت لفظه وقلت : حدثني فلان قال : حدثنى فلان بكذا وكذا فقد أتيت باللفظ ؛ فانك سمعته يقول : حدثنى فلان بكذا ، وإذا عرضت عليه فقلت : حدثك فلان بكذا؟ فقال : نعم ! وقلت : حدثنى أن فلاناً حدثه بكذا فأنت صادق على المذهبين ؛ لأنك ذكرت أنه حدثك بتحديث فلان إياه بكذا والتحديث لفظ مجمل ينتظم لذلك ، كما أن قوله : نعم لفظ مجمل ينتظم لذلك ، فقوله : نعم ! تحديث لك بأنه حدثه .

وأما إذا قلت : حدثنى قال : حدثنى فانت لم تسمعه يقول : حدثني وإنما سمعته يقول : نعم ! وهي معناها ، لكن هذا من المعاني المتداولة وهذا العرض إذا كان المحمل يدرى ما يقرؤه عليه العارض كما يدري المقرىء ، فأما إذا كان لا يدري فالسماع أجود بلا ريب كما اتفق عليه المتأخرون ؛ لغلبة الفعل على القارىء للتحديث دون المقروء عليه ، والتفصيل فى العرض بين أن يقصد المحمل الاخبار أو لا يقصد ، كما تقدم فى التحديث والسماع .

(النوع الثالث) « المناولة ، والمكاتبة » : وكلاهما إنما أعطاه كتابا لاخطابا ، لكن المناولة مباشرة والمكاتبة بواسطة . فالمناولة أرجح إذا انفقا من غير هذه الجهة ، مثل ان يناوله أحاديث معينة يعرفها المناول أو يكتب اليه بها ، والمناولة عرض العرض فان قوله لما معه (١) .

فاما إذا كتب اليه بأحاديث معينة وناوله كتابا مجملا ترجحت المكاتبة .

ثم المكاتبة يكفي فيها العلم بأنه خطه ، ولم ينازع فى هذا من نازع فى كتاب القاضي إلى القاضي والشهادة بالكتابة ؛ فانه هناك اختلف الفقهاء هل يفتقر إلى الشهادة على الكتاب ؟ واذا افتقر فهل يفتقر إلى الشهادة على نفس ما فى الكتاب ؟ أو تكفي الشهادة على الكتاب ؟ ومن اشترط الشهادة جعل الاعتماد على الشهود الشاهدين على الحاكم الكاتب ، حتى يعمل بالكتاب غير الحاكم المكتوب اليه .

ثم « المكاتبة » هي مع قصد الاخبار بما فى الكتاب ، ثم ان كان للمكتوب اليه فقد صح قوله كتب إلي أو أراني كتابه ، وإن كتب إلى غيره فقرأ هو الكتاب فهو بمنزلة أن يحدث غيره فيسمع

(١) خرم بالاصل .

الخطاب ولو لم يكاتب أحداً بل كتب بخطه فقراءة الخط كسماع اللفظ وهو الذي يسمونه « وجادة » . وقد تقدم أن المحدث لم يحدث بهذا ولم يرده ، وإن كان قد قاله وكتبه ؛ فليس كل مايقوله المرء ويكتبه يرى أن يحدث به ويخبر به غيره أو أنه يؤخذ عنه .

(الرابع) الاجازة : فاذا كانت لشيء معين قد عرفه المجيز فهي كالمناولة وهي : عرض العرض ؛ فان العارض تكلم بالعروض مفصلا فقال الشيخ : نعم ! والمستجيز قال : أجزت لي أن أحدث بما فى هذا الكتاب فقال المجيز : نعم ! فالفرق بينهما من جهة كونه في العرض سمع الحديث كله ، وهنا سمع لفظاً يدل عليه ، وقد علم مضمون اللفظ برؤية مافى الكتاب ونحو ذلك ، وهذه الاجازة تحديث وإخبار ، وما روى عن بعض السلف المدنيين وغيرهم من أنهم كانوا يقولون : الاجازة كالسماع ، وأنهم قالوا : حدثنا وأخبرنا وأنبأنا وسمعت واحد ، فانما أرادوا — والله أعلم — هذه الاجازة ، مثل من جاء الى مالك فقال : هذا الموطأ أجزه لي ! فأجازه له .

فاما المطلقة فى المجاز فهي شبه المطلقة فى المجاز له ؛ فانه إذا قال : أجزت لك ماصح عندك من أحاديثى صارت الرواية بذلك موقوفة على أن يعلم أن ذلك من حديثه ، فان علم ذلك من جهته استغنى عن الاجازة ؛ وان عرف ذلك من جهة غيره فذلك الغير هو الذي حدثه به عنه

والاجازة لم تعرفه الحديث وتفيده علمه كما عرفه ذلك السماع منه والعرض عليه ؛ ولهذا لا يوجد مثل هذه فى الشهادات .

وأما نظير المكاتبة والمناولة فقد اختلف الفقهاء فى جوازها فى الشهادات، لكن قد ذكرت فى غير هذا الموضع ان الرواية لها مقصودان : العلم ، والسلسلة ، فأما العلم فلا يحصل بالاجازة ، وأما السلسلة فتحصل بها ، كما ان الرجل إذا قرأ القرآن اليوم على شيخ فهو فى العلم بمنزلة من قرأه من خمسمائة سنة ، وأما في السلسلة فقراءته على المقرىء القريب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلى في السلسلة ، وكذلك الأحاديث التى قد تواترت عن مالك ، والثوري ، وابن علية ، كتواتر الموطأ عن مالك ، وسنن أبى داود عنه ، وصحيح البخاري عنه ، لا فرق فى العلم والمعرفة بين أن يكون بين البخاري وبين الانسان واحد او اثنان ؛ لأن الكتاب متواتر عنه ، فأما السلسلة فالعلو أشرف من النزول ، ففائدة الاجازة المطلقة من جنس فائدة الاسناد العالي بالنسبة إلى النازل إذا لم يفد زيادة فى العلم .

وهل هذا المقصود دين مستحب ؟ هذا يتلقى من الادلة الشرعية ، وقد قال احمد : طلب الاسناد العالي سنة عمن مضى ، كان أصحاب عبد الله يرحلون من الكوفة إلى المدينة ليشافهوا الصحابة ، فنقول : كلما قرب الاسناد كان أيسر مؤونة وأقل كلفة وأسهل فى الرواية ، وإذا كان الحديث قد علمت صحته وأن

فلانا رواه وأن ما يروى عنه لاتصال الرواية فالقرب فيها خير من البعد فهذا فائدة الاجازة .

ومناط الأمر أن يفرق بين الاسناد المفيد للصحة والرواية المحصلة للعلم، وبين الاسناد المفيد للرواية والرواية المفيدة للاسناد . والله أعلم .

وسئل :

عن معنى قولهم : حديث حسن أو مرسل أو غريب ، وجمع الترمذى بين الغريب والصحيح في حديث واحد ؟ وهل في الحديث متواتر لفظا ومعنى ؟ وهل جمهور أحاديث الصحيح تفيد اليقين أو الظن ؟ وما هو شرط البخاري ومسلم ؛ فانهم فرقوا بين شرط البخاري ومسلم فقالوا : على شرط البخاري ومسلم ؟

فأجاب :

أما المرسل من الحديث : أن يرويه من دون الصحابة ولا يذكر عمن أخذه من الصحابة ويحتمل أنه أخذه من غيرهم .

ثم من الناس من لا يسمي مرسلا إلا ما أرسله التابعي ، ومنهم من يعد ما أرسله غير التابعي مرسلاً .

وكذلك ما يسقط من إسناده رجل فمنهم من يخصه باسم المنقطع ، ومنهم من يدرجه فى اسم المرسل ، كما أن فيهم من يسمى كل مرسل منقطعاً ، وهذا كله سائغ فى اللغة .

وأما الغريب : فهو الذي لا يعرف إلا من طريق واحد ، ثم قد يكون صحيحاً كحديث : « انما الأعمال بالنيات » ، و « نهيه عن بيع الولاء وهبته » ، وحديث « أنه دخل مكة وعلى رأسه المغفر » ، فهذه صحاح فى البخاري ومسلم وهي غريبة عند أهل الحديث ، فالأول انما ثبت عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن ابراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثى عن عمر بن الخطاب ، والثاني إنما يعرف من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر ، والثالث إنما يعرف من رواية مالك عن الزهري عن انس ، ولكن اكثر الغرائب ضعيفة .

وأما الحسن فى اصطلاح الترمذي فهو : ماروى من وجهين ، وليس في رواته من هو متهم بالكذب ولا هو شاذ مخالف للأحاديث الصحيحة . فهذه الشروط هي التى شرطها الترمذي فى الحسن ، لكن من الناس من يقول : قد سمى حسنا ما ليس كذلك ، مثل حديث يقول فيه : حسن غريب ؛ فانه لم يرو إلا من وجه واحد وقد سماه حسناً ، وقد أجيب عنه بأنه قد يكون غريباً . لم يرو الا عن تابعي واحد ، لكن روى عنه من وجهين فصار حسناً لتعدد طرقه عن ذلك الشخص وهو في أصله غريب .

وكذلك الصحيح الحسن الغريب قد يكون لأنه روى باسناد صحيح غريب ، ثم روى عن الراوي الاصلي بطريق صحيح وطريق آخر ،

فيصير بذلك حسناً مع أنه صحيح غريب ؛ لان الحسن ما تعددت طرقه وليس فيها متهم ، فان كان صحيحاً من الطريقين فهذا صحيح محض ، وان كان أحد الطريقين لم تعلم صحته فهذا حسن ، وقد يكون غريب الاسناد فلا يعرف بذلك الاسناد إلا من ذلك الوجه ، وهو حسن المتن ؛ لان المتن روى من وجهين ؛ ولهـذا يقول : وفي الباب عن فلان وفلان ، فيكون لمعناه شواهد تبين أن متنه حسن وان كان اسناده غريباً . واذا قال مع ذلك : إنه صحيح ؛ فيكون قد ثبت من طريق صحيح وروى من طريق حسن ، فاجتمع فيه الصحة والحسن ، وقد يكون غريباً من ذلك الوجه لا يعرف بذلك الاسناد إلا من ذلك الوجه . وان كان هو صحيحاً من ذلك الوجه فقد يكون صحيحاً غريباً ، وهذا لا شبهة فيـه ، وانما الشبهة في اجتماع الحسن والغريب . وقد تقدم أنه قد يكون غريبا حسناً ثم صار حسناً وقد يكون حسناً غريباً كما ذكر من المعنيين .

وأما المتواتر فالصواب الذي عليه الجمهور : أن المتواتر ليس له عدد محصور ، بل إذا حصل العلم عن إخبـار المخبرين كان الخـبر متواتراً ، وكذلك الذي عليه الجمهور ان العلم يختلف باختـلاف حال المخبرين بـه . فرب عدد قليل أفاد خبرهم العلم بما يوجب صدقهم ، وأضعافهم لا يفيد خبرهم العلم ؛ ولهذا كان الصحيح أن خبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم .

وعلى هذا فكثير من متون الصحيحين متواتر اللفظ عند أهل العلم بالحديث وان لم يعرف غيرهم انه متواتر ؛ ولهذا كان اكثر متون الصحيحين مما يعلم علماء الحديث علما قطعياً أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ، تارة لتواتره عندهم ، وتارة لتلقي الأمة له بالقبول .

وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، وهو قول اكثر أصحاب الأشعري كالاسفرائيني وابن فورك ؛ فانه وان كان فى نفسه لا يفيد إلا الظن ؛ لكن لما اقترن به اجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق كان بمنزلة اجماع أهل العلم بالفقه على حكم مستندين فى ذلك الى ظاهر أو قياس او خبر واحد ، فان ذلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور وان كان بدون الاجماع ليس بقطعي ؛ لأن الاجماع معصوم ، فأهل العلم بالاحكام الشرعية لا يجمعون على تحليل حرام ولا تحريم حلال ، كذلك أهل العلم بالحديث لا يجمعون على التصديق بكذب ولا التكذيب بصدق . وتارة يكون علم احدهم لقرائن تحتف بالأخبار توجب لهم العلم ، ومن علم ما علموه حصل له من العلم ما حصل لهم .

فصـــــل

واما « شرط البخاري ومسلم » فلهذا رجال يروى عنهم يختص بهم ، ولهذا رجال يروى عنهم يختص بهم ، وهما مشتركان في رجال آخرين ، وهؤلاء الذين اتفقا عليهم عليهم مدار الحديث المتفق عليه . وقد يروي أحدهم عن رجل فى المتابعات والشواهد دون الأصل ، وقد يروى عنه ما عرف من طريق غيره ولا يروي ما انفرد به ، وقد يترك من حديث الثقة ما علم انه اخطأ فيه ، فيظن من لا خبرة له ان كل ما رواه ذلك الشخص يحتج به أصحاب الصحيح وليس الأمر كذلك ؛ فان معرفة علل الحديث علم شريف يعرفه أئمة الفن : كيحيى بن سعيد القطان ، وعلي بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري صاحب الصحيح ، والدار قطني ، وغيرهم . وهذه علوم يعرفها أصحابها ، والله أعلم .

وسئل :

مـا معنى قول بعض العلمـاء : هـذا حـديث ضعيف أو ليس بصحيح ؟ وإذا كان فى المسألة روايتان أو وجهان فهل يباح للانسان أن يقلد أحدهما ؟ أم كيف الاعتماد في ذلك ؟ .

فأجاب :

العالم قد يقول : ليس بصحيح أي : هذا القول ضعيف فى الدليل وان كان قد قال به بعض العلماء ، والحديث الضعيف مثل الذى رواه من ليس بثقة : إما لسوء حفظه ، واما لعدم عدالته ، وإذا كان فى المسألة قولان فان كان الانسان يظهر له رجحان أحد القولين وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم فى بيان أرجح القولين .

قال شيخ الاسلام رحمه الله

الخبر إما ان يعلم صدقه أو كذبه أولا :

الأول : ما علم صدقه ، وهو في غالب الأمر بانضمام القرائن اليه : إما رواية من لا يقتضي العقل تعمدهم وتواطؤهم على الكذب ، أو احتفاف قرائن به ، وهو على ضربين : أحدها : ضروري ليس للنفس في حصوله كسب ، و (١) ومنه ما تلقته الأمة بالقبول وأجمعوا على العمل به ؛ أو استندوا اليه في العمل لأنه لو كان باطلا [لم يعملوا به لامتناع (١)] اجتماعهم على الخطأ وهو (١) ولا يضره كونه بنفسه [لا] يفيد العلم كالحكم المجمع عليه المستند إلى قياس واجتهاد ورأي و (١) ل المختلف هو في نفسه ظني فكيف ينقلب قطعياً ، ولم يعلم أن الظن والقطع من عوارض اعتقاد الناظر بحسب ما يظهر له من الأدلة ، والخبر في نفسه لم يكتسب صفة .

الثاني : ما يعلم كذبه أو بتكذيب العقل الصريح أو الكتاب أو

---

(١) بياض بالاصل .

السنة أو الاجماع أو غير ذلك عنـد أقسام تلك التأويلات وهو كثير ، أو بقرائن ، والقرائن فى البابين لا تحصل محققـة إلا لذى درايـة بهذا الشأن ، وإلا فغيرهم جهلة به .

الثالث : المحتمـل ، وينقسم إلى مستفيض وغـيره ، وله درجات ؛ فالخبر الذي رواه الصديق والفاروق لا يساوي مارواه غيرهما من أصاغر الصحابة وقليل الصحبة .

فصــــــل

الخطأ في الخبر يقع من الراوي إما عمدا أو سهواً ؛ ولهذا اشترط في الراوي العـدالة لنأمن من تعمد الـكذب ، والحفظ والتيقظ لنأمن من السهو .

والسهوله أسباب :

أحدها : الاشتغال عن هذا الشأن بغيره فلا ينضبط له ، ككثير من أهل الزهد والعبادة .

وثانيها : الخلو عن معرفة هذا الشأن .

وثالثها : التحديث من الحفظ ؛ فليس كل أُحد يضبط ذلك .

ورابعها : أن يدخل فى حديثه ما ليس منه ويزور عليه .

وخامسها : أن يركن إلى الطلبة فيحدث بما يظن أنه من حديثه .

وسادسها : الارسال ، وربما كان الراوي له غير مرضي .

وسابعها : التحديث من كتاب ؛ لامكان اختلافه .

فلهذه الأسباب وغيرها اشترط أن يكون الراوي حافظاً ضابطاً ، معه من الشرائط ما يؤمن معه كذبه من حيث لا يشعر ، وربما كان لا يسهو ثم وقع له السهو فى الآخر من حديثه ، فسبحان من لا يزل ولا يسهو ، وذلك يعرفه أرباب هذا الشأن برواية النظرله والأقران ، وربما كان مغفلا واقترن بحديثه ما يصححه كقرائن تبين أنه حفظ ما حدث به وانه لم يخلط في الجميع .

وتعمد الكذب له أسباب :

أحدها : الزندقة والالحاد فى دين الله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

وثانيها : نصرة المذاهب والأهواء ، وهو كثير في الأصول والفروع والوسائط .

وثالثها : الترغيب والترهيب لمن يظن جواز ذلك .

ورابعها : الأغراض الدنيوية لجمع الحطام .

وخامسها : حب الرياسة بالحديث الغريب .

فصـــــل

الراوي إما أن تقبل روايته مطلقاً أو مقيداً ، فأما المقبول إطلاقا فلا بد أن يكون مأمون الكذب بالمظنـة ، وشرط ذلك العدالة وخلوه عن الأغراض والعقـائد الفاسدة التى يظن معها جواز الوضع ، وأن يكون مأمون السهو بالحفظ والضبط والاتقـان ، وأمـا المقيد فيختلف باختلاف القرائن ، ولـكل حديث ذوق ، ويختص بنظر ليس للآخر .

فصـــــل

كم من حديث صحيح الاتصال ، ثم يقع فى أثنائه الزيادة والنقصان فرب زيادة لفظة تحيل المعنى ونقص أخرى كذلك ، ومن مارس هذا الفن لم يكد يخفى عليه مواقع ذلك ، ولتصحيح الحديث وتضعيفه أبواب تدخل ، وطرق تسلك ، ومسالك تطرق .

قال شيخ الاسلام رحمه الله :

فصـــــل

وأما عـدة الأحاديث المتواترة التى فى الصحيحين فلفظ المتواتر : يراد به معان ؛ إذ المقصود من المتواتر ما يفيد العلم ، لكن من النـاس من لا يسمى متواتراً إلا ما رواه عدد كثير بكون العلم حاصلا بكثرة عددهم فقط ، ويقولون : إن كل عدد أفاد العلم فى قضية أفاد مثل ذلك العدد العلم في كل قضية ، وهذا قول ضعيف .

والصحيح ما عليـه الأكثرون : أن العلم يحصـل بكثرة المخبرين تارة ، وقد يحصل بصفاتهم لدينهم وضبطهم ، وقد يحصل بقرائن تحتف بالخبر يحصل العلم بمجموع ذلك ، وقد يحصل العلم بطائفة دون طائفة .

وأيضاً فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقاً له أو عملا بموجبـه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف ، وهذا في معنى المتواتر ؛ لكن من الناس من يسميه المشهور والمستفيض ، ويقسمون الخبر الى متواتر

ومشهور وخبر واحد ، وإذا كان كذلك فأكثر متون الصحيحين معلومة متقنة تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق وأجمعوا على صحتها ، وإجماعهم معصوم من الخطأ ، كما أن إجماع الفقهاء على الأحكام معصوم من الخطأ ، ولو اجمع الفقهاء على حكم كان إجماعهم حجة وإن كان مستند أحدهم خبر واحد أو قياس أو عموم ، فكذلك أهل العلم بالحديث إذا أجمعوا على صحة خبر أفاد العلم ، وإن كان الواحد منهم يجوز عليه الخطأ ؛ لكن إجماعهم معصوم عن الخطأ .

ثم هذه الأحاديث التى أجمعوا على صحتها قد تتواتر وتستفيض عند بعضهم دون بعض ، وقد يحصل العلم بصدقها لبعضهم لعلمه بصفات المخبرين ، وما اقترن بالخبر من القرائن التى تفيد العلم ، كمن سمع خبراً من الصديق أو الفاروق يرويه بين المهاجرين والأنصار ، وقد كانوا شهدوا منه ما شهد ، وهم مصدقون له فى ذلك ، وهم مقرون له على ذلك ، وقوله : « انما الأعمال بالنيات » هو مما تلقاه أهل العلم بالقبول والتصديق وليس هو فى أصله متواتراً ؛ بل هو من غرائب الصحيح ، لكن لما تلقوه بالقبول والتصديق صار مقطوعا بصحته .

وفى السنن أحاديث تلقوها بالقبول والتصديق ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا وصية لوارث » فان هذا مما تلقته الأمة بالقبول والعمل بموجبه ، وهو فى السنن ليس فى الصحيح .

وأما عـدد ما يحصل به التواتر فمن النـاس من جعل له عـدداً محصوراً ، ثم يفرق هؤلاء ، فقيل : أكثر من أربعـة ، وقيل : اثنـا عشر ، وقيل : اربعون ، وقيل : سبعون ، وقيل : ثلاثمائة وثلاثة عشر وقيل : غير ذلك . وكل هذه الأقوال باطلة لتكافئها فى الدعوى .

والصحيح الذي عليه الجمهور : أن التواتر ليس له عدد محصور ، والعلم الحاصل بخبر من الأخبار يحصل فى القلب ضرورة ، كما يحصل الشبع عقيب الأكل والري عند الشرب ، وليس لما يشبع كل واحد ويرويه قـدر معين ؛ بل قد يكون الشبع لكثرة الطعام ، وقد يكون لجودته كاللحم وقد يكون لاستغناء الآكل بقليله ؛ وقد يكون لاشتغال نفسه بفرح ، أو غضب ؛ أو حزن ونحو ذلك .

كذلك العلم الحاصل عقيب الخـبر ، تارة يكون لكثرة المخبرين ، وإذا كثروا فقد يفيد خبرهم العلم ، وإن كانوا كفـاراً . وتارة يكون لدينهم وضبطهم . فرب رجلين أو ثلاثة يحصـل من العلم بخبرهم ما لا يحصل بعشرة وعشرين لا يوثـق بدينهم وضبطهم ، وتارة قـد يحصل العلم بكون كل من المخبرين أخـبر بمثل ما أخـبر به الآخر مع العلم بأنهما لم يتواطآ ، وانه يمتنع في العادة الاتفاق فى مثل ذلك ، مثل من يروى حديثاً طويلا فيه فصول ويرويه آخر لم يلقه . وتارة يحصل العلم بالخبر لمن عنده الفطنة والذكاء والعلم بأحوال المخبرين وبمـا أخبروا به

ما ليس لمن له مثل ذلك . وتارة يحصل العلم بالخبر لكونه روى بحضرة جماعة كثيرة شاركوا المخبر فى العلم ولم يكذبه أحد منهم ؛ فان الجماعة الكثيرة قد يمتنع تواطؤهم على الكتمان ، كما يمتنع تواطؤهم على الكذب .

وإذا عرف أن العلم بأخبار المخبرين له أسباب غير مجرد العدد علم ان من قيد العلم بعدد معين وسوى بين جميع الأخبار فى ذلك فقد غلط غلطاً عظيما ؛ ولهذا كان التواتر ينقسم إلى : عام ؛ وخاص ، فأهل العلم بالحديث والفقه قد تواتر عندهم من السنة ما لم يتواتر عند العامة ، كسجود السهو ، ووجوب الشفعة ، وحمل العاقلة العقل ، ورجم الزاني المحصن ؛ وأحاديث الرؤية وعذاب القبر ؛ والحوض والشفاعة ؛ وأمثال ذلك .

وإذا كان الخبر قد تواتر عند قوم دون قوم ، وقد يحصل العلم بصدقه لقوم دون قوم ، فمن حصل له العلم به وجب عليه التصديق به والعمل بمقتضاه ، كما يجب ذلك فى نظائره ، ومن لم يحصل له العلم بذلك فعليه أن يسلم ذلك لأهل الاجماع الذين أجمعوا على صحته ، كما على الناس ان يسلموا الأحكام المجمع عليها إلى من اجمع عليها من أهل العلم ؛ فان الله عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة وإنما يكون إجماعها بأن يسلم غير العالم للعالم ؛ إذ غير العالم لا يكون له قول ، وإنما القول للعالم ، فكما أن من لا يعرف أدلة الأحكام لا يعتد بقوله فمن لا يعرف طرق العلم بصحة الحديث لا يعتد بقوله ، بل على كل من ليس بعالم أن يتبع إجماع أهل العلم .

وقال أيضاً

فى الرد على بعض أئمة أهل الكلام لما تكلموا في المتأخرين من أهل الحديث وذموهم بقلة الفهم، وأنهم لا يفهمون معاني الحديث، ولا يميزون بين صحيحه من ضعيفه ويفتخرون عليهم بحذقهم، ودقة علومهم فيها، فقال — رحمه الله تعالى — :

لا ريب أن هذا موجود فى بعضهم، يحتجون بأحاديث موضوعة فى مسائل الفروع والأصول، وآثار مفتعلة، وحكايات غير صحيحة، ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه، وقد رأيت من هذا عجائب؛ لكنهم بالنسبة إلى غيرهم فى ذلك كالمسلمين بالنسبة إلى بقية الملل، فكل شر فى بعض المسلمين فهو في غيرهم أكثر، وكل خير يكون في غيرهم فهو فيهم أعظم، وهكذا أهل الحديث بالنسبة إلى غيرهم، وبازاء تكلم أولئك بأحاديث لا يفهمون معناها، تكلف هؤلاء من القول بغير علم ما هو أعظم من ذلك وأكثر، وما أحسن قول الامام أحمد : ضعيف الحديث خير من الرأي !

وقد أمر الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح بانتزاع مدرسة معروفة

من أبي الحسن الآمدي ، وقال : أخذها منه أفضل من أخذ عكا . مع أن الآمدي لم يكن فى وقتـه أكثر تبحراً فى الفنون الكلامية والفلسفية منـه ، وكان من أحسنهم إسلاما ، وأمثلهم اعتقـاداً ، ومن المعلوم أن الأمور الدقيقة — سواء كانت حقاً أو باطـلا ؛ إيماناً أو كفراً — لا تدرك إلا بذكاء وفطنة ؛ فلذلك يستجهلون من لم يشركهم في علمهم وإن كان ايمانه احسن من ايمانهم ؛ اذا كان منـه قصور فى الذكاء والبيان ، وهم كما قال الله تعالى : (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغـامزون) الآيات . فاذا تقلدوا عن طواغيتهم أن كل ما لم يحصل بهذه الطرق القيـاسية ليس بعلم وقد لا يحصل لكثير منهم منهـا ما يستفيد به الايمـان الواجب فيـكون كافراً زنديقاً ؛ منافقـاً ، جاهلا ؛ ضالا ، مضـلا ، ظلومـاً ، كفوراً ، ويكون من أكابر أعداء الرسل ومنافقي الملة ، من الذين قال الله فيهم : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين)

وقد يحصل لبعضهم ايمان ونفاق ويكون مرتداً : اما عـن أصل الدين أو بعض شرائعه ، إما ردة نفاق واما ردة كفر ، وهـذا كثير غالب ؛ لا سيما في الأعصار والأمصار التى تغلب فيها الجاهلية والكفر والنفاق ، فلهؤلاء من عجائب الجهل والظلم والكذب والكفر والنفاق والضلال مالا يتسع لذكره المقال .

وإذا كان فى المقالات الخفية ، فقد يقال : إنه فيها مخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التى يكفر صاحبها ، لكن ذلك يقع فى طوائف منهم في الأمور الظاهرة التى يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أنها من دين المسلمين ، بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث بها ، وكفر من خالفها ، مثل أمره بعبادة الله وحده لاشريك له ونهيه عن عبادة أحد سوى الله : من الملائكة والنبيين وغيرهم ، فان هذا أظهر شعائر الاسلام ، ومثل معاداة اليهود والنصارى والمشركين ، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك .

ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا في هذه الأنواع ، فكانوا مرتدين ، وإن كانوا قد يتوبون من ذلك ويعودون ، كرؤوس القبائل مثل : الأقرع وعيينة ونحوهم ممن ارتد عن الاسلام ثم دخل فيه ، ففيهم من كان يتهم بالنفاق ومرض القلب ، وفيهم من لم يكن كذلك ، فكثير من رؤوس هؤلاء هكذا تجده تارة يرتد عن الاسلام ردة صريحة ، وتارة يعود إليها ولكن مع مرض فى قلبه ونفاق ، وقد يكون له حال ثالثة يغلب الايمان فيها النفاق ، لكن قل أن يسلموا من نوع نفاق ، والحكايات عنهم بذلك مشهورة .

وقد ذكر ابن قتيبة عن ذلك طرفاً في أول « مختلف الحديث » ، وقد حكى أهل المقالات بعضهم عن بعض من ذلك طرفا ، كما يذكره

أبو الحسن الأشعري ، والقاضي أبو بكر ابن الباقلاني ، وأبو عبد الله الشهرستاني وغيرهم .

وأبلغ من ذلك أن منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الاسلام ! كما صنف الرازي كتابه في عبادة الكواكب : وأقام الادلة على حسن ذلك ومنفعته ورغب فيه ، وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين ، وإن كان قد يكون عاد إلى الاسلام ، وجميع ما يأمرون به من العلوم والأعمال والأخلاق لا يكفي في النجاة من عذاب الله فضلا أن يكون موصلا لنعيم الآخرة ، قال الله تعالى : (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) الآيتين ، وقال تعالى : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) إلى آخر السورة. فأخبر هنا بمثل ما أخبر به في الأعراف ، وان هؤلاء المعرضين عما جاءت به الرسل لما رأوا بأس الله وحدوا الله وتركوا الشرك فلم ينفعهم ذلك ، وكذلك اخبر عن فرعون . وهو كافر بالتوحيد والرسالة : أنه لما أدركه الغرق : (قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به) الآية . وقال تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) الآيتين .

وهذا في القرآن في مواضع يبين أن الرسل امروا بعبادة الله وحده لا شريك له ، ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه ، وأن

أهل السعادة هم أهل التوحيد ، وأن المشركين هم أهل الشقاوة ، ويبين أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون ، فعلم أن التوحيد والايمان بالرسل متلازمان ، وكذلك الايمان باليوم الآخر ، فالثلاثة متلازمة ؛ ولهذا يجمع بينها فى مثل قوله : (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) .

وأخبر فى غير موضع ان الرسالة عمت جميع بني آدم ؛ فهذه الأصول الثلاثة : توحيد الله ، والايمان برسله ، وباليوم الآخر أمور متلازمة ؛ ولهذا قال — سبحانه — : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن) إلى قوله : (وليقترفوا ما هم مقترفون) ، فأخبر أن جميع الأنبياء لهم أعداء ، وهم شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض القول المزخرف ، وهو : المزين المحسن يغرون به ، والغرور : التلبيس والتمويه ، وهذا شأن كل كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل من أمر المتكلمة وغيرهم من الأولين والآخرين ، ثم قال : (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) فعلم أن مخالفة الرسل وترك الايمان بالآخرة متلازمان ، فمن لم يؤمن بالآخرة أصغى إلى زخرف أعدائهم مخالف الرسل ، كما هو موجود فى أصناف الكفار والمنافقين فى هذه الأمة وغيرها ؛ ولهذا قال تعالى : (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم) إلى قوله : (هل ينظرون إلا تأويله يوم

يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل : قد جاءت رسل ربنا بالحق) فأخبر أن الذين تركوا الكتاب وهـو الرسالة يقولون إذا جاء تأويله — وهو ما أخبر به — جاءت رسل ربنا بالحق .

وهذا كما قال تعـالى : (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنـكا) .. الآيتين ، أخبر أن الذين تركوا اتباع آياته يصيبهم ما ذكر فقد تبين أن أصل السعادة والنجاة من العذاب هو توحيد الله بعبـادته وحده لا شريك له ، والايمان برسله واليوم الآخر ، والعمل الصالح ؛ وهذه الأمور ليست في حكمتهم ، ليس فيها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبـادة المخلوقات ، بل كل شرك في العـالم إنما حدث برأي جنسهم ، فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ، ومن لم يأمر بالشـرك منهم فلم ينه عنه ، بل يقر هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحاً ما ، فقد يرجح غيره المشركين ، وقد يعرض عن الأمرين جميعاً .

فتدبر هذا فانه نافع جداً . وقـد رأيت من مصنفاتهم فى عبـادة الكواكب والملائـكة وعبادة الأنفس المفارقة : أنفس الأنبيـاء وغيرهم ما هو أصل الشرك ، وهم إذا ادعـو التوحيد فانمـا توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل ، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيـه من التوحيد باخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له ؛ وهذا شيء لا يعرفونه .

والتوحيد الذين يدعونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات ، وفيه من الكفر والضلال ما هو من أعظم أسباب الاشراك ؛ فلو كانوا موحدين بالقول والكلام ، وهو : أن يصفوا الله بما وصفته به رسله لكان معهم التوحيد دون العمل ، وذلك لا يكفى فى السعادة والنجاة بل لا بد أن يعبدوا الله وحده ويتخذوه إلها دون ما سواه ، وهذا معنى قول : « لا إله إلا الله » فكيف وهم فى القول والكلام معطلون جاحدون لا موحدون ولا مخلصون ؟! فاذا كان ما تحصل به السعادة والنجاة من الشقاوة ليس عندهم أصلا كان ما يأمرون به من الأخلاق والأعمال والسياسات كما قال تعالى : (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) ، وقد جعل الله لكل شيء قدراً .

والقوم وإن كان لهم ذكاء وفطنة وفيهم زهد وأخلاق فهذا القول لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا بالأصول المتقدمة ، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن والارادة ، فالذي يؤتى فضائل علمية وإرادية بدون هذه الأصول بمنزلة من يؤتى قوة فى جسمه وبدنه بدون هذه الأصول، وأهل الرأي والعلم بمنزلة أهل الملك والامارة ، وكل من هؤلاء وهؤلاء لا ينفعه ذلك شيئاً إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له ، ويؤمن برسله واليوم الآخر .

ولما كان كل واحد من أهل الملك والعلم قد يعارضون الرسل

وقد يتابعونهم ذكر الله ذلك فى غير موضع ، فذكر فرعون ؛ والذي حاج إبراهيم لما آتاه الله الملك ؛ والملأ من قوم نوح وعاد وغيرهم ، وذكر قول علمائهم كقوله : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) وقال : (ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا) إلى قوله : (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) إلى قوله : (الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله) الآية . والسلطان : هو الوحي المنزل من عند الله .

وقد ذكر فى هذه السورة : « حم غافر » من حال مخالفي الرسل من الملوك والعلماء ومجادلتهم ما فيه عبرة ، مثل قوله : (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ، إن فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه) ، ومثل قوله : (ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون !) إلى قوله : (ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) .

وكذلك فى سورة الأنعام والأعراف وعامة السور المكية وطائفة من السور المدنية ؛ فانها تشتمل على خطاب هؤلاء وضرب المقاييس والأمثال لهم ، وذكر قصصهم وقصص الأنبياء وأتباعهم معهم ؛ ولهذا قال ـــ سبحانه ـــ : (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة) .. الآية . فأخبر بما مكنوا فيه من أصناف

الادراكات والحركات ، وأخبر أن ذلك لم يغن عنهم شيئاً حيث جحدوا بآيات الله والرسالة ؛ ولهذا حدثني ابن الشيخ الفقيه الخضري عن والده شيخ الحنفية فى زمنه قال : كان فقهاء بخارى يقولون فى ابن سينا : (كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض) الآية ، والقوة تعم قوة الادراك النظرية ، وقوة الحركة العملية ، وقال في الآية الأخرى : (كانوا أكثر منهم واشد قوة) فأخبر بفضلهم فى الكم والكيف ، وأنهم أشد فى أنفسهم وفى آثارهم فى الأرض .

وقد قال — سبحانه — عن أتباع هؤلاء الأئمة من أهل الملك والعلم المخالفين للرسل : (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا !) إلى قوله : (والعنهم لعناً كبيراً) وقال تعالى : (وإذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ؟) ومثل هذا فى القرآن كثير ، يذكر فيه قول أعداء الرسل وأفعالهم، وما أوتوه من قوى الادراكات والحركات التى لم تنفعهم لما خالفوا الرسل .

وقد ذكر الله سبحانه ما فى المنتسبين إلى اتباع الرسل من العلماء والعباد والملوك من النفاق والضلال فى مثل قوله : (يا أيها الذين آمنوا ! إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) الآية . و (يصدون) يستعمل لازما ؛ يقال : صد صدوداً

أعرض ، كقوله : (رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) ، ويقال : صد غيره يصده ، والوصفان يجتمعان فيهم . ومثل قوله تعالى : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية .

وفى الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة : ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ، طعمها مر ولا ريح لها » ، فبين أن فى الذين يقرأون القرآن مؤمنين ومنافقين ، وإذا كان سعادة الأولين والآخرين هي اتباع المرسلين فمن المعلوم ان أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك ، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة فى كل زمان ومكان وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة ، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة ، والرسل عليهم البلاغ المبين ، وقد بلغوا البلاغ المبين .

وخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم أنزل إليه كتاباً مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فهو الأمين على جميع الكتب ، وقد

بلغ أبين البلاغ وأتمه واكمله ، وكان أنصح الخلق لعباد الله ، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين ، فأسعد الخلق وأعظمهم نعيماً وأعلاهم درجة ، أعظمهم اتباعا له وموافقة علماً وعملا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله

فصـــــل

فى أحاديث يحتج بها بعض الفقهاء على أشيـاء وهي باطلة :

منها : قولهم : انـه « نهى عن بيع وشرط » فان هـذا حديث باطل ليس في شيء من كتب المسلمين ، وإنما يروى في حكاية منقطعة .

ومنها : قولهم : « نهى عن قفيز الطحان » وهذا أيضاً باطل .

ومنها : حديث محلل السباق إذا أدخـل فرس بين فرسين ، فان هذا معروف عن سعيد بن المسيب من قوله : هكذا رواه الثقات من أصحاب الزهري ، عن الزهري ، عن سعيد ، وغلط سفيان بن حسين فرواه عن الزهري عن سعيـد عن أبي هريرة مرفوعا ، وأهـل العلم بالحديث يعرفون أن هـذا ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر ذلك أبو داود السجستاني وغيره من اهل العلم .

وهم متفقون على أن سفيان بن حسين هـذا يغلط فيما يرويه عن الزهري ، وانه لا يحتج بما ينفرد به ، ومحلل السباق لا أصـل له فى الشريعة ، ولم يأمر النبي صـلى الله عليـه وسلم أمته بمحلل السباق وقد روى عن أبي عبيدة بن الجراح وغيره : أنهم كانوا يتسابقـون بجعل ولا يدخلون بينهم محللا ، والذين قالوا : هذا من الفقهـاء ظنوا أنه يكون قماراً ، ثم منهم من قال بالمحلل يخرج عن شبه القمار [و] ليس الأمر كما قالوه ، بل بالمحلل من (١) المخـاطرة وفى المحلل ظلم لأنه إذا سبق أخذ ؛ واذا سبق لم يعـط ، وغيره إذا سبق أعطى ، فدخول المحلل ظلم لا تأتي به الشريعة . والـكلام على هذا مبسوط فى مواضع أخر ، والله أعلم .

---

(١) بياض بالاصل .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

فصـــــل

قول أحمد بن حنبل : إذا جاء الحلال والحرام شددنا في الأسانيد ؛ وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنـا في الأسانيد ؛ وكذلك ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال : ليس معناه اثبات الاستحبـاب بالحديث الذي لا يحتج به ؛ فان الاستحباب حكم شرعى فلا يثبت الا بدليل شرعى ، ومن أخبر عن الله أنه يحب عملا من الأعمال من غير دليل شرعى فقد شرع مـن الدين مالم يأذن به الله ، كما لو أثبت الايجاب أو التحريم ؛ ولهـذا يختلف العلماء فى الاستحباب كما يختلفون فى غيره ، بل هو أصل الدين المشروع .

وإنما مرادهم بذلك : أن يكون العمل ممـا قد ثبت أنه مما يحبه الله أو مما يكرهه الله بنص أو إجماع ، كتلاوة القرآن ؛ والتسبيح ، والدعاء ؛ والصدقة ، والعتق ؛ والاحسان الى الناس ؛ وكراهة الكذب والخيانة ؛ ونحـو ذلك ، فاذا روى حديث فى فضل بعض الأعمـال

المستحبة وثوابها وكراهة بعض الأعمال وعقابها : فمقادير الثواب والعقاب وأنواعه اذا روى فيها حديث لا نعلم أنه موضوع جازت روايته والعمل به ، بمعنى : أن النفس ترجو ذلك الثواب أو تخاف ذلك العقاب ، كرجل يعلم أن التجارة تربح ،لكن بلغه أنها تربح ربحاً كثيراً ، فهذا إن صدق نفعه وإن كذب لم يضره . ومثال ذلك الترغيب والترهيب بالاسرائيليات ؛ والمنامات وكلمات السلف والعلماء ؛ ووقائع العلماء ونحو ذلك ، مما لا يجوز بمجرده اثبات حكم شرعي ؛ لا استحباب ولا غيره ، ولكن يجوز ان يذكر في الترغيب والترهيب ؛ والترجية والتخويف .

فما علم حسنه أو قبحه بأدلة الشرع فان ذلك ينفع ولا يضر ، وسواء كان فى نفس الأمر حقاً أو باطلا ، فما علم أنه باطل موضوع لم يجز الالتفات إليه ؛ فان الكذب لا يفيد شيئاً ، وإذا ثبت أنه صحيح أثبتت به الأحكام ، وإذا احتمل الأمرين روى لامكان صدقه ولعدم المضرة فى كذبه ، وأحمد إنما قال : اذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا فى الأسانيد . ومعناه : أنا نروى فى ذلك بالأسانيد وإن لم يكن محدثوها من الثقات الذين يحتج بهم . وكذلك قول من قال : يعمل بها فى فضائل الأعمال . إنما العمل بها العمل بما فيها من

الأعمال الصالحة ، مثل التلاوة والذكر والاجتناب لما كره فيها من الأعمال السيئة .

ونظير هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » مع قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ، فانه رخص في الحديث عنهم ، ومع هذا نهى عن تصديقهم وتكذيبهم ، فلو لم يكن في التحديث المطلق عنهم فائدة لما رخص فيه وأمر به ، ولو جاز تصديقهم بمجرد الاخبار لما نهى عن تصديقهم ؛ فالنفوس تنتفع بما تظن صدقه في مواضع .

فاذا تضمنت أحاديث الفضائل الضعيفة تقديراً وتحديداً مثل صلاة في وقت معين بقراءة معينة أو على صفة معينة لم يجز ذلك ؛ لأن استحباب هذا الوصف المعين لم يثبت بدليل شرعي ، بخلاف ما لو روي فيه من دخل السوق فقال : لا إله الا الله كان له كذا وكذا ! فان ذكر الله في السوق مستحب لما فيه من ذكر الله بين الغافلين ، كما جاء في الحديث المعروف : « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس » .

فاما تقدير الثواب المروى فيه فلا يضر ثبوته ولا عدم ثبوته ، وفي مثله جاء الحديث الذي رواه الترمذي : « من بلغه عن الله شيء فيه فضل فعمل به رجاء ذلك الفضل أعطاه الله ذلك وإن لم يكن ذلك كذلك » .

فالحاصل : أن هذا الباب يروى ويعمل به فى الترغيب والترهيب لا فى الاستحباب ، ثم اعتقاد موجبه وهو مقادير الثواب والعقاب يتوقف على الدليل الشرعي .

وسئل

عن قوم اجتمعوا على أمور متنوعة فى الفساد ؛ ومنهم من يقول: لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد بالتواتر ؛ اذ التواتر نقل الجم الغفير عن الجم الغفير ؟

فأجاب :

أما من أنكر تواتر حديث واحد فيقال له : التواتر نوعان : تواتر عن العامة ؛ وتواتر عن الخاصة وهم أهل علم الحديث . وهو أيضاً قسمان : ما تواتر لفظه ؛ وما تواتر معناه . فأحاديث الشفاعة والصراط والميزان والرؤية وفضائل الصحابة ونحو ذلك متواتر عند أهل العلم ، وهي متواترة المعنى وإن لم يتواتر لفظ بعينه ، وكذلك معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الخارجة عن القرآن متواترة أيضاً ، وكذلك سجود السهو متواتر أيضاً عند العلماء ، وكذلك القضاء بالشفعة ونحو ذلك .

وعلماء الحديث يتواتر [عندهم] ما لا يتواتر عند غيرهم ؛ لكونهم

سمعوا ما لم يسمع غيرهم ، وعلموا من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم غيرهم . والتواتر لا يشترط له عدد معين ؛ بل من العلماء من ادعى أن له عدداً يحصل له به العلم من كل ما أخبر به كل مخبر ، ونفوا ذلك عن الأربعة وتوقفوا فيما زاد عليها ، وهذا غلط ! فالعلم يحصل تارة بالكثرة ؛ وتارة بصفات المخبرين ؛ وتارة بقرائن تقترن بأخبارهم وبأمور أخر .

وأيضاً فالخبر الذي رواه الواحد من الصحابة والاثنان : اذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق أفاد العلم عند جماهير العلماء ، ومن الناس من يسمى هذا : المستفيض . والعلم هنا حصل باجماع العلماء على صحته ؛ فان الاجماع لا يكون على خطاء ؛ ولهذا كان اكثر متون الصحيحين مما يعلم صحته عند علماء الطوائف : من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية والأشعرية ، وانما خالف في ذلك فريق من أهل الكلام كما قد بسط فى موضعه .

وسئل شيخ الاسلام

عن رجل سمع كتب الحديث والتفسير واذا قرىء عليه «كتاب الحلية» لم يسمعه، فقيل له: لم لا تسمع أخبار السلف؟ فقال: لا أسمع من كتاب ابي نعيم شيئاً. فقيل: هو امام ثقة شيخ المحدثين فى وقته فلم لا تسمع ولا تثق بنقله؟ فقيل له: بيننا وبينك عالم الزمان وشيخ الاسلام ابن تيمية فى حال ابي نعيم؟ فقال: انا أسمع ما يقول شيخ الاسلام وأرجع إليه.

فأرسل هذا السؤال من دمشق، فأجاب فيه الشيخ:

الحمد لله رب العالمين. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني صاحب كتاب «حلية الأولياء»، «وتاريخ اصبهان» «والمستخرج على البخاري ومسلم»، و «كتاب الطب» «وعمل اليوم والليلة» و «فضائل الصحابة» و «دلائل النبوة» و «صفة الجنة» و «محجة الواثقين» وغير ذلك من المصنفات: من اكبر حفاظ الحديث ومن اكثرهم تصنيفات، وممن انتفع الناس بتصانيفه، وهو أجل من أن يقال له: ثقة؛ فان درجته فوق ذلك وكتابه «كتاب الحلية» من أجود

الكتب المصنفة فى أخبار الزهاد ، والمنقول فيـه أصح من المنقول فى رسالة القشيري ومصنفـات أبى عبد الرحمـن السلمي شيخه ، ومناقب الأبرار لابن خميس وغير ذلك ؛ فان أبا نعيم أعلم بالحديث واكثر حديثاً وأثبت رواية ونقلا من هؤلاء ، ولكن كتاب الزهد للامام احمد والزهد لابن المبارك وأمثالهما أصح نقلا من الحلية .

وهـذه الـكتب وغيرها لابد فيها مـن أحاديث ضعيفة وحكايات ضعيفة بل باطلة ، وفي الحلية مـن ذلك قطع ! ولـكن الذي فى غيرها من هذه الـكتب اكثر مما فيهـا ؛ فان فى مصنفات ابى عبد الرحمن السلمي ؛ ورسالة القشيري ؛ ومنـاقب الأبرار ؛ ونحـو ذلك ، مـن الحـكايات الباطلة بل ومن الأحاديث الباطـلة : ما لا يوجد مثـله في مصنفات ابي نعيم ، ولـكن « صفوة الصفوة » لأبى الفرج ابن الجوزي نقلها مـن جنس نقل الحلية ، والغالب عـلى الـكتابين الصحة ، ومع هذا ففيها أحاديث وحكايات باطلة ، وأما الزهد للامام أحمد ونحـوه فليس فيه من الأحاديث والحـكايات الموضوعة مثل ما فى هذه ؛ فانه لا يذكر فى مصنفاته عمن هو معروف بالوضع ، بل قد يقـع فيها ما هو ضعيف بسوء حفظ ناقله ، وكذلك الأحاديث المرفوعة ليس فيهـا ما يعرف أنه موضوع قصد الـكذب فيـه ، كما ليس ذلك فى مسنده . لـكن فيـه ما يعرف أنه غلط غلط فيه رواته ، ومثل هـذا يوجد فى غالب كتب الاسلام ، فلا يسلم كتاب من الغلط الا القرآن .

وأجل ما يوجد فى الصحة « كتاب البخاري » وما فيه متن يعرف أنه غلط على الصاحب ، لكن في بعض ألفاظ الحديث ما هو غلط ، وقد بين البخاري في نفس صحيحه ما بين غلط ذلك الراوي ، كما بين اختلاف الرواة فى ثمن بعير جابر ، وفيه عن بعض الصحابة ما يقال : إنه غلط ، كما فيه عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم ، والمشهور عند اكثر الناس أنه تزوجها حلالا . وفيه عن أسامة : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل فى البيت ،وفيه عن بلال : أنه صلى فيه ، وهذا أصح عند العلماء .

وأما مسلم ففيه ألفاظ عرف انها غلط ، كما فيه: « خلق الله التربة يوم السبت » ، وقد بين البخاري ان هذا غلط ، وأن هذا من كلام كعب ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الكسوف بثلاث ركعات في كل ركعة ، والصواب : انه لم يصل الكسوف الا مرة واحدة ، وفيه أن أبا سفيان سأله التزوج بأم حبيبة ، وهذا غلط .

وهذا من أجل فنون العلم بالحديث ، يسمى : علم « علل الحديث » وأما كتاب حلية الأولياء فمن أجود مصنفات المتأخرين في أخبار الزهاد ، وفيه من الحكايات ما لم يكن به حاجة إليه ، والأحاديث المروية في أوائلها أحاديث كثيرة ضعيفة بل موضوعة .

وسئل :

عمن نسخ بيده صحيح البخاري ومسلم والقرآن ، وهو ناو كتابة الحديث وغيره ، وإذا نسخ لنفسه أو للبيع هل يؤجر ؟ الخ .

فأجاب :

وأما كتب الحديث المعروفة : مثل البخاري ومسلم . فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن وما جمع بينهما : مثل الجمع بين الصحيحين للحميدي ولعبد الحق الاشبيلي ، وبعد ذلك كتب السنن : كسنن أبي داود ؛ والنسائي ؛ وجامع الترمذي ؛ والمساند : كمسند الشافعي ؛ ومسند الامام احمد .

وموطأ مالك فيه الأحاديث والآثار وغير ذلك ، وهو من أجل الكتب ، حتى قال الشافعي : ليس تحت أديم السماء بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك ، يعنى بذلك ما صنف على طريقته ؛ فان المتقدمين كانوا يجمعون فى الباب بين المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، ولم تكن وضعت كتب الرأي التى تسمى « كتب

الفقه » وبعد هذا جمع الحديث المسند في جمع الصحيح للبخاري ومسلم والـكتب التي تحب ، ويؤجر الانسان على كتابتها ، سواء كتبهـا لنفسه أو كتبها ليبيعها ، كما قال النبي صـلى الله عليه وسـلم : « إن الله يدخل بالسهم الواحد الجنة ثلاثة : صانعه ؛ والرامي به ؛ والممد به » ، فالـكتابة كذلك ؛ لينتفع به أو لينفع به غيره ، كلاهما يثاب عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن(١)

أخبرنا الزين أبو محمد عبد الرحمن بن العماد أبي بكر ابن زريق الحنبلي في كتابه إليّ غير مرة ، أخبرنا أبو العباس احمد بن أبي بكر بن احمد ابن عبد الحميد المقدسي سماعا في يوم السبت ٢٤ صفر سنة ٧٩٧ ، (ح) وكتب إلي الاشياخ الثلاثة : أبو اسحق الحرملي ، وأبو محمد البقري ، وأبو العباس الرسلاني ، قالوا : أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي اذناً مطلقاً ، قالا : أخبرنا الشيخ الامام العالم العلامة البارع الأوحد القدوة الحافظ ، أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمة ، قال الذهبي : بقراءتي عليه في جمادي الآخرة سنة ٧٢١ . قال :

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من

---

(١) هذه «الأربعين لشيخ الاسلام» سمعها جماعة على الذهبي .

شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنـا ، من يهده الله فـلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، ونشهـد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره عـلى الدين كله ولو كره المشركون . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

الحديث الاول

أخبرنا الامام زين الدين أبو العباس احمد بن عبد الدائم بن نعمة بن احمد المقدسي قراءة عليه وأنا اسمع سنة ٦٦٧ ، أخبرنا أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن كليب قراءة عليه ، أخبرنا أبو القاسم على بن احمد بن محمد بن بيان الرزاز قراءة عليه ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد [بن ابراهيم] بن مخلد البزاز ، أخـبرنا ابو عـلي اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الصفار ، حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيـد العبدي ، حدثني ابو بكر بن عياش ، عن ابى اسحق السبيعي ، عن البراء ابن عازب ، قال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأحرمنـا بالحج .

قال : فلما قدمنا مكة قال : « اجعلوا حجكم عمرة » ، قال : فقال الناس : « يارسول الله ! قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة ؟ » ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انظروا الذي آمركم به فافعلوا » ، قال : فردوا عليه القول ، فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة رضي الله عنها غضبان ، فرأت الغضب في وجهه فقالت : من أغضبك أغضبه الله » ، قال : « ومالي لا اغضب وأنا آمر بالأمر ولا أتبع » .

رواه النسائي وابن ماجه من حديث أبي بكر ابن عياش ،

مولده في صفر سنة ٥٧٥ . وتوفي يوم الاثنين ثامن رجب سنة ٦٦٨ .

الحديث الثاني

أخبرنا الشيخ المسند كمال الدين أبو نصر عبد العزيز بن عبد المنعم ابن الخضر بن شبل بن عبد الحارثي قراءة عليه وأنا أسمع في يوم الجمعة سادس شعبان سنة ٦٦٩ بجامع دمشق ، أخبرنا الحافظ أبو محمد القاسم بن الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر

قراءة عليه فى ربيع الآخر سنة ٥٩٦ ، أخبرنا أبو الفضائل ناصر بن محمود ابن علي القدسي الصائغ ، وأبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل السوسى ؛ قراءة عليها ، قالا : أخبرنا ابو الحسن علي بن احمد بن زهير المالكي ، حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي المالكي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله القطان ، حدثنا خيثمة ، حدثنا العباس بن الوليد ، حدثنا عقبة بن علقمة ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن عطية بن قيس ، عن عبد الله بن عمرو ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي ، فنظرت . فاذا هو نور ساطع عمد به الى الشام ! ألا إن الايمان — إذا وقعت الفتن — بالشام » .

مولده سنة ٥٨٩ . وتوفي في شعبان سنة ٦٧٢ .

الحديث الثالث

أخبرنا الامام تقي الدين ابو محمد اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر التنوخي قراءة عليه وأنا اسمع فى سنة ٦٦٩ ، أخبرنا أبو طاهر بركات بن ابراهيم الخشوعي قراءة عليه ، أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن

الخضر السلمي ، أخبرنا أبو الحسين طاهر بن أحمد بن علي بن محمود المحمودي العانى ، أخبرنا أبو الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحيم بن بنت الكاغدي ، حدثنا ابو عمرو الحسن بن علي بن الحسن العطار ، حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير بن الحارث القيسي ، حدثنا وكيع ابن الجراح بن مليح الرواسي ، عن الاعمش ، عن أبى صالح ، عن أبي سعيد [الخدري] ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدعى نوح يوم القيامة ، فيقال له : « هل بلغت ؟ » فيقول : « نعم ! » ، فيدعى قومه فيقال لهم : « هل بلغكم ؟ » فيقولون : « ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد ! » ، فيقال لنوح : « من يشهد لك ؟ » فيقول : « محمد وأمته » فذلك قوله : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) . قال : الوسط العدل » .

مولده سنة ٥٨٩ . توفى فى صفر سنة ٦٧٢ .

الحديث الرابع

أخبرنا الفقيه سيف الدين ابو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن نجم ابن عبد الوهاب الحنبلي قراءة عليه وأنا أسمع فى يوم الجمعة عاشر شوال

سنة ٦٦٩ ، وابو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن القواس ، والمؤمل بن محمد البالسي ، وابو عبد الله محمد بن ابي بكر العامري في التاريخ ، وأبو العباس احمد بن شيبان ، وابو بكر بن محمد الهروي ، وابو زكريا يحيى ابن ابى منصور بن الصيرفى ، وابو الفرج عبد الرحمن بن سليمان البغدادي والشمس بن الزين ، والكمال عبد الرحيم ، وابن العسقلاني ، وزينب بنت مكي ، وست العرب .

قال الأل وابن شيبان وزينب : أخبرنا ابو حفص عمر بن محمد ابن طبرزذ .

وقال الباقون وابن شيبان : اخبرنا زيد بن الحسن الكندي ، زاد ابن الصيرفى فقال : وابو محمد عبد العزيز بن معالى بن غنيمة بن منينا قراءة عليه ، قالوا : أخبرنا القاضي ابو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الانصاري ، اخبرنا ابو اسحق ابراهيم بن عمر بن احمد البرمكي ، اخبرنا ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن ايوب بن ماسي ، حدثنا ابو مسلم ابراهيم بن عبد الله بن مسلم الكجي ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنى حميد عن انس :

أن الربيع بنت النضر عمته لطمت جارية فكسرت سنها ، فعرضوا عليهم الارش فأبوا ، فطلبوا العفو فأبوا ، فأتوا النبي صلى الله عليه

وسلم فأمرهم بالقصاص ، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال : يارسول الله اتكسر سن الربيع ! ؟ والذي بعثك بالحق لاتكسر سنها — قال : — « يا انس ! كتاب الله القصاص » ، فعفا القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من عباد الله من لو اقسم على الله لأبره » .

أخرجه البخاري عن الانصاري .

مولده سنة ٥٩٢ . وتوفى فى شوال سنة ٦٧٢ .

الحديث الخامس

أخبرنا الحاج المسند ابو محمد ابو بكر ابن . محمد بن ابي بكر بن عبد الواسع الهروي في رابع ربيع الأول سنة ٦٦٨ ، والمذكورون بسندهم الى الانصاري ، قال حدثني حميد ، عن انس ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » قال : قلت : يارسول الله ! أنصره مظلوماً ، فكيف أنصره ظالما ؟ قال : « تمنعه من الظلم ، فذاك نصرك إياه » .

أخرجه البخاري عن عثمان بن ابى شيبة عن هشيم . وأخرجه

الترمذي عن محمد بن حاتم عن الأنصاري ــ كما أخرجناه ــ وقال : حسن صحيح .

وأخبرنا به الشيخ شمس الدين بن ابي عمر قراءة عليه ، اخبرنا ابو اليمن الكندي (فذكره) .

مولده سنة ٥٩٤ . وتوفي في رجب سنة ٦٧٣ .

الحديث السادس

أخبرنا الشيخ المسند زين الدين ابو العباس المؤمل بن محمد بن علي ابن محمد بن علي بن منصور بن المؤمل البالسي قراءة عليه وأنا اسمع سنه ٦٦٩ ، والمذكورون بسندهم الى الأنصاري ، قال : حدثنى سليمان التيمي ، عن انس بن مالك ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

رواه البخاري ومسلم بمعناه من رواية عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس . مولده سنة ٦٠٢ وقيل ثلاث . وتوفى فى رجب سنة ٦٧٧ .

الحديث السابع

اخبرنا الشيخ العدل رشيد الدين ابو عبد الله محمد بن أبي بكر محمد بن محمد بن سليمان العامري قراءة عليه وانا اسمع سنة ٦٦٩ ، والمذكورون بسندهم إلى الانصاري ، حدثني التيمي ، حدثنا أنس بن مالك ، قال :

عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم رجلان فشمت — او فسمت — أحدهما ولم يشمت الآخر — او فسمته ولم يسمت الآخر — فقيل : يارسول الله ! عطس عندك رجلان فشمت احدهما ولم تشمت الآخر ؟ ! — او فسمته ولم تسمت الآخر — فقال : « ان هذا حمد الله فشمته ، وان هذا لم يحمد الله فلم أشمته » .

رواه البخاري ، عن محمد بن كثير ، عن سفيان الثوري . ورواه مسلم ، عن محمد بن عبد الله بن نمير ، عن حفص بن غياث . كلاهما عن التيمي .

توفي في ذي الحجة سنة ٦٨٢ .

الحديث الثامن

اخبرنا الامام العالم الزاهد كمال الدين ابو زكريا يحيى بن ابى منصور بن ابى الفتح بن رافع بن علي الحراني ابن الصيرفى قراءة عليه في شوال سنة ٦٦٨ ، اخبرنا ابو العباس احمد بن يحيى بن بركة ابن الديبقي قراءة عليه وانا اسمع ، اخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد بن الحسن القزاز قراءة عليه في حادي عشرين جمادى الأولى سنة ٥٣٤ ، اخبرنا ابو جعفر محمد بن احمد بن محمد بن عمر ابن المسلم المعدل املاء من لفظه باستملاء شيخنا ابى بكر الخطيب فى صفر سنة ٤٦٣ ، اخبرنا ابو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري ، اخبرنا ابو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابى ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا اسماعيل بن جعفر ، عن ابى سهيل نافع بن مالك بن ابى عامر ، عن ابيه ، عن ابى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« آية المنافق ثلاثة : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » .

الحديث التاسع

أخبرنا الشيخ الفقيه الامام العالم البارع جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن سليمان بن سعيد بن سليمان البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٦٦٨، أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي قراءة عليه، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن أحمد بن المقري، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص سنة ٣٩٠، حدثنا يحيى، حدثنا يونس، حدثنا أبو الاحوص، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن محمد بن عمير، عن أبي هريرة، قال :

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين وعن لبستين : أن يلبس الرجل الثوب الواحد ويشتمل به ويطرح أحد جانبيه على منكبه، ويحتبي فى الثوب الواحد . وأن يقول : انبذ إلي ثوبك وأنبذ إليك ثوبى من غير أن يقلبا .

مولده سنة ٥٨٥ بحران . وتوفي فى شعبان سنة ٦٧٠ بدمشق .

الحديث العاشر

أخبرنا شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غدير بن القواس الطائي قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٦٧٥ ، وأبو الحسن ابن البخاري ، قالا : أخبرنا أبو العباس الخضر بن كامل ابن سالم السروجي قراءة عليه ، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن أحمد المقري .

وقال الفخر البخاري : أخبرنا أبو اليمن الكندي أيضاً ، أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي ، قالا : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن هارون ابن أخي ميمي الدقاق ، حدثنا عبد الله ، حدثنا داود ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن أبي غسان محمد بن مطرف ، عن زيد بن أسلم ، عن علي بن الحسين ، عن سعيد بن مرجانة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

من أعتق رقبة أعتق الله عز وجل بكل عضو منها عضواً منه

من النار ، حتى فرجه بفرجه ! »

رواه البخاري ، عن محمد بن عبد الرحيم ، عن داود بن رشيد ، ورواه مسلم ، عن داود نفسه . ورواه الترمذي ، عن قتيبة ، عن الليث عن ابن الهاد ، عن عمر بن علي بن الحسين ، عن سعيد بن مرجانة .

ولد سنة ٦٠٢ . وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٦٨٢ .

الحديث الحادى عشر

أخبرنا المشايخ الصلحاء المسندون أبو عبد الله محمد بن بدر بن محمد بن يعيش الجزري ، وأبو العباس احمد بن شيبان ، وأبو الفضل اسماعيل بن أبي عبد الله بن العسقلانى ، وزينب بنت احمد بن كامل قراءة عليهم وأنا أسمع فى شعبان سنة ٦٧٥ بقاسيون ، قالوا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ البغدادي قراءة عليه ونحن نسمع ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن احمد بن عبد القادر بن يوسف ، وأبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز ، وأبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد البيضاوي ؛ قراءة عليهم وأنا أسمع ، قالوا : أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن المسلم المعدل ، اخبرنا أبو طاهر محمد بن

عبد الرحمن بن العباس المخلص ، اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز البغوي ، حدثني عبد الله بن مطيع ، حدثنا اسماعيل ابن جعفر .

قال البغوي : وحدثنى صالح بن مالك ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله
قال البغوي : وحدثني جدي ، حدثنا يزيد بن هارون .

كلهم عن حميد . عن أنس :

أن النبي صلى عليه وسلم قال : « دخلت الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب فقلت : لمن هذا القصر ؟ » فقالوا : لشاب من قريش ، فظننت انى أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : عمر بن الخطاب » .

واللفظ لابن مطيع .

توفي فى شعبان سنة ٦٧٥ .

الحديث الثاني عشر

أخبرنا الفقيه الامام العالم العامل زين الدين أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبى الفرج بن أبى طاهر بن محمد بن نصر عرف بابن السديد

الانصاري الحنفي قراءة عليه في رجب سنة ٦٧٥ ، أخبرنا أبو اليمن زيد ابن الحسن بن زيد الكندي قراءة عليه ، وأخبرتنا زينب بنت مكي ، قالت : أخبرنا ابو حفص ابن طبرزذ .

قالا : أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن الانصاري ، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عيسى الباقلاني ، حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي ، حدثنا محمد بن موسى القرشي ، حدثنا عون بن عمارة ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصائم بالخيار ما بينه وبين نصف النهار » .

توفي في جمادى الأولى سنة ٦٧٧ وله ثلاث وسبعون سنة ،

الحديث الثالث عشر

أخبرنا الشيخ الامام المقرىء الرئيس الفاضل كمال الدين ابو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن اسماعيل بن فارس التميمي السعدي قراءة عليه وأنا أسمع في رمضان سنة ٦٧٤ ، أخبرنا ابو اليمن زيد بن الحسن بن زيد

الكندي ، اخبرنا القاضي ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري ، اخبرنا ابو الحسين محمد بن احمد بن حسنون النرسي سنة ٤٥٥ ، اخبرنا ابو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص ، حدثنا ابو القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، حدثنا شريح بن يونس ، ومحمد بن يزيد الأدمي ، وابن البزار ، وهارون بن عبد الله ، قالوا : حدثنا معن ، عن معاوية بن صالح عن بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن عقبة بن عامر الجهني ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة ، والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة » .

أخبرناه عاليا بدرجة ، ويوافقه احمد بن عبد الدائم ، أخبرنا ابن كليب اخبرنا ابن بيان ، حدثنا ابن مخلد ، اخبرنا الصفار ، حدثنا ابن عرفة ، حدثنا اسماعيل بن عياش ، عن بحير (فذكره) .

مولده سنة ٥٩٦ . وتوفي في صفر سنة ٦٧٦ .

الحديث الرابع عشر

اخبرنا الامام المسند زين الدين ابو العباس احمد بن ابي الخير سلامة بن إبراهيم بن سلامة بن الحداد الدمشقي بقراءتي عليه وانا

اسمع فى ربيع الاول سنه ٦٧٥ ، قلت له : اخبرك ابو سعيد خليل ابن ابى الرجاء بن ابى الفتح الراراني اجازة ، وقرىء على والدي وأنا أسمع بحران سنة ٦٦٦ ، أخبرك يوسف بن خليل أخبرنا الراراني ، أخبرنا أبو علي الحسن بن احمد بن الحسن الحداد ، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق الحافظ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد ، حدثنا الحارث بن أبي أسامة ، حدثنا عبد الله بن بكر ، حدثنا حميد ، عن أنس ، قال :

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حبلا ممدوداً بين ساريتين من سواري المسجد . قال : « ما هذا الحبل ؟ » قالوا : « يا رسول الله ! فلانة تصلي ما عقلت ؛ فاذا غلبت أخذت به ، قال : « فلتصل ما عقلت ؛ فاذا غلبت فلتنم » .

مولده فى ربيع الاول سنة ٦٠٩ . وتوفي في يوم عاشوراء سنة ٦٧٨

الحديث الخامس عشر

أخبرنا العدل المسند أمين الدين أبو محمد القاسم بن أبي بكر ابن قاسم بن غنيمة الاربلي ، وأبو بكر ابن عمر بن يونس المزي الحنفي

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان العامري ؛ قراءة عليهم وأنا أسمع سنة ٦٧٧ .

قال الاول : أخبرنا أبو الحسن المؤيد ، عن محمد بن الفضل بن احمد الفراوي .

وقال الآخران : أخبرنا أبو القاسم عبد الصمد بن الحرستاني قراءة عليه ، أخبرنا الفراوي اجازة ، أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر ابن محمد بن عبد الغافر الفارسي ، أخبرنا أبو احمد محمد بن عيسى ابن عمرويه الجلودي ، أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج القشيري ، حدثنا خلف بن هشام ، وأبو الربيع الزهراني ، وقتيبة بن سعيد ، كلهم عن حماد .

قال خلف : حدثنا حماد بن زيد ، عن محمد بن زياد ، حدثنا أبو هريرة قال :

قال محمد صلى الله عليه وسلم : « أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار ؟! »

ولد الاربلي فى سنة ٥٩٥ أو قبلها باربل ، وتوفى فى جمادى الاولى سنة ٦٨٠ ، وولد المزي سنة ٥٩٣ ، وتوفى فى شعبان سنة ٦٨٠ .

الحديث السادس عشر

أخبرنا الشيخ الامام العالم قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء بن حسن الحنفي قراءة عليه وأنا أسمع في سنة ٦٦٧ ، وأبو العباس ابن علان ، وأبو العباس ابن شيبان ، قالوا : أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافى قراءة عليه ، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى ، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن المذهب التميمي ، أخبرنا أبو بكر احمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي ، حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن الامام أبى عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيبانى رضي الله عنه ، حدثني أبى احمد بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار سمعت عمر يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلباً — إلا كلب ماشية أو كلب قنص — نقص من أجره كل يوم قيراطان » .

مولده سنة ٥٩٥ . وتوفى فى جمادى الاولى سنة ٦٧٣ .

الحديث السابع عشر

أخبرنا الشيخ الامام العـالم العلامة الزاهد قاضي القضـاة شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمر محمـد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي قراءة عليه وأنا أسمع فى شعبان سنة ٦٦٧ بقاسيون وابن شيبان وابن العسقلاني ، وابن الحموى ، قالوا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ابن الحصين ، أخبرنا أبو طـالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيـلان البزاز ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم الشافعي ، حدثنـا محمـد بن سلمة الواسطي ، حدثنـا يزيد بن هارون ، حدثنـا سليمان التيمي ، عن أبى عثمان النهـدي ، عن أبي موسى الأشعري رضـي الله عنه ، قال :

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان القوم يصعدون عقبة أو ثنية ، فاذا صعد الرجل قال : « لا إله إلا الله والله اكبر » ـ قال : احسبه قال بأعلى صوته ـ ورسول الله صلى الله عليـه وسلم على بغلتـه يعرضها فى الجبل ، فقـال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا موسـى !

انكم لا تنادون أصم ولا غائباً » . ثم قال : « يا عبد الله بن قيس ! — أو يا أبا موسى — ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة ! » . قال ! « قلت : بلى يا رسول الله ! » قال : « قل : لا حول ولا قوة إلا بالله »

مولده سنة ٥٩٧ . وتوفى فى سنة ٦٨٢ .

الحديث الثامن عشر

أخبرنا المسند الاصيل العدل مجد الدين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عثمان بن المظفر بن هبة الله بن عساكر الدمشقي قراءة عليه وأنا اسمع فى شعبان سنة ٦٦٧ ، أخبرنا الحافظ أبو محمد القاسم بن علي ابن الحسن بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه ، أخبرنا أبو الدر ياقوت ابن عبد الله الرومي التاجر مولى ابن البخاري قراءة عليه .

وأخبرتنا زينب بنت مكى ، واسماعيل بن العسقلاني ، قالا : اخبرنا ابن طبرزد ، اخبرنا القاضي أبو بكر الانصاري ، وابو بكر احمد بن الاشقر الدلال ، وابو غالب محمد بن احمد بن قريش ، وابو بكر احمد بن دحروج .

قالوا جميعهم : اخبرنا ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن

هزار مرد الصريفيني قراءة عليه ، حدثنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص املاء في شعبان سنة ٣٩٣ ، حدثنا ابو القاسم عبد الله بن محمد بن البغوي ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا مبارك ابن فضالة ، حدثنا الحسن ، عن أنس ، قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جانب خشبة مسنداً ظهره إليها . فلما كثر الناس قال : « ابنوا لي منبراً له عتبتان ، فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أنس : وانا فى المسجد ، فسمعت الخشبة تحن حنين الواله ، فما زالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكتت ! »

وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال : يا عباد الله ! الخشبة تحن إلى رسول الله شوقاً إليه لمكانه من الله عز وجل ، فأنتم أحق أن تشتاقوا الى لقائه .

مولده سنة ٥٨٧ . وتوفى في ذي القعدة سنة ٦٦٩ .

الحديث التاسع عشر

اخبرنا الشيخ الامام الصدر الرئيس شمس الدين أبو الغنائم المسلم ابن محمد بن المسلم بن علان القيسي قراءة عليه وأنا اسمع في سنة

٦٨٠ ، وابو الحسن بن البخـاري ، قالا : اخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي قراءة عليه ، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الانصاري ، حدثنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد ابن الحسن الجوهري املاء ، أخبرنا أبو بكر احمد بن جعفر بن حمدان ابن مالك القطيعي ، حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الاعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال :

قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجـل : الصـوم لي وأنا اجزي به ، يدع شهوته واكله وشربه من اجـلي ، والصوم جنة ، وللصائم فرحتـان : فرحة حين يفطر ، وفرحـة حين يلـقى الله عز وجـل ، ولخلوف فم الصائم أطيب عنـد الله مـن ريح المسك » .

ولد سنة ٥٩٤ . وتوفى فى سادس ذي الحجة سنة ٦٨٠ .

الحديث العشرون

أخبرنا الرئيس عماد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الصعر ابن السيد بن الصائغ الانصاري قراءة عليه وأنا اسمع فى سنـة ٦٧٦ ،

وأبو العز يوسف بن يعقوب بن المجـاور ، والمسلم بن علان ، قالوا : أخبرنا أبو اليمـن زيد بن الحسـن بن زيد الكندي قراءة عليـه أخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد بن زريق القزاز الشيبـاني قراءة عليه ، اخبرنا الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي اخبرنا ابو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي ، حدثنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملي ، حدثنـا ابو موسى محمد بن المثنى ، حدثنا ابن عيينة ، عن هشام بن عروة ، عن ابيـه ، عن عائشة رضي الله عنها :

أن النبي صلى الله عليه وسلم لمـا جاء إلى مكة دخلها من اعلاهـا وخرج من اسفلها .

رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسـائي عن أبي موسى .

توفي في رمضان سنة ٦٧٩ .

الحديث الحادي والعشرون

اخبرنا ابو اسحق ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن يحيى بن علوي بن الحسين الدرجي القرشي قراءة عليه وانا اسمع في رجب سنـة ٦٨٠ ،

اخبرنا ابو جعفر محمد بن احمد بن نصر بن أبي الفتح الصيدلاني اجازة ، اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن الحسن الحداد ، اخبرنا ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق الحافظ ، اخبرنا ابو محمد عبد الله بن جعفر بن احمد بن فارس ، قال سمعت سفيان بن عيينة يقول : [حدثنا] عاصم ، عن زر ، قال :

أتيت صفوان بن عسال المرادى فقال لي : ما جاء بك ؟ قلت : جئت ابتغاء العلم . قال : فان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب . قلت : حك فى نفسي — او صدرى — مسحاً على الخفين بعد الغائط والبول ، فهل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ! كان يأمرنا إذا كنا سفراً — أو مسافرين — ان لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة ؛ ولكن من غائط او بول او نوم . قلت : هل سمعته يذكر الهدى ؟ قال : نعم ! بينا نحن معه فى مسير إذ ناداه اعرابي بصوت له جهورى فقال : يا محمد ! فأجابه على نحو من كلامه : هاؤم ! قال : أرأيت رجلا يحب قوماً ولم يلحق بهم ؟ قال : المرء مع من احب . ثم لم يزل يحدثنا أن من قبل المغرب باباً يفتح الله عز وجل للتوبة مسيرة عرضه اربعون سنة ولا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله ! وذلك قول الله : (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها) .. الآية .

ولد سنة ٥٩٩ . وتوفى فى صفر سنة ٦٧١ .

الحديث الثاني والعشرون

أخبرنا نجيب الدين أبو المرهف المقـداد بن أبي القاسم هبة الله ابن المقداد بن علي القيسي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن الأخضر قراءة عليه ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصـاري ، أخبرنا أبو اسحاق البرمكي ، أخبرنا أبو محمــد بن ماسي ، حدثنـا أبو مسلم الكجي ، حدثنـا محمــد بن عبد الله الأنصاري ، حدثني سليمان التيمي ، عن أنس بن مالك ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : لا هجرة بين المسلمين فوق ثلاثة أيام ــ أو قال ثلاث ليال ــ .

الحديث الثالث والعشرون

أخبرنا الامام أبو عبد الله محمد بن عامر بن أبي بكر الغسولي بقراءتي عليه في سنة ٦٨٢ ، أخبرنا أبو البركات داود بن أحمد بن محمد ابن ملاعب قراءة عليه ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف

الأرموي قراءة عليه ، أخبرنا أبو الغنائم عبد الصمد بن علي بن محمد ابن المأمون ، أخبرنا ابو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدار قطني ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، حدثنا صالح ابن حاتم بن وردان ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، حدثني عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال :

قلت : يا رسول الله ! أعطيت فلاناً وفلاناً ومنعت فلاناً وهو مؤمن . قال : « أو مسلم » .

توفى فى جمادى الآخرة سنة ٦٨٤ وقد قارب الثمانين .

الحديث الرابع والعشرون

أخبرنا الشيخ فخر الدين ابو الحسن علي بن احمد بن عبد الواحد ابن احمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن منصور بن البخاري المقدسي قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٦٨١ ، والشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر سنة ٦٦٧ ، أخبرنا أبو المحاسن محمد بن كامل بن احمد التنوخي قراءة عليه ، أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل بن بشر الاسفرائيني ، أخبرنا أبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد بن ابراهيم الحنائي ،

حدثنا أبو الحسن عبد الوهاب بن الوليد بن موسى بن راشد بن خالد ابن يزيد بن عبد الله الكلابي من لفظه ، أخبرنا ابو بكر محمد بن خريم بن مروان العقيلي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي ، حدثنا مالك بن أنس ، حدثنا اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

رواه البخاري عن القعنبي عن مالك .

ولد في سلخ سنة ٥٩٥ . وتوفى في ربيع الآخر سنة ٦٩٠ .

الحديث الخامس والعشرون

أخبرنا أبو العباس احمد بن شيبان بن تغلب بن حيدرة الشيباني قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٦٨٤ ، أخبرنا ابو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ البغدادي قراءة عليه ، أخبرنا ابو غالب احمد بن الحسن بن احمد بن عبد الله بن البناء قراءة عليه ونحن نسمع ، أخبرنا ابو محمد الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله الجوهري قراءة عليه

فى رمضان سنة ٤٥٢ ، أخبرنا ابو بكر احمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي قراءة عليه وأنا حاضر أسمع ، حدثنا أبو علي بشر بن موسى بن صالح الأسدي ، حدثنا ابو نعيم حدثنا الأعمش، عن شقيق ابن سلمة قال : قال عبد الله رضي الله عنه :

كنا اذا صلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم قلنا : « السلام على الله دون عباد الله ، السلام على جبريل وميكائيل ، السلام على فلان وعلى فلان » . فالتفت إلينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « الله هو السلام ، فاذا صلى أحدكم فليقل : التحيات لله والصلوات والطيبات . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » .

أخرجه البخاري ، وأخرجه مسلم عن ابن المثنى عن غندر عن شعبة عن منصور ، كلاهما عن شقيق .

مولده سنة ٥٩٩ . وتوفى فى صفر سنة ٦٨٥ .

الحديث السادس والعشرون

أخبرنا ابو يحيى اسماعيل بن ابى عبد الله بن حماد بن عبد الكريم العسقلانى بقراءتى عليه فى سنة ٦٨١ ، وأبو العباس ابن شيبان ، والجمال احمد بن ابى بكر الحموي ، وأبو الحسن ابن البخاري ، وعلي بن محمود بن شهاب ، قالوا : أخبرنا ابو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ البغدادى قراءة عليه ، أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين الشيبانى ، أخبرنا ابو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان البزار ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم الشافعي ، أخبرنا ابو الحسن علي ابن الحسن بن عبدويه الجرار ، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي ، حدثنا حميد عن أنس ، قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق ومعه أناس من أصحابه ، فعرضت له امرأة فقالت : « يا رسول الله ! لي إليك حاجة » فقال : « يا أم فلان ! اجلسي فى أدنى نواحي السكك حتى أجلس إليك » ، ففعلت ؛ فجلس إليها حتى قضت حاجتها » .

رواه احمد عن عبد الله بن بكر .

سمع ابن العسقلاني فى الرابعــة سنة ٥٩٩ . وتوفى في رمضــان سنة ٦٨٢ ، ومولد ابن شهــاب فى سنــة ٥٩٥ ، وتوفى في رمضــان سنة ٦٨٠ .

الحديث السابع والعشرون

أخبرنا الشيخ الجليل الصالح كمال الدين ابو محمد عبد الرحيم بن عبد الملك بن يوسف بن قدامة المقدسي قراءة عليه وأنا أسمع فى صفر سنة ٦٨٠ ، وأبو العباس ابن شيبــان ، أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد ابن طبرزذ البغدادي قراءة عليــه ، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد البزار ، وأبو المواهب احمد [بن محمد] بن عبد الملك بن ملوك الوراق ، قالا : أخــبرنا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري ، أخبرنا محمد بن احمــد بن الغطريف ، حدثنا أبو خليفة ، حدثنا مسلم بن ابراهيم ، عن هشام ، وشعبة ، عن قتــادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عباس ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العائد فى هبته كالعائد فى قيئه » ، متفق عليه .

ولد فى حدود سنة ٥٩٨ . وتوفى فى جمادى الأولى سنة ٦٨٠ .

الحديث الثامن والعشرون

أخبرنا الشيخ الثقة زين الدين أبو بكر محمد بن أبي طاهر اسماعيل ابن عبد الله بن عبد المحسن الانماطي قراءة عليه وأنا أسمع في رجب سنة ٦٦٨ ، وأبو حامد ابن الصابوني ، والرشيد محمد بن محمد العامري ، قالوا أخبرنا ابو القاسم عبد الصمد بن محمد بن ابى الفضل الحرستاني ، أخبرنا ابو محمد طاهر بن سهل بن بشر الاسفرائيني ، أخبرنا ابو الحسين محمد بن بكر بن عثمان الأزدي ، أخبرنا أبو الحسن احمد بن عبد الله بن زريق بانتقاء خلف الحافظ ، حدثنا ابو محمد عبد الرحمن ابن احمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين المهدي قراءة عليه ، حدثنا أبو عمرو الحارث بن مسكين ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقتلوا الحيات وذا الطفيتين والأبتر ؛ فانهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل » .

وكان ابن عمر يقتل كل حية ، فرآه أبو لبابة — أو زيد بن الخطاب — وهو يطارد حية فقال له : قد نهي عن دواب البيوت .

أخبرنا به هبة الله بن محمد الحارثي، والشيخ شمس الدين ابن ابى عمر ، واحمد بن شيبان ، قالوا : أخبرنا ابن ملاعب ، اخبرنا الارموى ، اخبرنا ابو القاسم ابن البسرى ، اخبرنا ابو احمد الفرضي ، حدثنا ابو بكر المطيرى ، اخبرنا بشر بن مطر ، حدثنا سفيان (فذكره) .

ولد سنة ٦٠٩ . وتوفي فى ذى الحجة سنة ٦٨٤ بالقاهرة .

الحديث التاسع والعشرون

اخبرنا الامام شمس الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن عبد الملك بن عثمان بن عبد الله بن سعد المقدسي سنة ٦٨١ ، وأبو العباس ابن شيبان ، واسماعيل بن العسقلانى ، قال الاولان : اخبرنا ابو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندى ، وقال الآخران : اخبرنا ابو حفص ابن طبرزذ .

قالا : اخبرنا القاضي ابو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصارى ، اخبرنا ابو القاسم عمر بن الحسين بن ابراهيم بن محمد الخفاف قراءة عليه وأنا اسمع سنة ٤٤٧ ، اخبرنا ابو الفضل عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهرى قراءة عليه فى سنة ٣٧٣ ، حدثنا محمد

ابن هارون ، حدثنا محمد بن سليمان بن حبيب ، حدثنا سعيد بن راشد ، عن عطاء ، عن ابن عمر :

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقيم إلا من أذن » .

مولده سنة ٦٠٦ . وتوفى فى ذى القعدة سنة ٦٨٩ .

الحديث الثلاثون

اخبرنا الأصيل المسند نجم الدين ابو العز يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي المجاور الشيبانى قراءة عليه وأنا اسمع فى المحرم سنة ٦٨٠ ، والمسلم بن علان ، قالا : اخبرنا ابو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندى قراءة عليه ، اخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد بن زريق القزاز الشيبانى ، اخبرنا الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب ، اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن المؤدب ، حدثنى علي بن الحسن بن المثنى العنبرى بأستراباد ، حدثنا ابو بكر محمد بن جعفر بن سعيد الجوهرى البغدادى بأرجان ، حدثنا الحسن بن عرفة .

قال الخطيب : واخبرنا ابو عمر بن مهدى ، وجماعة ، قالوا : اخبرنا اسماعيل بن محمد الصفار ، حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا اسماعيل بن

عياش ، حدثنا موسى بن عقبة ، عن نافع ، عــن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن » .

لفظ حديث الجوهرى رواه الترمذى عن ابن عرفة ، وابن حجر. ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار . كلهم عن اسماعيل .

واخبرنا عالياً احمد بن عبد الدائم قراءة عليه ، اخبرنا [ابو] الفرج ابن كليب ، اخبرنا ابو القاسم ابن بيان ، اخبرنا ابو الحسن ابن مخلد ، اخبرنا الصفار (فذكره) .

مولده في سنة ٦٠١ . وتوفي فى ذى القعدة سنة ٦٩٠ ،

الحديث الحادي والثلاثون

اخبرنا الشيخ الامام الحافظ جمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن احمد بن علي بن الصابوني قراءة عليه وانا اسمع فى رمضان سنة ٦٦٨ ، أخبرنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل

الحرستاني قراءة عليه ، أخبرنا جمال الاسلام أبو الحسن علي بن المسلم ابن محمد بن علي بن الفتح السلمي سنة ٥٢٦ ، أخبرنا أبو عبد الله الحسن ابن احمد بن عبد الواحد بن محمد بن ابى الحديد ، أخبرنا أبو الحسن علي بن موسى بن الحسين ، أخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن ابراهيم ابن ابى الصعب ، حدثنا ابو زرعة عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان البصري ، حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، قال : سألت الزهري عن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اخبرنى عروة ، عن عائشة :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى بابنة الجون فدنا منها قالت : « أعوذ بالله منك ! » قال : « الحقي باهلك تطليقة » .

قال أبو زرعة : لم يروه من الأئمة فى الحديث غير الاوزاعي .

مولده سنة ٦٠٤ . وتوفى فى ذي القعدة سنة ٦٨٠ .

الحديث الثاني والثلاثون

أخبرنا الجمال احمد بن ابى بكر بن سليمان الواعظ ابن الحموى بقراءتى عليه وأنا أسمع فى رجب سنة ٦٨٠ ؛ وقراءة عليه فى سنة ٦٨١ ايضا ،

أخبرنا أبو محمد عبد الجليل بن أبي غالب بن أبي المعالي بن مندويه قراءة عليه وانا اسمع في سنة ٦١٠، أخبرنا ابو المحاسن احمد بن محمد بن عبد الله ابن النقور البزار قراءة عليه، أخبرنا ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن اسحق ابن حبابة ، حدثنا ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي فى سنة ٣١٥ ، حدثنا أبو عثمان طالوت بن عباد الصيرفي من كتابه ، حدثنا فضال ابن جبير ، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة : إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا اؤتمن فلا يخن ، وإذا وعد فلا يخلف . غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم » .

ولد فى حدود سنة ستمائة ، وتوفى فى ذي الحجة سنة ٦٨٧ .

الحديث الثالث والثلاثون

أخبرنا الشيخ الأمين الصدوق شمس الدين ابو غالب المظفر بن عبد الصمد بن خليل الانصاري قراءة عليه وانا اسمع في جمادى الآخرة سنة ٦٨٤ ، وأبو محمد عبد الرحمن بن احمد بن عباس الفاقوسي وأبو عبد الله [محمد] بن محمد بن سليمان العامري ، أخبرنا القاضي ابو القاسم

عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل ابن الحرستاني ، أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل بن بشر بن احمد الاسفرائيني ، اخبرنا ابو الحسين محمد ابن مكي بن عثمان بن عبد الله الازدي المصرى ، حدثنا ابو الحسن محمد بن احمد بن العباس الاخميمي بانتقاء عبد الغني بن سعيد ، حدثنا ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة ، حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثني طلحة بن ابي سعيد ، ان سعيداً المقبري حدثه ، عن ابي هريرة :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من احتبس فرساً في سبيل الله عز وجل ، إيماناً بالله ، وتصديق موعود الله ، كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة » .

توفي في جمادى الاولى سنة ٦٨٨ وعمره اثنان وثمانون سنة .

وتوفى الفاقوسي في شعبان سنة ٦٨٢ وله خمس وسبعون سنة .

الحديث الرابع والثلاثون

اخبرنا الشيخ الامام محيي الدين ابو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي عصرون التميمي بقراءتي عليه وأنا اسمع سنة ٦٨٢ ،

وابو حامد الصابوني .

قالا : أخبرنا ابو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني ، اخبرنا ابو محمد طاهر بن سهل الاسفرائيني ، أخبرنا ابو الحسين محمد بن مكي الازدي ، أخبرنا القاضي ابو الحسين علي بن محمد ابن اسحق بن يزيد الحلبي سنة ٣٩٠ ، حدثنا ابو القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضي ، حدثنا عبد الرحمن بن جابر الكلاعي ، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي ، حدثنا العلاء بن سليمان ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلماء . فاذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلو » :

وأخبرناه عالياً أبو الحسن ابن البخاري ، أخبرنا ابن طبرزد ، أخبرنا القاضي ابو بكر ، أخبرنا علي بن ابراهيم الباقلاني ، حدثنا محمد ابن اسماعيل الوراق املاء ، حدثنا ابو بكر محمد بن محمد بن سليمان الواسطي ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا مالك بن انس ، وحفص ابن ميسرة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو (فذكره) .

أخرجه البخاري ومسلم من حديث هشام .

مولده سنة ٥٩٩ . وتوفى فى ثالث ذي القعدة سنة ٦٨٢ .

الحديث الخامس والثلاثون

أخبرنا أقضى القضاة نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن محمد بن علي بن جرير الحارثى الشافعي قراءة عليه وأنا أسمع فى سنة ٦٧٩ ، والشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمر ، وأحمد ابن شيبان .

قالوا : أخبرنا ابو البركات دواد بن احمد بن ملاعب البغدادي قراءة عليه ، أخبرنا الامام ابو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي قراءة عليه وأنا اسمع سنة ٥٤٦ ، أخبرنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن البسري سنة ٤٦٥ ، أخبرنا ابو أحمد عبيد الله بن محمد بن احمد بن أبى مسلم الفرضي ، حدثنا ابو بكر محمد بن جعفر بن أحمد المطيري سنة ٣٣٣ ، أخبرنا ابو أحمد بشر بن مطر الواسطي بسر من رأى ، حدثنا سفيان بن عينة ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه :

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليـل وآناء النهار ، ورجل آتـاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار في حقه » .

توفي فى صفر سنة ٦٨٠ وله ثلاث وسبعون سنة .

الحديث السادس والثلاثون

أُخبرنا الشيخ الامام الزاهد شمس الدين أبو عبـد الله محمـد بن الكمال عبد الرحيم بن عبد الواحد بن احمد بن عبـد الرحمن ، وشمس الدين عبد الرحمـن بن الزين أحمد بن عبـد الملك المقدسيان ؛ قراءة عليهما وأنا أسمع فى سنة ٦٨١ .

قالا : أخـبرنا الشريف أبو الفتوح محمد بن محمد بن محمد بن عمرون البكري قراءة عليه ، أُخبرنا أبو الاسعد هبـة الرحمن بن عبـد الواحد بن أبى القاسم عبد الـكريم بن هوازن القشيري ، أخبرنا جدي أخبرنا ابو الحسين الخفاف ، أخبرنا ابو العباس السراج ، حدثنا قتيبـة ابن سعيد ، حدثنا الليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال :

« إن الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » .

ولد في سنة ٦٠٧ . وتوفي في جمادى الأولى سنة ٦٨٨ .

الحديث السابع والثلاثون

أخبرتنا الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز ابن عبد الله التاجية الكندية قراءة عليها وأنا أسمع في رمضان سنة ٦٨١ ، وابو العباس ابن شيبان ، وابن العسقلاني ، وأبو الحسن ابن البخاري .

قالوا : اخبرنا ابو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ قراءة عليه ونحن نسمع ، اخبرنا ابو غالب احمد بن الحسن بن احمد بن عبد الله بن البناء قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٥٢٤ ، أخبرنا ابو محمد الحسن بن علي ابن محمد بن الحسن الجوهري قراءة عليه ، اخبرنا ابو بكر احمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي ، حدثنا محمد بن يونس بن موسى ، حدثنا ابو عاصم النبيل ، من حنظلة بن ابي سفيان ، عن القاسم ، عن عائشة :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل من جنابة ، فيأخذ

حفنة لشق رأسه الأيمن ، ثم يأخذ حفنة لشق رأسه الأيسر » .

أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبى موسى الزمن عن ابى عاصم .

ولدت فى سنة ٥٩٩ . وتوفيت سنة ٦٨٤ .

الحديث الثامن والثلاثون

أخبرتنا الشيخة الجليلة الاصيلة أم العرب فاطمة بنت ابى القاسم علي ابن ابى محمد القاسم بن ابى القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر قراءة عليها وأنا أسمع فى رمضان سنة ٦٨١ . وابو العباس ابن شيبان ، وست العرب بنت يحيى بن قايماز .

قالوا : أخبرنا ابو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ قراءة عليه ونحن نسمع ، اخبرنا ابو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الحصين الشيباني قراءة عليه ، اخبرنا ابو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان قراءة عليه ، اخبرنا ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيى المزكي النيسابوري قراءة عليه فى سنة ٣٥٤ ، اخبرنا ابو القاسم محمد بن

اسحق حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال :

مطرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر عن رأسه حتى اصابه المطر ، فقلت له : لم صنعت هذا يارسول الله ؟ قال : « إنه حديث عهد بربه عز وجل » ،

ولدت سنة ٥٩٨ . وتوفيت فى شعبان سنة ٦٨٣ .

الحديث التاسع والثلاثون

اخبرتنا الصالحة العابدة المجتهدة أم احمد زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحرانى ، واحمد بن شيبان ، واسماعيل بن العسقلانى ، وفاطمة بنت علي بن عساكر ؛ قراءة عليهم .

قالوا : اخبرنا ابو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ البغدادي ، اخبرنا ابو غالب احمد بن الحسن بن احمد بن البناء ، اخبرنا ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري ، اخبرنا ابو بكر احمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي قراءة عليه ، حدثنا ابو مسلم ابراهيم بن عبد الله بن

مسلم البصري ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت ، سمعت البراء قال :

لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «له موضع في الجنة » .

رواه البخاري عن سلمان بن حرب .

ولدت في سنة ٥٩٨ . وتوفيت في شوال سنة ٦٨٨ .

الحديث الاربعون

اخبرتنا الشيخة الصالحة ام محمد زينب بنت احمد بن عمر بن كامل المقدسية قراءة عليها وأنا اسمع سنة ٦٨٤ ، وابو عبد الله ابن بذر ، وابو العباس ابن شيبان ، وابن العسقلاني .

قالوا اخبرنا ابن طبرزد ، اخبرنا ابن البيضاوي ، والقزاز ، وابن يوسف ، قالوا اخبرنا ابن المسلمة ، اخبرنا المخلص ، اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد ، حدثنا الحسن بن اسرائيل النهرتيري ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن اسامة بن زيد ، عن سليمان بن يسار ، عن أم

سلمة زوج النبي صـلى الله عليـه وسـلم ، قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير احتلام ثم يتم صومه .

ولدت سنه ٦٠١ . وتوفيت فى شوال سنة ٦٨٧ .

مسئل شيخ الاسلام

عما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل قال : « ما وسعني لا سمائى ولا أرضي ، ولكن وسعني قلب عبدى المؤمن »

فأجاب :

الحمد لله . هذا ما ذكروه فى الاسرائيليات ليس له اسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعناه : وسع قلبه محبتى ومعرفتى . وما يروى القلب بيت الرب هذا من جنس الأول ، فان القلب بيت الايمان بالله تعالى ومعرفته ومحبته .

وما يرووه كنت كنزاً لا أعرف ! فأحببت ان اعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي ، فبي عرفونى ، هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا اعرف له اسناداً صحيحاً ولا ضعيفاً .

وما يرووه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله خلق العقل فقال له : أقبل ! فأقبل ، ثم قال له : ادبر ! فأدبر ، فقال : وعزتى

وجلالي ما خلقت خلقاً أشرف منك ؛ فبك آخذ وبك أعطي » هـذا الحديث باطل موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

وما يروونه « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ، هـذا معروف عن جندب بن عبد الله البجلي ، وأما عن النبي صلى الله عليـه وسلم فليس له اسناد معروف .

وما يروونه : « الدنيا خطوة رجل مؤمن » هـذا لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره من سلف الأمة ولا أئمتها .

وما يروونه « من بورك له فى شيء فليلزمه ، ومن ألزم نفسـه شيئاً لزمـه » ، الأول يؤثر عن بعض السلف ، والثـانى باطـل فان من ألزم نفسـه شيئاً قد يلزمه وقـد لا يلزمه ، بحسب ما يأمر به الله ورسوله .

وما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اتخذوا مع الفقراء أيادى فان لهم فى غد دولة واى دولة ؟!» ، « الفقر فخرى وبه إفتخر » كلاهما كـذب لا يعرف فى شيء من كتب المسلمين المعروفة .

وما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « انا مدينة العلم وعلي بابها » هذا الحديث ضعيف ، بل موضوع عند اهـل العلم بالحديث ،

ولكن قد رواه الترمذى وغيره ، ورفع هذا وهو كذب .

وما يرووه : أنه يقعد الفقراء يوم القيامة ويقول : وعزتى وجلالي ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم علي ، ولكن اردت ان ارفع قدركم فى هذا اليوم ، انطلقوا إلى الموقف ! فمن احسن اليكم بكسرة ، أو سقاكم شربة ماء ، او كساكم خرقة انطلقوا به إلى الجنة » ، قال الشيخ : الثانى كذب لم يروه احد من اهل العلم بالحديث ، وهو باطل خلاف الكتاب والسنة والاجماع .

وما يرووه عن النبي صلى الله عليه وسلم : لما قدم الى المدينة خرجن بنات النجار بالدفوف وهن يقلن :

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع

إلى آخر الشعر ، فقال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هزوا غرابيلكم بارك الله فيكم » حديث النسوة وضرب الدف في الأفراح صحيح ؛ فقد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . واما قوله : « هزوا غرابيلكم » هذا لا يعرف عنه .

وما يرووه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « اللهم انك أخرجتني من أحب البقاع الي فأسكنى في أحب البقاع إليك » ، هذا

حديث باطل كذب ، وقد رواه الترمذي وغيره ، بل انه قال لمكة : « انك أحب بلاد الله الي » . وقال « انك لأحب البلاد الى الله » .

وما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من زارني وزار أبي ابراهيم في عام دخل الجنة » ، هـذا كذب موضوع ، ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث .

وما يروون عن علي رضي الله عنه : أن اعرابياً صلى ونقر صلاته فقال علي : لا تنقر صلاتك ! فقال الاعرابي يا علي ! لو نقرها أبوك ما دخل النار . هذا كذب .

وما يروون عن عمر : أنه قتل أباه ، هذا كذب ؛ فان أباه مات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم .

وما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » . « وكنت وآدم لا ماء ولا طين » ، هـذا اللفظ كذب باطل .

وما يروون : « العازب فراشه من نار ، مسكين رجل بلا امرأة ، ومسكينة امرأة بلا رجل » ، هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ولم يثبت عن ابراهيم الخليل عليه السلام لما بنى البيت صلى فى كل ركن ألف ركعة ؛ فأوحى الله تعالى إليه : « يا ابراهيم ! ما هذا سد جوعة أو ستر عورة » ، هذا كذب ظاهر ، ليس هو في شيء من كتب المسلمين .

وما يروره : « لا تكرهوا الفتنة ؛ فان فيها حصاد المنافقين » ، هذا ليس معروفاً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وما يروره : « من علم أخاه آية من كتاب الله ملك رقه » ، هذا كذب ليس فى شيء من كتب أهل العلم .

وما يروره عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اطلعت على ذنوب أمتى ، فلم أجد أعظم ذنباً ممن تعلم آية ثم نسيها » . إذا صح هذا الحديث فهذا عنى بالنسيان التلاوة . ولفظ الحديث أنه قال : « يوجد من سيئات أمتى الرجل يؤتيه الله آية من القرآن فينام عنها حتى ينساها ، والنسيان الذي هو بمعنى الاعراض عن القرآن وترك الايمان والعمل به ، واما اهمال درسه حتى ينسى فهو من الذنوب .

وما يروره : « ان آية من القرآن خير من محمد وآل محمد ، القرآن كلام الله منزل غير مخلوق فلا يشبه بغيره » اللفظ المذكور غير مأثور .

وما يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من علم علماً نافعاً وأخفاه عن المسلمين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ، هذا معناه معروف في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »

وما يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا وصلتم إلى ماشجر بين أصحابي فأمسكوا ،وإذا وصلتم إلى القضاء والقدر فأمسكوا » هذا مأثور باسانيد منقطعة . وما يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسلمان الفارسي — وهو يأ كل العنب — دو ، دو ، يعني : عنبتين ،عنبتين هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهو باطل .

وما يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من زنى بامرأة فجاءت منه ببنت فللزاني ان يتزوج بابنته من الزنا » هذا يقوله من ليس من اصحاب الشافعي ، وبعضهم ينقله عن الشافعي ، ومن أصحاب الشافعي من أنكر ذلك عنه ، وقال : انه لم يصرح بتحليل ذلك ، ولكن صرح بحل ذلك من الرضاعة إذا رضع من لبن المرأة الحامل من الزنا . وعامة العلماء كاحمد وأبي حنيفة وغيرهما متفقون على تحريم ذلك وهذا اظهر القولين فى مذهب مالك .

وما يروه : « أحق ما أخذتم عليه أجرة كتاب الله » نعم ! ثبت

ذلك أنه قال : « أحق ما أخذتم عليه أجرة كتاب الله » لكنه في حديث الرقية ، وكان الجعل على عافية مريض القوم لا على التلاوة . وهل يحرم اتخاذ أبراج الحمام إذا طارت من الابراج تحط على زراعات الناس وتأكل الحب . فهل يحرم اتخاذ أبراج الحمام في القرى والبلدان لهذا السبب ؟ نعم ! إذا كان يضر بالناس منع منه .

وما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من ظلم ذمياً كان الله خصمه يوم القيامة ، أو كنت خصمه يوم القيامة » هذا ضعيف لكن المعروف عنه أنه قال : « من قتل معاهداً بغير حق لم يرح رائحة الجنة » .

وما يروونه عنه : « من أسرج سراجا فى مسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام فى المسجد ضوء ذلك السراج » ، هذا لا أعرف له اسناداً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وسئل شيخ الاسلام

عن قوله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل : « وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وا كره مساءته » ما معنى تردد الله ؟

فأجاب :

هذا حديث شريف ، قد رواه البخاري من حديث أبي هريرة ، وهو أشرف حديث روى في صفة الأولياء ، وقد رد هذا الكلام طائفة وقالوا : ان الله لايوصف بالتردد ، وانما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور ، والله أعلم بالعواقب . وربما قال بعضهم : إن الله يعامل معاملة المتردد .

والتحقيق : أن كلام رسوله حق وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح للامة منه ، ولا أفصح ولا أحسن بياناً منه ، فاذا كان كذلك كان المتحذلق والمنكر عليه من اضل الناس ؛ وأجهلهم وأسوئهم أدبا ، بل يجب تأديبه وتعزيره ، ويجب أن يصان كلام رسول صلى الله عليه

وسلم عن الظنون الباطلة ؛ والاعتقادات الفاسدة ، ولكن المتردد منا ، وان كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا ، فان الله ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، ثم هذا باطل ؛ فان الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب ، وتارة لما فى الفعلين من المصالح والمفاسد فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ، ويكرهه لما فيه من المفسدة لا لجهله منه بالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه ، كما قيل :

الشيب كره وكره أن أفارقه

فاعجب لشيء على البغضاء محبوب

وهذا مثل ارادة المريض لدوائه الكريه ، بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التى تكرهها النفس هو من هذا الباب ، وفى الصحيح « حفت النار بالشهوات ، وحفت الجنة بالمكاره » وقال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) الآية .

ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور فى هذا الحديث ، فانه قال : لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . فان العبد الذي هذا حاله صار محبوبا للحق محباً له ، يتقرب إليه أولا بالفرائض وهو

محبها ، ثم اجتهد فى النوافل التى يحبها ويحب فاعلها فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق ؛ فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد اتفاق الارادة بحيث يحب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكرهه محبوبه ، والرب يكره أن يسوء عبده ومحبوبه ، فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه .

والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت ، فكل ما قضى به فهو يريده ولا بد منه ، فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه ، وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده ؛ وهي المساءة التى تحصل له بالموت ، فصار الموت مراداً للحق من وجه مكروهاً له من وجه ، وهذا حقيقة التردد وهو : أن يكون الشيء الواحد مراداً من وجه مكروهاً من وجه وإن كان لا بد من ترجح أحد الجانبين ؛ كما ترجح إرادة الموت ؛ لكن مع وجود كراهة مساءة عبده ، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته ، كارادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد مساءته .

ثم قال بعد كلام سبق ذكره : ومن هذا الباب ما يقع فى الوجود من الكفر والفسوق والعصيان ؛ فان الله تعالى يبغض ذلك ويسخطه ، ويكرهه وينهى عنه ، وهو سبحانه قد قدره وقضاه وشاءه بارادته الكونية ، وإن لم يرده بارادة دينية ، وهذا هو فصل الخطاب فيما تنازع فيه الناس : من أنه سبحانه هل يأمر بما لا يريده .

فالمشهور عند متكلمة أهل الاثبات ومن وافقهم من الفقهاء أنه يأمر بما لا يريده.، وقالت القدرية والمعتزلة وغيرهم : إنه لا يأمر الا بما يريده .

والتحقيق : أن الارادة في كتاب الله نوعان : إرادة دينية شرعية وارادة كونية قدرية ، فالأول كقوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله تعالى : (ولكن يريد ليطهركم) وقوله تعالى : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم) الى قوله : (والله يريد أن يتوب عليكم) ، فان الارادة هنا بمعنى المحبة والرضى وهي الارادة الدينية . وإليه الاشارة بقوله : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) .

وأما الارادة الكونية القدرية فمثل قوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد فى السماء) ، ومثل قول المسلمين : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . فجميع الكائنات داخلة فى هذه الارادة والاشاءة لا يخرج عنها خير ولا شر ، ولا عرف ولا نكر ، وهذه الارادة والأشاءة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعى ، وأما الارادة الدينية فهي مطابقة للامر الشرعى لا يختلفان ، وهذا التقسيم الوارد فى اسم الارادة يرد مثله فى اسم الأمر والكلمات ؛ والحكم والقضاء ، والكتاب والبعث ،

والارسال ونحوه ؛ فان هـذا كله ينقسم إلى كـوني قـدري ، وإلى ديني شرعي .

والـكلمات الكونية هي : التي لا يخرج عنها بر ولا فاجر ، وهي التي استعان بهـا النبي صلى الله عليـه وسلم في قوله : « أعـوذ بكلمات الله التامات ، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر » قال الله تعالى : (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ! فيكون) .

وأما الدينية فهي : الكتب المنزلة التي قال فيها النبي صلى الله عليـه وسلم : « من قاتل لتكون كلمـة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال تعالى : (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) .

وكذلك الأمر الديني كقوله تعـالى : (إن الله يأمركم أن تـؤدوا الأمانات إلى أهلها) ، والـكونية : (إنما أمره إذا أراد شيئاً) .

والبعث الديني كقوله تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) والبعث الـكوني : (بعثنا عليـكم عباداً لنا)

والارسال الديني كقوله : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحـق) . والـكوني : (ألم تر أنا ارسلنـا الشياطين عـلى الـكافرين تؤزهم أزاً) .

وهـذا مبسوط فى غير هـذا الموضع . فما يقع في الوجـود من المنكرات هي مرادة لله إرادة كونية ، داخلة فى كلماته التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وهو سبحانه مع ذلك لم يردها إرادة دينيـة ، ولا هي موافقة لكلماته الدينية ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، فصارت له من وجه مكروهة . ولكن هذه ليست بمنزلة قبض المؤمن فان ذلك يكرهه ؛ والكراهة مساءة المؤمن ، وهو يريده لما سبق فى قضائه له بالموت فلا بد منه ، وارادته لعبده المؤمن خير له ورحمـة به ؛ فانه قد ثبت في الصحيح : « أن الله تعالى لا يقضي للمؤمن قضاءاً إلا كان خيراً له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

وأما المنكرات فانه يبغضها ويكرهها ؛ فليس لها عاقبة محمودة من هذه الجهة الا أن يتوبوا منها فيرحمون بالتوبة ، وإن كانت التوبة لا بد أن تكون مسبوقة بمعصية ؛ ولهذا يجاب عن قضاء المعاصي على المؤمن بجوابين : احدهما : أن هذا الحديث لم يتناولها وإنما تنـاول المصائب . والثانى : انه إذا تاب منها كان ما تعقبه التوبة [خيرا] ، فان التوبة حسنة وهي من احب الحسنات إلى الله ، والله بفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه أشد ما يمكن أن يكون من الفرح . وأما المعاصي التى لا يتاب منها فهي شر على صاحبها ، والله سبحانه قـدر كل شيء وقضـاه ؛ لماله فى ذلك من

الحكمة ، كما قال : (صنع الله الذي أتقن كل شيء) ، وقال تعالى : (الذى أحسن كل شيء خلقه) فما من مخلوق إلا ولله فيه حكمة .

ولكن هذا بحر واسع قد بسطناه فى مواضع ، والمقصود هنا : التنبيه على أن الشيء المعين يكون محبوباً من وجه مكروهاً من وجه وأن هذا حقيقة التردد ، وكما ان هذا فى الأفعال فهو في الأشخاص . والله أعلم .

مسئل شيخ الاسلام

عن معنى حديث ابى ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه فيما يروى عن الله تبارك وتعالى انه قال: « ياعبادى ! انى حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا ! يا عبادى ! كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى اهدكم ، ياعبادى ! كلكم جائع إلا من اطعمته ، فاستطعمونى اطعمكم ، يا عبادى ! كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسونى اكسكم ، يا عبادى ! انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفرونى اغفر لكم ، ياعبادى ! انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعونى ، ياعبادى ! لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئاً ، ياعبادى ! لو أن اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، ياعبادى ! لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل انسان منهم مسألته ؛ ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، ياعبادى ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم

إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله عز وجل ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

فأجاب :

الحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . أما قوله تعالى : « ياعبادى ! انى حرمت الظلم عــلى نفسي » ففيه مسألتــان كبيرتان ، كل منهما ذات شعب وفروع :

(احداهما) : فى الظلم الذي حرمه الله على نفسه ، ونفاه عن نفسه بقوله : (وما ظلمناهم) ، وقوله : (ولا يظلــم ربك أحداً) ، وقوله : (وما ربك بظلام للعبيد) ، وقوله : (ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها) ، وقوله : (قل : متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلا) . ونفى إرادته بقوله : (وما الله يريد ظلما للعالمين) ، وقوله : (وما الله يريد ظلما للعباد) . ونفى خوف العباد له بقوله : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) ؛ فان الناس تنازعوا فى معنى هذا الظلم تنازعا صاروا فيه بين طرفين متباعدين ووسط بينهما ، وخيار الأمور أوساطها ، وذلك بسبب البحث فى القدر ومجامعته للشرع ؛ إذ الخوض في ذلك بغير علــم تام أوجب ضلال عامة الامم ، ولهذا نهى النبي صلى الله عليــه وسلم أصحابه عن التنازع فيه .

فذهب المكذبون بالقدر القائلون : بأن الله لم يخلق أفعال العباد ، ولم يرد أن يكون إلا ما امر بأن يكون . وغلاتهم المكذبون بتقدم علم الله وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم ، إلى ان الظلم منه هو نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض ، وشبهوه ومثلوه في الافعال بافعال العباد ، حتى كانوا هم ممثلة الافعال ، وضربوا لله الامثال ، ولم يجعلوا له المثل الاعلى ، بل أوجبوا عليه وحرموا ما رأوا انه يجب على العباد ويحرم ، بقياسه على العباد واثبات الحكم فى الاصل بالرأى ، وقالوا عن هذا : إذا أمر العبد ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه الاعانة كان ظالما له ، والتزموا انه لا يقدر أن يهدى ضالا ، كما قالوا : إنه لا يقدر أن يضل مهتديا ، وقالوا من هذا : إذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعانته على فعل المأمور كان ظالماً ، إلى امثال ذلك من الامور التى هي من باب الفضل والاحسان جعلوا تركه لها ظلما .

وكذلك ظنوا ان التعذيب لمن كان فعله مقدراً ظلم له ، ولم يفرقوا بين التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك ومن لم يقم ، وان كان ذلك الاستحقاق خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة .

وهذا الموضع زلت فيه اقدام وضلت فيه أفهام ، فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر ، فقالوا : ليس للظلم منه حقيقة

يمكن وجودها ، بل هو من الامور الممتنعة لذاتها ، فلا يجوز ان يكون مقدوراً ولا ان يقال : انه هو تارك له باختياره ومشيئته ، وانما هو من باب الجمع بين الضدين ، وجعل الجسم الواحد في مكانين ، وقلب القديم محدثاً ، والمحدث قديماً ، وإلا فهما قدر فى الذهن وكان وجوده ممكناً والله قادر عليه فليس بظلم منه ؛ سواء فعله أو لم يفعله .

وتلقى هذا القول عن هؤلاء طوائف من أهل الأثبات من الفقهاء وأهل الحديث ، من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، ومن شراح الحديث ونحوهم ، وفسروا هذا الحديث بما ينبنى على هذا القول ، وربما تعلقوا بظاهر من أقوال مأثورة ، كما روينا عن إياس بن معاوية انه قال : ما ناظرت بعقلي كله أحداً إلا القدرية ، قلت لهم : ما الظلم ؟ قالوا : ان تأخذ ماليس لك ، او ان تتصرف فيما ليس لك . قلت : فلله كل شيء . وليس هذا من اياس إلا ليبين ان التصرفات الواقعة هي فى ملكه ، فلا يكون ظلما بموجب حدهم ، وهذا مما لا نزاع بين أهل الاثبات فيه ؛ فانهم متفقون مع أهل الايمان بالقدر على ان كل ما فعله الله فهو عدل .

وفي حديث الكرب الذى رواه الامام احمد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ،

ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، او استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همي وغمي ، إلا اذهب الله همه وغمه ، وأبدله مكانه فرحاً . قالوا : يا رسول الله ! افلا نتعلمهن ؟ قال : بلى ! ينبغي لمن سمعهن ان يتعلمهن » ، فقد بين ان كل قضائه في عبده عدل ؛ ولهذا يقال : كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عـــدل . ويقال : أطعتك بفضلك والمنة لك ، وعصيتك بعلمك ــ او بعد لك ــ والحجة لك ، فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتى إلا ما غفرت لي .

وهذه المناظرة من إياس كما قال ربيعة بن أبي عبــد الرحمن لغيلان حين قال له غيلان : نشدتك الله ! أترى الله يحب أن يعصى؟ فقال : نشدتــك الله ! أترى الله يعصي قسراً ؟ يعنى : قهراً . فكانما القمــة حجراً ؛ فان قوله : يحب أن يعصى لفظ فيه اجمال ، وقــد لا يتأتى فى المناظرة تفسير المجملات خوفا من لدد الخصم فيؤتى بالواضحات ، فقال : افتراه يعصى قسراً ؟ فان هذا الزام له بالعجز الذي هو لازم للقدرية ، ولمن هو شر منهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم .

وكذلك إياس رأى ان هذا الجواب المطابق لحدهم خاصم لهم ، ولم يدخل معهم فى التفصيل الذي يطول .

وبالجملة فقوله تعالى : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) ، قال أهل التفسير من السلف : لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ، ولا يهضم فينقص من حسناته ، ولا يجوز أن يكون هذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدور عليه ، فيكون التقدير لا يخاف ما هو ممتنع لذاته خارج عن الممكنات والمقدورات ؛ فان مثل هذا إذا لم يكن وجوده ممكناً حتى يقولوا : انه غير مقدور ، ولو أراده كخلق المثل له فكيف يعقل وجوده ؟ فضلا ان يتصور خوفه حتى ينفى خوفه ، ثم أي فائدة في نفي خوف هذا ؟ وقد علم من سياق الكلام ان المقصود بيان أن هذا العامل المحسن لا يجزى على إحسانه بالظلم والهضم . فعلم ان الظلم والهضم المنفي يتعلق بالجزاء كما ذكره اهل التفسير ، وان الله لا يجزيه الا بعمله ؛ ولهذا كان الصواب الذي دلت عليه النصوص : ان الله لا يعذب في الآخرة الا من أذنب ؛ كما قال : (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) ، فلو دخلها أحد من غير أتباعه لم تمتلىء منهم ؛ ولهذا ثبت فى الصحيحين في حديث تحاج الجنة والنار من حديث أبي هريرة وأنس : « ان النار لا تمتلىء ممن كان التى فيها حتى ينزوي بعضها إلى بعض ، وتقول قط قط ! بعد قولها : (هل من مزيد ؟) واما الجنة فيبقى فيها فضل عمن يدخلها من أهل الدنيا ، فينشىء الله لها خلقاً آخر » .

ولهذا كان الصواب الذي عليه الأئمة فيمن لم يكلف فى الدنيا من اطفال المشركين ونحوهم ما صح بـه الحديث ، وهو : ان الله أعلم بما كانوا عاملين ، فلا نحكم لـكل منهم بالجنة ولا لـكل منهم بالنار ، بل هم ينقسمون بحسب مايظهر من العلم إذا كلفوا يوم القيامة فى العرصات كما جاءت بذلك الآثار .

وكذلك قوله تعالى : (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد) ، يدل الكلام على أنه لا يظلم محسناً فينقصه من احسانه أو يجعله لغيره ، ولا يظلم مسيئاً فيجعل عليه سيئات غيره ، بل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . وهذا كقوله : (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذي وفى : أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وان ليس للانسان إلا ماسعى) ، فأخبر أنه ليس على أحد من وزر غيره شيء ، وأنـه لا يستحق إلا ماسعاه ، وكلا القولـين حق على ظاهره ، وان ظن بعض الناس أن تعذيب الميت ببكاء اهله عليه ينافى الاول فليس كذلك ؛ إذ ذلك النائـح يعذب بنوحـه لا يحمل الميت وزره ، ولكن الميت يناله ألم من فعل هذا ، كما يتألم الانسان من أمور خارجة عن كسبه وان لم يكن جزاء الكسب .

والعذاب أعم من العقاب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « السفر قطعة من العذاب » .

وكذلك ظن قوم ان انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحي ينافى قوله : (وان ليس للانسان الا ما سعى) ، فليس الأمر كذلك ؛ فان انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحي بالنسبة إلى الآية كانتفاعه بالعبادات المالية ، ومن ادعى أن الآية تخالف أحدهما دون الآخر فقوله ظاهر الفساد . بل ذلك بالنسبة الى الآية كانتفاعه بالدعاء والاستغفار والشفاعة ، وقد بينا في غير هذا الموضع نحواً من ثلاثين دليلا شرعياً يبين انتفاع الانسان بسعي غيره ؛ إذ الآية انما نفت استحقاق السعي وملكه ؛ وليس كل مالا يستحقه الانسان ولا يملكه لا يجوز أن يحسن اليه مالكه ومستحقه بما ينتفع به منه ، فهذا نوع وهذا نوع . وكذلك ليس كل مالا يملكه الانسان لا يحصل له من جهته منفعة ؛ فان هذا كذب في الأمور الدينية والدنيوية .

وهذه النصوص النافية للظلم تثبت العدل فى الجزاء ؛ وانه لا يبخس عامل عمله ، وكذلك قوله فيمن عاقبهم : (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شيء) وقوله ، (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) بين أن عقاب المجرمين عدلا لذنوبهم ، لا لأنا ظلمناهم فعاقبناهم بغير ذنب . والحديث الذي فى السنن : « لو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من اعمالهم » . يبين ان العذاب لو وقع لكان لا ستحقاقهم ذلك ؛ لا لكونه بغير ذنب ، وهذا يبين أن من

الظلم المنفي عقوبة من لم يذنب .

وكذلك قوله تعالى : (وقال الذي آمن : يا قوم ! انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب : مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم : وما الله يريد ظلما للعباد .) ، يبين أن هذا العقاب لم يكن ظلما ؛ لاستحقاقهم ذلك ، وان الله لا يريد الظلم ؛ والأمر الذي لا يمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم ارادته ، وانما يكون المدح بترك الأفعال اذا كان الممدوح قادراً عليها ، فعلم أن الله قادر على ما نزه نفسه عنه من الظلم وانه لا يفعله ، وبذلك يصح قوله : « اني حرمت الظلم على نفسي » ، وان التحريم هو المنع ، وهذا لا يجوز أن يكون فيما هو ممتنع لذاته ، فلا يصلح أن يقال : حرمت على نفسي او منعت نفسي من خلق مثلي ؛ أو جعل المخلوقات خالقة ؛ ونحو ذلك من المحالات . واكثر ما يقال فى تأويل ذلك ما يكون معناه : إني أخبرت عن نفسي بان ما لا يكون مقدوراً لا يكون مني . وهذا المعنى مما يتيقن المؤمن أنه ليس مراد الرب ؛ وانه يجب تنزيه الله ورسوله عن إرادة مثل هذا المعنى الذى لا يليق الخطاب بمثله ، اذ هو مع كونه شبه التكرير وإيضاح الواضح : ليس فيه مدح ولا ثناء ، ولا ما يستفيده المستمع ، فعلم ان الذى حرمه على نفسه هو أمر مقدور عليه لكنه لا يفعله ؛ لأنه حرمه على نفسه ؛ وهو سبحانه منزه عن فعله متقدس عنه .

يبين ذلك أن ما قاله النـاس فى حدود الظلم يتناول هـذا دون ذلك ، كقول بعضهم : الظلم وضع الشي فى غير موضعه ، كقولهم : من أشبه اباه فما ظلم . اى : فما وضع الشبه غير موضعه ، ومعـلوم أن الله سبحانه حكم عدل لا يضع الأشياء الا مواضعها ، ووضعها غـير مواضعها ليس ممتنعاً لذاته ؛ بل هو ممكن لكنه لا يفعله لأنه لايريده ؛ بل يكرهه ويبغضه ؛ اذ قد حرمه على نفسه .

وكذلك من قال : الظلم اضرار غير مستحق ؛ فان الله لا يعاقب أحداً بغير حق . وكذلك من قال : هو نقص الحق ؛ وذكر ان اصله النقص كقوله : (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) .

وأما من قال : هو التصرف فى ملك الغير فهـذا ليس بمطرد ولا منعكس ، فقد يتصرف الانسان فى ملك غيره بحق ولا يـكون ظالماً ، وقد يتصرف فى ملـكه بغير حق فيكون ظالماً ، وظلم العبد نفسه كثير فى القرآن . وكذلك من قال : فعل المأمور خلاف ما أمر به ونحو ذلك ان سلم صحـة مثل هذا الكلام فالله سبحانه قـد كتب عـلى نفسه الرحمـة وحرم عـلى نفسه الظلم ، فهو لا يفعل خـلاف ما كتب ولا يفعل ما حرم .

وليس هذا الجواب موضع بسط هذه الأمور التى نبهنـا عليها فيه

وانما نشير الى النكت ، وبهذا يتبين القول المتوسط ، وهو :ان الظلم الذى حرمه الله على نفسه مثل : أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ؛ ويعاقب البرىء على ما لم يفعل من السيئات ؛ ويعاقب هذا بذنب غيره ؛ أو يحكم بين الناس بغير القسط ؛ ونحو ذلك من الأفعال التى ينزه الرب عنها لقسطه وعدله وهو قادر عليها ، وانما استحق الحمد والثناء لأنه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه . وكما ان الله منزه عن صفات النقص والعيب فهو أيضاً منزه عن أفعال النقص والعيب .

وعلى قول الفريق الثانى ما ثم فعل يجب تنزيه الله عنه أصلا ، والكتاب والسنة واجماع سلف الأمة وأئمتها يدل على خلاف ذلك ، ولكن متكلموا أهل الاثبات لما ناظروا متكلمة النفي ألزموهم لوازم لم ينفصلوا عنها الا بمقابلة الباطل بالباطل ، وهذا مما عابه الأئمة وذموه ، كما عاب الأوزاعى والزبيدى والثورى وأحمد بن حنبل وغيرهم مقابلة القدرية بالغلو فى الاثبات ، وأمروا بالاعتصام بالكتاب والسنة ، وكما عابوا أيضاً على من قابل الجهمية نفاة الصفات بالغلو في الاثبات ، حتى دخل فى تمثيل الخالق بالمخلوق . وقد بسطنا الكلام فى هذا وهذا ، وذكرنا كلام السلف والأئمة فى هذا فى غير هذا الموضع .

ولو قال قائل : هذا مبنى على « مسألة تحسين العقل وتقبيحه » ، فمن قال : العقل يعلم به حسن الأفعال وقبحها فانه ينزه الرب عن بعض

الأفعال ، ومن قال : لا يعلم ذلك الا بالسمع فانه يجوز جميع الأفعال عليه لعدم النهي فى حقه ، قيل له : ليس بناء هذه على تلك بلازم ، وبتقدير لزومها ففي تلك تفصيل وتحقيق قد بسطناه في موضعه ، وذلك انا فرضنا انا نعلم بالعقل حسن بعض الأفعال وقبحها ؛ لكن العقل لا يقول : ان الخالق كالمخلوق ؛ حتى يكون ما جعله حسناً لهذا أو قبيحاً له جعله حسناً للآخر أو قبيحاً له ؛ كما يفعل مثل ذلك القدرية ؛ لما بين الرب والعبد من الفروق الكثيرة . وان فرضنا أن حسن الأفعال وقبحها لا يعلم الا بالشرع فالشرع قد دل على ان الله قد نزه نفسه عن أفعال وأحكام ـــ فلا يجوز ان يفعلها ـــ تارة بخبره مثنياً على نفسه بانه لا يفعلها ؛ وتارة بخبره انه حرمها على نفسه .

وهذا يبين المسألة الثانية . فنقول :

الناس لهم في أفعال الله باعتبار ما يصلح منه ويجوز وما لا يجوز منه ثلاثة أقوال : طرفان ووسط .

فالطرف الواحد : طرف القدرية ، وهم الذين حجروا عليه ان يفعل الا ماظنوا بعقلهم انه الجائز له ، حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجويز ، فاوجبوا عليه بعقلهم أموراً كثيرة ، وحرموا عليه بعقلهم أموراً كثيرة؛ لا بمعنى : ان العقل آمر له وناه ؛ فان هذا لا يقوله عاقل ، بل بمعنى : ان تلك الأفعال مما

علم بالعقل وجوبها وتحريمها ، ولكن ادخلوا في ذلك المنكرات ما بنوه على بدعتهم في التكذيب بالقدر وتوابع ذلك .

والطرف الثاني : طرف الغلاة فى الرد عليهم ، وهم الذين قالوا : لا ينزه الرب عن فعل من الأفعال ، ولا نعلم وجه امتناع الفعل منه الا من جهة خبره انه لا يفعله ، المطابق لعلمه بانه لا يفعله . وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر به من انه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم ، قال الله تعالى : (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) .

وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتابا فهو موضوع عنده فوق العرش : ان رحمتى تغلب غضبى » ، ولم يعلم هؤلاء ان الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه ؛ اذ العلم يطابق المعلوم ؛ فعلمه بأنه يفعل هذا وانه لا يفعل هذا ليس فيه تعرض لأنه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على نفسه ، كما لو أخبر عن كائن من كان انه يفعل كذا ولا يفعل كذا ، لم يكن فى هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هذا ؛ ولا فى ذلك ما يبين قيام المقتضى لهذا والمانع من هذا ؛ فان الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه ؛ ليس فيه بيان ما يدعو الى الفعل ولا إلى الترك ، بخلاف قوله : (كتب

على نفسه الرحمة) ، « وحرم علـى نفسه الظلم » فان التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية الى الفعل ؛ وهذا بين واضح ؛ اذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته انه يفعل ، وهو كتابة التقدير ، كما قد ثبت فى الصحيح : « انه قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه عـلى الماء » ؛ فانه قال : (كتب على نفسه الرحمة) ، ولو أريد كتابة التقدير لـكان قـد كتب عـلى نفسه الغضب كما كتب عـلى نفسه الرحمة ؛ اذ كان المراد مجـرد الخبر عما سيكون ، ولـكان قد حرم على نفسه كل ما لم يفعله من الاحسان كما حرم الظلم .

وكما أن الفرق ثابت في حقنا بين قوله : (كتب عليكم القصاص فى القتلى) وبين قوله : (وكل شيء فعـلوه فى الزبر) ، وقوله : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتـاب من قبل ان نبرأها) ، وقوله : « فيبعث إليه الملك فيؤمر باربـع كلمات ، فيقـال له : اكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقي أو سعيد » . فهكذا الفرق أيضاً ثابت في حق الله .

ونظير ما ذكره من كتابته على نفسه كما تقدم قوله تعالى : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وقول النبي صـلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « يا معاذ ! أتدري ما حق الله عـلى عباده ؟ قلت : الله

ورسوله أعلم ، قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . أتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ! قلت ؟ الله ورسوله أعلم . قال : حقهم عليه الا يعذبهم » ، ومنه قوله فى غير حديث : « كان حقاً على الله ان يفعل به كذا » . فهذا الحق الذي عليه هو أحقه على نفسه بقوله .

ونظير تحريمه على نفسه وايجابه على نفسه ما أخبر به من قسمه ليفعلن وكلمته السابقة ، كقوله : (ولولا كلمة سبقت من ربك) ، وقوله : (لاملأن جهنم) ، (ولنهلكن الظالمين) ، (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم ، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) ، (فلنسألن الذين أرسل اليهم) ، ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الايجاب والمنع ، بخلاف القسم المتضمن للخبر المحض .

ولهذا قال الفقهاء : اليمين اما ان توجب حقاً ؛ أو منعاً ؛ أو تصديقاً ؛ أو تكذيباً . واذا كان معقولا في الانسان انه يكون آمراً مأموراً كقوله : (ان النفس لامارة بالسوء) ، وقوله : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) ، مع ان العبد له آمر وناه فوقه ، والرب الذى ليس فوقه أحد لأن يتصور أن يكون هو الآمر الكاتب على نفسه الرحمة والناهي المحرم على نفسه الظلم أولى

وأحرى ، وكتابته على نفسه ذلك تستلزم ارادته لذلك ومحبته له ورضاه بذلك ، وتحريمه الظلم على نفسه يستلزم بغضه لذلك وكراهته له ، وإرادته ومحبته للفعل توجب وقوعه منه ، وبغضه له وكراهته لأن يفعله يمنع وقوعه منه . فاما ما يحبه ويبغضه من أفعال عباده فذلك نوع آخر ، ففرق بين فعله هو وبين ما هو مفعول مخلوق له ، وليس فى مخلوقه ما هو ظلم منه وان كان بالنسبة الى فاعله الذى هو الانسان هو ظلم ، كما ان أفعال الانسان هي بالنسبة إليه تكون سرقة وزنا وصلاة وصوما ، والله تعالى خالقها بمشيئته ، وليست بالنسبة إليه كذلك اذ هذه الأحكام هي للفاعل الذى قام به هذا الفعل ، كما ان الصفات هي صفات للموصوف الذى قامت به لا للخالق الذى خلقها وجعلها صفات ، والله تعالى خلق كل صانع وصنعته كما جاء ذلك فى الحديث ، وهو خالق كل موصوف وصفته .

ثم صفات المخلوقات ليست صفات له : كالألوان والطعوم والروائح لعدم قيام ذلك به . وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ولا أفعالا له بهذا الاعتبار ؛ لكونها مفعولات هو خلقها . وبهذا الفرق تزول شبه كثيرة ! والأمر الذى كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء وهو مقدس عن ترك هذا الذى لو ترك لكان تركه نقصاً ، وكذلك الأمر الذى حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه ، وهو مقدس عن فعله الذى لو كان لأوجب نقصاً .

وهذا كله بين ولله الحمد عند الذين أوتوا العلم والايمان ، وهو أيضاً مستقر في قلوب عموم المؤمنين ، ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم ، فقابلهم من قابلهم بنوع من الباطل كالكلام الذي كان السلف والأئمة يذمونه ، وذلك ان المعتزلة قالوا : قد حصل الاتفاق على ان الله ليس بظالم ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، والظالم من فعل الظلم ، كما ان العادل من فعل العدل ، هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الاسم سمعاً وعقلا ، قالوا : ولو كان الله خالقاً لأفعال العباد التى هي الظلم لكان ظالماً . فعارضهم هؤلاء بان قالوا : ليس الظالم من فعل الظلم ، بل الظالم من قام به الظلم . وقال بعضهم : الظالم من اكتسب الظلم وكان منهياً عنه . وقال بعضهم : الظالم من فعل محرما عليه أو ما نهى عنه .

ومنهم من قال : من فعل الظلم لنفسه . وهؤلاء يعنون : ان يكون الناهي له والمحرم عليه غيره الذي يجب عليه طاعته ؛ ولهذا كان تصور الظلم منه ممتنعاً عندهم لذاته ؛ كامتناع ان يكون فوقه آمر له وناه . ويمتنع عند الطائفتين ان يعود إلى الرب من أفعاله حكم لنفسه .

وهؤلاء لم يمكنهم ان ينازعوا اولئك فى ان العادل من فعل العدل بل سلموا ذلك لهم ، وان نازعهم بعض الناس منازعة عنادية .

والذي يكشف تلبيس المعتزلة ان يقال لهم : الظالم والعادل الذي يعرفه الناس وان كان فاعلا للظلم والعدل فذلك يأثم به أيضاً ، ولا يعرف الناس ،من يسمى ظالماً ولم يقم به الفعل الذي به صار ظالماً ، بل لا يعرفون ظالماً إلا من قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظالماً ؛ وان كان فعله متعلقاً بغيره وله مفعول منفصل عنه . لكن لا يعرفون الظالم الا بأن يكون قد قام به ذلك ، فكونكم اخذتم في حد الظالم انه من فعل الظلم وعنيتم بذلك من فعله في غيره . فهذا تلبيس وإفساد للشرع والعقل واللغة ، كما فعلتم في مسمى المتكلم حيث قلتم : هو من فعل الكلام ولو فى غيره . وجعلتم من احدث كلاما منفصلا عنه قائماً بغيره متكلما وان لم يقم به هو كلام اصلا . وهذا من اعظم البهتان والقرمطة والسفسطة .

ولهذا الزمهم السلف ان يكون ما احدثه من الكلام في الجمادات وكذلك أيضاً ما خلقه فى الحيوانات ، ولا يفرق حينئذ بين نطق وانطق وانما قالت الجلود : (انطقنا الله الذي انطق كل شيء) ولم تقل نطق الله بذلك ، ولهذا قال من قال من السلف كسليمان بن داود الهاشمي وغيره ما معناه : انه على هذا يكون الكلام الذي خلق في فرعون حتى قال : (أنا ربكم الأعلى) كالكلام الذى خلق فى الشجرة حتى قالت : (انني أنا الله لا إله إلا أنا) فاما ان يكون فرعون محقاً أو

تكون الشجرة كفرعون . وإلى هذا المعنى ينحو الاتحادية من الجهمية وينشدون :

وكل كلام فى الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وهذا يستوعب أنواع الكفر ، ولهذا كان من الامر البين للخاصة والعامة ان من قال : المتكلم لا يقوم به كلام أصلا . فان حقيقة قوله انه ليس بمتكلم ؛ إذ ليس المتكلم الا هذا ، ولهذا كان أولوهم يقولون : ليس بمتكلم . ثم قالوا : هو متكلم بطريق المجاز ، وذلك لما استقر فى الفطر ان المتكلم لا بد ان يقوم به كلام وان كان مع ذلك فاعلا له ، كما يقوم بالانسان كلامه وهو كاسب له . أما ان يجعل مجرد احداث الكلام فى غيره كلاما له : فهذا هو الباطل .

وهكذا القول فى الظلم ، فهب ان الظالم من فعل الظلم فليس هو من فعله فى غيره ولم يقم به فعل أصلا ، بل لا بد ان يكون قد قام به فعل وان كان متعديا إلى غيره ، فهذا جواب . ثم يقال لهم : الظلم فيه نسبة واضافة ، فهو ظلم من الظالم ، بمعنى : انه عدوان وبغي منه ، وهو ظلم للمظلوم ، بمعنى انه بغي واعتداء عليه . واما من لم يكن متعدى عليه به ولا هو منه عدوان على غيره فهو فى حقه ليس بظلم ، لا منه ولا له .

والله سبحانه إذا خلق أفعال العباد فذلك من جنس خلقه لصفاتهم فهم الموصوفون بذلك ، فهو سبحانه إذا جعل بعض الأشياء أسود ، وبعضها أبيض ، أو طويلا ، أو قصيراً ، أو متحركا ، أو ساكناً . أو عالماً ، او جاهلا ، أو قادراً ، أو عاجزاً ، او حياً ، او ميتاً ، او مؤمناً او كافراً ، او سعيداً ، او شقياً ، او ظالماً ، او مظلوماً : كان ذلك المخلوق هو الموصوف بانه الأبيض والاسود ، والطويل والقصير ، والحي والميت والظالم والمظلوم ، ونحو ذلك . والله سبحانه لا يوصف بشيء من ذلك وانما احداثه للفعل الذي هو ظلم من شخص وظلم لآخر بمنزلة احداثه الأكل والشرب الذي هو اكل من شخص واكل لآخر ، وليس هو بذلك آكلا ولا مأكولا .

ونظائر هذا كثيرة . وان كان في خلق افعال العباد لازمها ومتعديها حكم بالغة ، كما له حكمة بالغة في خلق صفاتهم وسائر المخلوقات ؛ لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك . وقد ظهر بهذين الوجهين تدليس القدرية .

وأما تلك الحدود التي عورضوا بها فهي دعاو ومخالفة ايضاً للمعلوم من الشرع واللغة والعقل ، أو مشتملة على نوع من الاجمال ، فان قول القائل : الظالم من قام به الظلم يقتضي انه لا بد أن يقوم به ، لكن يقال له : وان لم يكن فاعلا له آمراً له لا بد أن يكون فاعلا له

مع ذلك ، فان اراد الأول كان اقتصاره على تفسير الظـالم بمن قام به الظلم كاقتصار اولئك على تفسير الظالم فى فعل الظلم ، والذي يعرفـه الناس عامهم وخاصهم ان الظالم فاعل للظلم وظلمه فعل قائم به ، وكل من الفريقين جحد بعض الحق .

واما قولهم : من فعل محرما عليـه او منهياً عنـه ونحـو ذلك ، فالاطلاق صحيح . لكن يقال : قد دل الكتـاب والسنـة على ان الله تعالى كتب على نفسه الرحمة ، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين ؛ وكان حقاً عليه أن يجزي المطيعين ، وانه حرم الظلم على نفسه ، فهو سبحانه الذي حرم بنفسه على نفسه الظلم ، كما انه هو الذي كتب بنفسه على نفسه الرحمة ، لا يمكن ان يكون غيره محرما عليه او موجبا عليه ، فضلا عن ان يعلم ذلك بعقل أو غيره ، وإذا كان كذلك فهـذا الظلم الذي حرمـه على نفسه هو ظلم بلا ريب ، وهو أمر ممكن مقدور عليه ، وهو سبحانه يتركه مع قدرته عليه بمشيئته واختياره ، لانـه عادل ليس بظـالم ، كما يترك عقوبة الأنبيـاء والمؤمنين ، وكما يترك أن يحمل البريء ذنوب المعتدين .

فصـــــل

قوله : « وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا » ينبغي أن يعرف أن هذا الحديث شريف القدر ، عظيم المنزلة ، ولهـذا كان الامام أحمـد

يقول : هو أشرف حديث لأهل الشام ، وكان ابو ادريس الخولاني إذا حدث به جثا على ركبتيه . وراويه أبو ذر الذي ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة منه ، وهو من الاحاديث الالهية التى رواها الرسول صلى الله عليــه وسلم عن ربه ، وأخبر انها من كلام الله تعالى وان لم تــكن قرآناً ، وقــد جمع فى هــذا الباب زاهر السحامي وعبــد الغني المقدسي وأبو عبد الله المقدسي وغيرهما .

وهذا الحديث قــد تضمن من قواعــد الدين العظيمة فى العلوم والأعمال والاصــول والفروع ؛ فان تلك الجمــلة الاولى وهي قــوله : « حرمت الظلم على نفسي » يتضمن جل مسائل الصفات والقــدر إذا أعطيت حقها من التفسير ، وإنما ذكرنا فيها مالا بد من التنبيه عليــه من أوائل النــكت الجامعــة .

وأما هذه الجملة الثانية وهي قوله : « وجعلته بينكم محرمــاً ، فلا تظالموا » فانها تجمع الدين كله ؛ فان ما نهى الله عنه راجع الى الظلم ، وكل ما امر به راجع إلى العدل . ولهذا قال تعالى : (لقــد ارسلنــا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتــاب والميزان ليقوم النــاس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للنــاس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) فاخبر انه ارسل الرسل وانزل الكتاب والميزان لاجل قيام الناس بالقسط . وذكر انه انزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق ،

فالكتاب يهدي والسيف ينصر ، وكفى بربك هاديا ونصيراً .

ولهذا كان قوام الناس باهل الكتاب وأهل الحديد ، كما قال من قال من السلف : صنفان إذا صلحوا صلح الناس : الامراء والعلماء . وقالوا فى قوله تعالى : (اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم) أقوالا تجمع العلماء والامراء ، ولهذا نص الامام احمد وغيره على دخول الصنفين فى هذه الآية ، إذ كل منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله وكان نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته كعلي ، ومعاذ ، وأبي موسى ، وعتاب بن أسيد ، وعثمان بن أبى العاص وأمثالهم ، يجمعون الصنفين . وكذلك خلفاؤه من بعده كابي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، ونوابهم .

ولهذا كانت السنة ان الذي يصلي بالناس صاحب الكتاب ، والذي يقوم بالجهاد صاحب الحديد . الى ان تفرق الأمر بعد ذلك ، فاذا تفرق صار كل من قام بامر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب ان يطاع فيما يأمر به من طاعة الله فى ذلك ، وكذلك من قام بجمع الأموال وقسمها يجب ان يطاع فيما يأمر به من طاعة الله فى ذلك ، وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ اخباره وأوامره وبيانها يجب ان يصدق ويطاع فيما اخبر به من الصدق فى ذلك ، وفيما يأمر به من طاعة الله فى ذلك .

والمقصود هنا : ان المقصود بذلك كله هو ان يقوم الناس بالقسط ؛ ولهذا لما كان المشركون يحرمون أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ، ويأمرون باشياء ما انزل الله بها من سلطان ، انزل الله فى سورة الانعام والأعراف وغيرها يذمهم على ذلك ، وذكر ما امر به هو وما حرمه هو فقال : (قل : أمر ربى بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين) ، وقال تعالى : (قل : انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على على الله ما لا تعلمون)

وهذه الآية تجمع انواع المحرمات كما قد بيناه في غير هذا الموضع وتلك الآية تجمع انواع الواجبات كما بيناه ايضاً ، وقوله : (امر ربى بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين) أمر مع القسط بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وهذا اصل الدين ، وضده هو الذنب الذي لا يغفر ، قال تعالى : (ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وهو الدين الذي امر الله به جميع الرسل ، وارسلهم به إلى جميع الامم ، قال تعالى : (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي إليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون) ، وقال تعالى : (واسأل من

أرسلنا من قبلك من رسلنا : اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ، وقال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ؛ وقال تعالى : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم ، وإن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) .

ولهذا ترجم البخاري في صحيحه « باب ما جاء فى ان دين الأنبياء واحد » وذكر الحديث الصحيح فى ذلك ، وهو الاسلام العام الذي اتفق عليه جميع النبيين. قال نوح عليه السلام : (وأمرت ان اكون من المسلمين) وقال تعالى فى قصة ابراهيم : (اذ قال له ربه : اسلم ! قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بني ! ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) ، (وقال موسى : يا قوم ! ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) ، وقال تعالى : (قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون) . وقال في قصة بلقيس : (رب انى ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) ، وقال : (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) .

وهذا التوحيد الذي هو أصل الدين هـو أعظم العدل ، وضده وهو الشرك أعظم الظـلم ، كما أخرجا في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية : (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال : « ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح : ان الشرك لظلم عظيم » ؟ . وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قلت : يا رسول الله ! أي الذنب أعظم ؟ قال : « ان تجعـل لله ندا وهو خلقك » قلت : ثم اي ؟ قال : « ثم ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك » قلت : ثم اي ؟ قال : « ان تزاني بحليلة جارك » فانزل الله تصديق ذلك : (والذين لا يدعون مـع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون) الآيـة .

وقد جاء عن غـير واحـد من السلف . وروى مرفوعا « الظلم ثلاثة دواوين : فديوان لا يغفر الله منه شيئاً ، وديوان لا يترك الله منـه شيئاً ، وديوان لا يعبأ الله به شيئاً . فاما الديوان الذي لا يغفر الله منـه شيئاً فهو الشـرك ؛ فان الله لا يغفـر ان يشـرك به . واما الديوان الذي لا يـترك الله منـه شيئـاً فهـو ظلم العبـاد بعضهم بعضـا ؛ فان الله لا بد أن ينصف المظـلوم مـن الظـالم . وأمـا الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فهـو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين

ربه » أي: مغفرة هـذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق ؛ فان شاء عذب هذا الظالم لنفسه وان شاء غفر له .

وقد بسطنا الكلام فى هذه الأبواب. الشريفة والأصول الجامعة فى القواعد ، وبينا أنواع الظلم ، وبينا كيف كان الشرك أعظم أنواع الظلم، ومسمى الشرك جليله ودقيقه ؟ فقد جاء فى الحديث: « الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل » . وروى أن هذه الآية نزلت فى أهل الرياء (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحـداً) ، وكان شداد بن أوس يقول : يا بقايا العرب ! يا بقايا العرب ! انما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قال ابو داود السجستاني صاحب السنن المشهورة : الخفية حب الرياسة . وذلك ان حب الرياسة هو أصل البغي والظلم ، كما ان الرياء هو مـن جنس الشرك أو مبدأ الشرك .

والشرك أعظم الفساد كما ان التوحيد أعظم الصلاح ؛ ولهذا قال تعالى : (إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم : يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ؛ انه كان مـن المفسدين) ، الى ان ختم السورة بقوله : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً) ، وقال : (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن عـلواً كبيراً) ، وقال :

(من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل : أنه من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً) ، وقالت الملائكة : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟)

فاصل الصلاح : التوحيد والايمان ، وأصل الفساد : الشرك والكفر . كما قال عن المنافقين : (واذا قيل لهم : لا تفسدوا فى الأرض قالوا : انما نحن مصلحون . ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) ، وذلك ان صلاح كل شيء أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يراد منه ؛ ولهذا يقول الفقهاء : العقد الصحيح ما ترتب عليه أثره وحصل به مقصوده . والفاسد مالم يترتب عليه أثره ولم يحصل به مقصود ، والصحيح المقابل للفاسد فى اصطلاحهم هو الصالح .

وكان يكثر فى كلام السلف : هذا لا يصلح او يصلح ، كما كثر في كلام المتأخرين يصح ولا يصح ، والله تعالى انما خلق الانسان لعبادته ، وبدنه تبع لقلبه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « الا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد . واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، الا وهي القلب ! » وصلاح القلب : في ان يحصل له وبه المقصود الذي خلق له من

معرفة الله ومحبته وتعظيمه ، وفساده فى ضد ذلك . فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط .

والقلب له قوتان : العلم ؛ والقصد . كما ان للبدن الحس ؛ والحركة الارادية . فكما أنه متى خرجت قوى الحس والحركة عن الحال الفطري الطبيعي فسدت . فاذا خرج القلب عن الحال الفطرية التي يولد عليها كل مولود وهي ان يكون مقراً لربه مريداً له فيكون هو منتهى قصده وارادته . وذلك هي العبادة ؛ اذ العبادة : كمال الحب بكمال الذل ، فمتى لم تكن حركة القلب ووجهه وارادته لله تعالى : كان فاسداً ؛ إما بان يكون معرضاً عن الله وعن ذكره غافلا عن ذلك مع تكذيب او بدون تكذيب ، او بان يكون له ذكر وشعور ولكن قصده وارادته غيره ، لكون الذكر ضعيفاً لم يجتذب القلب الى ارادة الله ومحبته وعبادته . والا فمتى قوى علم القلب وذكره اوجب قصده وعلمه ، قال تعالى : (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) ، فأمر نبيه بان يعرض عمن كان معرضاً عن ذكر الله ، ولم يكن له مراد الا ما يكون في الدنيا .

وهذه حال من فسد قلبه ؛ ولم يذكر ربه ؛ ولم ينب إليه فيريد وجهه ويخلص له الدين . ثم قال : (ذلك مبلغهم من العلم) فاخبر انهم

لم يحصل لهم علم فوق ما يكون في الدنيا ؛ فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم . واما المؤمن فاكبر همه هو الله ، وإليه انتهى علمه وذكره . وهذا الآن باب واسع عظيم قد تكلمنا عليه فى مواضعه .

واذا كان التوحيد أصل صلاح الناس والاشراك اصل فسادهم ، والقسط مقرون بالتوحيد ؛ اذ التوحيد اصل العدل ؛ وارادة العلو مقرونة بالفساد ؛ اذ هو أصل الظلم ، فهذا مع هذا وهذا مع هذا كالملزوزين فى قرن ، فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل ؛ ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات ؛ وهو البر ؛ وهو العدل . والذنوب التى فيها تفريط او عدوان فى حقوق الله تعالى وحقوق عباده هي فساد وظلم ؛ ولهذا سمى قطاع الطريق مفسدين ، وكانت عقوبتهم حقاً لله تعالى لاجتماع الوصفين ، والذي يريد العلو على غيره من ابناء جنسه هو ظالم له باغ ؛ اذ ليس كونك عالياً عليه باولى من كونه عالياً عليك وكلاكما من جنس واحد ، فالقسط والعدل ان يكونوا اخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك .

والتوحيد وان كان اصل الصلاح فهو أعظم العدل ؛ ولهذا قال تعالى : (قل : يا أهل الكتاب ! تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ؛ ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : اشهدوا بانا مسلمون) ، ولهذا كان تخصيصه

بالذكر فى مثل قوله : (قل : أمر ربى بالقسط ؛ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ؛ وادعوه مخلصين له الدين) لا يمنع أن يكون داخلا فى القسط ، كما ان ذكر العمل الصالح بعد الايمان لا يمنع أن يكون داخلا فى الايمان ، كما فى قوله : (وملائكته وجبريل وميكال) و (من النبيين ميثاقهم ومنك) ، هذا اذا قيل : ان اسم الايمان يتناوله. سواء قيل : إنه في مثل هذا يكون داخلا فى الأول فيكون مذكوراً مرتين ، أو قيل : بل عطفه عليه يقتضي انه ليس داخلا فيه هنا وان كان داخلا فيه منفرداً ، كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء والمساكين وأمثال ذلك مما تتنوع دلالته بالافراد والاقتران . لكن المقصود : ان كل خير فهو داخل فى القسط والعدل ، وكل شر فهو داخل في الظلم .

ولهذا كان العدل أمراً واجباً فى كل شيء وعلى كل أحد ، والظلم محرما فى كل شيء ولكل أحد ، فلا يحل ظلم أحد أصلا ، سواء كان مسلماً أو كافراً او كان ظالماً ، بل الظلم انما يباح او يجب فيه العدل عليه أيضاً ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجر منكم شنآن) ، أي : لا يحملنكم شنآن ، أي : بغض قوم — وهم الكفار — على عدم العدل ؛ (قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) ، وقال تعالى : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ، وقال تعالى : (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل

ما عوقبتم به) ، وقال تعالى : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .

وقد دل على هذا قوله في الحديث : « يا عبادي ! انى حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» فان هذا خطاب لجميع العباد ان لا يظلم أحد أحداً ، وأمر العالم فى الشريعة مبنى على هذا ، وهو العدل فى الدماء والأموال ؛ والابضاع والانساب ؛ والاعراض . ولهذا جاءت السنة بالقصاص في ذلك ، ومقابلة العادي بمثل فعله . لكن المماثلة قد يكون علمها او عملها متعذراً او متعسراً ؛ ولهذا يكون الواجب ما يكون اقرب إليها بحسب الأمكان ، ويقال : هذا أمثل ؛ وهذا أشبه . وهذه الطريقة المثلى لما كان امثل بما هو العدل والحق فى نفس الأمر ؛ اذ ذاك معجوز عنه ، ولهذا قال تعالى : (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً الا وسعها) ، فذكر أنه لم يكلف نفساً الا وسعها حين امر بتوفية الكيل والميزان بالقسط ؛ لأن الكيل لا بد له ان يفضل أحد المكيلين على الآخر ولو بحبة او حبات ، وكذلك التفاضل فى الميزان قد يحصل بشيء يسير لا يمكن الاحتراز منه ، فقال تعالى : (لا نكلف نفساً الا وسعها) .

ولهذا كان القصاص مشروعا اذا أمكن استيفاؤه من غير جنف ، كالاقتصاص فى الجروح التى تنتهي الى عظم . وفى الأعضاء التى تنتهي الى مفصل ، فاذا كان الجنف واقعاً فى الاستيفاء عدل الى بدله وهو

الدية ؛ لأنه أشبه بالعدل من اتلاف زيادة في المقتص منـه ، وهذه حجة من رأى من الفقهـاء انه لا قود إلا بالسيف فى العنـق ، قال : لأن القتل بغير السيف وفي غير العنق لا نعلم فيه المماثلة ، بـل قد يكون التحريق والتغريق والتوسيط ونحو ذلك أشد إيلاما ؛ لكن الذين قالوا : يفعل به مثل ما فعل قولهم أقرب الى العدل ؛ فانه مـع تحرى التسوية بين الفعلين يكون العبد قد فعل ما يقدر عليه من العدل ، وما حصل من تفاوت الالم خارج عن قدرته .

وأما اذا قطع يديه ورجليـه ثم وسطه فقوبل ذلك بضرب عنقه بالسيف ؛ أو رض رأسه بين حجرين فضرب بالسيف ، فهنا قـد تيقنا عدم المعادلة والمماثلة . وكنا قـد فعلنا ما تيقنا انتفاء المماثلة فيـه ، وانه يتعذر معه وجودها ، بخلاف الأول فان المماثلة قـد تقع ؛ اذ التفاوت فيه غير متيقن .

وكذلك القصاص في الضربة واللطمة ونحو ذلك عدل عنه طائفـة من الفقهاء إلى التعزير ؛ لعدم امكان المماثلة فيه . والذى عليـه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة وهو منصوص أحمـد : ما جاءت به سنة رسول الله صـلى الله عليه وسلم من ثبوت القصاص بـه ؛ لان ذلك أقرب إلى العدل والمماثلة . فانا إذا تحرينا ان نفعل به من جنس فعله ونقرب

القدر من القدر كان هذا أمثل من أن نأتى بجنس من العقوبة تخالف عقوبته جنساً وقدراً وصفة .

وهذا النظر أيضا فى ضمان الحيوان والعقار ونحو ذلك بمثله تقريباً أو بالقيمة ، كما نص احمد على ذلك فى مواضع ضمان الحيوان وغيره . ونص عليه الشافعي فيمن خرب حائط غيره : انه يبنيه كما كان . وبهذا قضى سليمان عليه السلام فى حكومة الحرث التى حكم فيها هو وأبوه ؛ كما قد بين ذلك فى موضعه .

فجميع هذه الأبواب المقصود للشريعة فيها تحرى العدل بحسب الامكان وهو مقصود العلماء ، لكن أفهمهم من قال بما هو أشبه بالعدل فى نفس الأمر ، وان كان كل منهم قد أوتى علما وحكما ؛ لأنه هو الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل ، وضده الظلم ، كما قال سبحانه : « يا عبادي ! انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا » .

ولما كان العدل لابد أن يتقدمه علم — إذ من لا يعلم لا يدري ما العدل ؟ والانسان ظالم جاهل إلا من تاب الله عليه فصار عالما عادلا — صار الناس من القضاة وغيرهم ثلاثة أصناف : العالم الجائر ، والجاهل الظالم ؛ فهذان من أهل النار ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار ، وقاضٍ فى الجنة : رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ؛ ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ؛ ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو فى النار » فهذان القسمان كما قال : « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ، ومن قال فى القرآن برأيه فأخطأ فليتبوأ مقعده من النار » .

وكل من حكم بين اثنين فهو قاض ، سواء كان صاحب حرب أو متولى ديوان أو منتصباً للاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط فان الصحابة كانوا يعدونه من الحكام . ولما كان الحكام مأمورين بالعدل والعلم وكان المفروض إنما هو بما يبلغه جهد الرجل قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

فصل

فلما ذكر فى أول الحديث ما أوجبه من العدل وحرمه من الظلم على نفسه وعلى عباده : ذكر بعد ذلك احسانه إلى عباده مع غناه عنهم وفقرهم اليه ، وانهم لايقدرون على جلب منفعة لأنفسهم ولا دفع مضرة إلا ان يكون هو الميسر لذلك . وأمر العباد أن يسألوه ذلك ، وأخبر

أنهم لا يقدرون على نفعه ولا ضره مع عظم ما يوصل اليهم من النعماء؛ ويدفع عنهم من البلاء . وجلب المنفعة ودفع المضرة إما ان يكون فى الدين أو في الدنيا ؛ فصارت أربعة أقسام : الهداية ؛ والمغفرة ؛ وهما: جلب المنفعة ودفع المضرة فى الدين ، والطعام ؛ والكسوه ، وهما : جلب المنفعة ودفع المضرة فى الدنيا . وان شئت قلت : الهداية والمغفرة يتعلقان بالقلب الذي هو ملك البدن ، وهو الأصل في الأعمال الارادية . والطعام والكسوة يتعلقان بالبدن : الطعام لجلب منفعته واللباس لدفع مضرته .

وفتح الأمر بالهداية فانها وان كانت الهداية النافعة هي المتعلقة بالدين فكل اعمال الناس تابعة لهدى الله اياهم ، كما قال سبحانه : (سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى) ، وقال موسى : (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ، وقال تعالى : (وهديناه النجدين) وقال : (انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً) .

ولهذا قيل : الهدى أربعة أقسام :

(احدها) : الهداية إلى مصالح الدنيا ؛ فهذا مشترك بين الحيوان الناطق والأعجم ؛ وبين المؤمن والكافر .

(والثانى) الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى ما ينفعهم وأمرهم بذلك ، وهو نصب الأدلة وارسال الرسل وانزال الكتب ، فهذا أيضاً يشترك فيه جميع المكلفين ، سواء آمنوا أو كفروا ، كما قال تعالى : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) ، وقال تعالى : (انما أنت منذر ، ولكل قوم هاد) ، وقال تعالى : (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) ، فهذا مع قوله : (انك لا تهدي من أحببت) يبين ان الهدى الذي أثبته هو البيان والدعاء ؛ والأمر والنهي ؛ والتعليم وما يتبع ذلك ، ليس هو الهدى الذى نفاه ، وهو القسم الثالث الذي لا يقدر عليه إلا الله .

والقسم الثالث : الهدى الذى هو جعل الهدى في القلوب . وهو الذي يسميه بعضهم بالالهام والارشاد ، وبعضهم يقول : هو خلق القدرة على الايمان ؛ كالتوفيق عندهم ونحو ذلك ، وهو بناء على ان الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل فمن قال ذلك من اهل الاثبات جعل التوفيق والهدى ونحو ذلك خلق القدرة على الطاعة .

وأما من قال : إنها استطاعتان :

احداها : قبل الفعل ، وهي الاستطاعة المشروطة فى التكليف ، كما قال تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين : « صل قائماً ، فان لم تستطع فقاعداً ، فان لم تستطع فعلى جنب » وهذه الاستطاعة يقترن بها الفعل تارة والترك أخرى ، وهي الاستطاعة التى لم تعرف القدرية غيرها ، كما ان أولئك المخالفين لهم من أهل الاثبات لم يعرفوا إلا المقارنة . واما الذي عليه المحققون من أئمة الفقه والحديث والكلام وغيرهم فاثبات النوعين جميعاً ، كما قد بسطناه فى غير هذا الموضع ؛ فان الأدلة الشرعية والعقلية تثبت النوعين جميعاً .

والثانية : المقارنة للفعل ؛ وهي الموجبة له ، وهي المنفية عمن لم يفعل في مثل قوله : (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ، وفى قوله : (لا يستطيعون سمعاً) وهذا الهدى الذي يكثر ذكره فى القرآن فى مثل قوله : (اهدنا الصراط المستقيم) ، وقوله : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا) ، وفى قوله : (من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) ، وأمثال ذلك .

وهذا هو الذي تنكر القدرية ان يكون الله هو الفاعل له ، ويزعمون ان العبد هو الذي يهدي نفسه . وهذا الحديث وأمثاله حجة عليهم ؛ حيث قال : « يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى اهدكم » ، فامر العباد بان يسألوه الهداية ، كما أمرهم بذلك في أم

الكتاب فى قوله : (إهدنا الصراط المستقيم) ، وعند القدرية ان الله لا يقدر من الهدى إلا على ما فعله من : إرسال الرسل ونصب الأدلة وازاحة إلعلة ، ولا مزية عندهم للمؤمن على الكافر فى هداية الله تعالى ، ولا نعمة له على المؤمن أعظم من نعمته على الكافر فى باب الهدى .

وقد بين الاختصاص فى هذه بعد عموم الدعوة فى قوله : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) ، فقد جمع الحديث : تنزيهه عن الظلم الذى يجوزه عليه بعض المثبتة ، وبيان أنه هو الذى يهدى عباده ، رداً على القدرية . فاخبر هناك بعدله الذى يذكره بعض المثبتة ، واخبر هنا باحسانه وقدرته الذى تنكره القدرية ، وان كان كل منهما قصده تعظيما لا يعرف ما اشتمل عليه قوله .

والقسم الرابع : الهدى فى الآخرة ، كما قال تعالى : (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار ، يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ، ولباسهم فيها حرير ، وهدوا إلى الطيب من القول ، وهدوا إلى صراط الحميد) ، وقال : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم) ، فقوله : (يهديهم ربهم بإيمانهم) كقوله :

(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ، وما ألتناهم من عملهم من شيء) على أحد القولين في الآية . وهذا الهدى ثواب الاهتداء في الدنيا ، كما ان ضلال الآخرة جزاء ضلال الدنيا ؛ وكما ان قصد الشر في الدنيا جزاؤه الهدى الى طريق النار ، كما قال تعالى : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) .

وقال : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ، وقال : (فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال : رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى) ، وقال : (من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ، ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) الآية ، فاخبر ان الضالين في الدنيا يحشرون يوم القيامة عمياً وبكما وصما ، فان الجزاء أبداً من جنس العمل ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » ، وقال : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقاً الى الجنة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا

والآخرة ، والله فى عون العبد مـا كان العبد فى عون اخيه » . وقال : « من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

وقد قال تعالى : (وليعفـوا وليصفحوا ! الا تحبون ان يغفر الله لـكم ؟!) ، وقال : (ان تبدوا خـيراً او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفواً قديراً) ، وامثال هذا كثير في الكتاب والسنة .

ولهذا ايضاً يجزى الرجل فى الدنيا على ما فعله من خـير الهدى بمـا يفتح عليه من هدى آخر ، ولهذا قيل : من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم . وقد قال تعالى : (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لـكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) إلى قوله : (مستقيما) ، وقال : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) . وقال : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ، ويجعل لـكم نوراً تمشون به ويغفر لـكم) . وقال : (ان تتقوا الله يجعل لـكم فرقانا) ، فسروه بالنصر والنجـاة ، كقوله : (يـوم الفرقان) . وقد قيل : نور يفرق به بين الحق والباطل . ومثله قوله : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) وعد المتقين بالمخارج من الضيق وبرزق المنافع .

ومن هـذا الباب قوله : (والذين اهتـدوا زادهم هدى وآتـاهم

تقواهم) ، وقوله : (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هــدى) . ومنه قوله : (إنـا فتحنا لك فتحاً مبيناً ؛ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبــك وما تأخر ؛ ويتم نعمته عليك ؛ ويهديك صراطاً مستقيما ؛ وينصرك الله نصراً عزيزاً) .

وبازاء ذلك أن الضلال والمعاصي تكون بسبب الذنوب المتقدمة ، كما قال الله : (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) (وقالوا : قلوبنا غلف ؛ بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال : (فبما نقضهــم ميثاقهم لعناهم وجعلنـا قلوبهم قاسية) . وقال : (واقسموا بالله جهــد أيمانهم) إلى قوله : (لا يؤمنون) الى قوله : (يعمهون) . وهذا باب واسع .

ولهذا قال من قال من السلف : ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، وان من عقوبة السيئة السيئة بعدها . وقد شاع فى لسان العامة ان قوله : (اتقوا الله ويعلمكم الله) من الباب الأول ؛ حيث يستدلون بذلك على ان التقوى سبب تعليم الله ، وأكثر الفضلاء يطعنون فى هذه الدلالة لانه لم يربط الفعل الثانى بالأول ربط الجزاء بالشرط ، فلم يقل : واتقوا الله ويعلمــكم ، ولا قال فيعلمكم . وإنما أتى بواو العطف ، وليس مــن العطف ما يقتضي ان الأول سبب الثانى ، وقد يقال العطف قد يتضمن معنى الاقتران والتلازم ، كما يقال : زرنى وأزورك ؛ وسلم علينا ونسلم

عليك ، ونحو ذلك مما يقتضي اقتران الفعلين والتعاوض من الطرفين ، كما لو قال لسيـده : اعتقني ولك علي الف ؛ أو قالت المرأة لزوجها طلقني ولك الف ؛ او اخلعني ولك الف ؛ فان ذلك بمنزلة قولها بألف او علي ألف .

وكذلك أيضـاً لو قال : انت حر وعليك الف ، او انت طالق وعليك الف ؛ فانه كقوله : علي الف او بالف عند جمهور الفقهاء . والفرق بينهما قول شاذ . ويقول أحد المتعاوضين للآخر : أعطيك هذا وآخـذ هذا ، ونحو ذلك من العبارات ، فيقول الآخـر : نعم ! وان لم يكن أحدهما هو السبب للآخر دون العكس . فقوله : (واتقوا الله ويعلمـكم الله) قد يكون من هذا الباب ، فـكل من تعليم الرب وتقوى العبد يقارب الآخر ويلازمه ويقتضيه ، فمتى علمه الله العلم النافع اقـترن به التقوى بحسب ذلك ، ومتى اتقاه زاده من العلم وهلم جرا .

فصـــــل

وأما قوله : « ياعبادي كلـكم جائع إلا من أطعمتـه ، فاستطعموني أطعمكم ، وكلـكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم » فيقتضي أصلين عظيمين :

(أحدهما) : وجوب التوكل على الله في الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ، ودفع المضرة كاللباس ، وأنه لا يقدر غير الله على الاطعام والكسوة قدرة مطلقة . وإنما القدرة التى تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ؛ ولهذا قال : (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) وقال : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم) ، فالمأمور به هو المقدور للعباد ، وكذلك قوله : (او اطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، او مسكينا ذا متربة) ، وقوله : (فاطعموا القانع والمعتر) ، وقوله : (وكلوا منها واطعموا البائس الفقير) ، وقال : (وإذا قيل لهم : انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا : انطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟) ، فذم من يترك المأمور به اكتفاء بما يجرى به القدر .

ومن هنا يعرف ان السبب المأمور به او المباح لا ينافي وجوب التوكل على الله في وجود السبب ؛ بل الحاجة والفقر إلى الله ثابتة مع فعل السبب ؛ إذ ليس فى المخلوقات ما هو وحده سبب تام لحصول المطلوب ؛ ولهذا لا يجب أن تقترن الحوادث بما قد يجعل سبباً إلا بمشيئة الله تعالى ؛ فانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

فمن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل ؛ وأخل بواجب التوحيد ، ولهذا يخذل امثال هؤلاء

إذا اعتمدوا على الأسباب . فمن رجا نصرا او رزقا من غير الله خذله الله ، كما قال علي رضي الله عنه : لا يرجون عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه . وقد قال تعالى : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) ، وقال تعالى : (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده) ، وقال : (قل : أرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل : حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) .

وهذا كما ان من أخذ يدخل في التوكل تاركاً لما أمر به من الأسباب فهو أيضاً جاهل ظالم ؛ عاص لله بترك ما أمره ؛ فان فعل المأمور به عبادة لله . وقد قال تعالى : (فاعبده وتوكل عليه) ، وقال: (اياك نعبد ، واياك نستعين) ، وقال : (قل : هو ربي لا إله الا هو عليه توكلت وإليه متاب) ، وقال شعيب عليه السلام : (عليه توكلت وإليه أنيب) ، وقال : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ، ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب) . وقال : (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ؛ اذ قالوا لقومهم : انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة

والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ، الا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ، ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير) ، فليس من فعل شيئاً أمر به وترك ما أمر به من التوكل باعظم ذنباً ممن فعل توكلا أمر به وترك فعل ما أمر به من السبب ؛ إذ كلاهما مخل ببعض ما وجب عليه ، وهما مع اشتراكهما فى جنس الذنب فقد يكون هذا ألوم ، وقد يكون الآخر ، مع ان التوكل في الحقيقة من جملة الاسباب .

وقد روى أبو داود فى سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين . فقال المقضى عليه : حسبي الله ونعم الوكيل ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس ، فان غلبك أمر فقل : حسبي الله ونعم الوكيل » .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، إحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، فان أصابك شيء فلا تقل : لو انى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » ، ففي قوله صلى الله عليه وسلم : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » أمر بالتسبب المأمور به ، وهو الحرص على المنافع . وأمر مع

ذلك بالتوكل وهو الاستعانة بالله ، فمن اكتفى باحدهما فقد عصى أحد الامرين ، ونهى عن العجز الذي هو ضد الكيس . كما قال فى الحديث الآخر : « ان الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس » ، وكما فى الحديث الشامي : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله » ، فالعاجز في الحديث مقابل الكيس ، ومن قال : العاجز هو مقابل البر فقد حرف الحديث ولم يفهم معناه . ومنه الحديث : «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » .

ومن ذلك ما روى البخاري فى صحيحه عن ابن عباس قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ، يقولون : نحن المتوكلون ! فاذا قدموا سألوا الناس ! فقال الله تعالى : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) فمن فعل ما أمر به من التزود فاستعان به على طاعة الله وأحسن منه إلى من يكون محتاجا كان مطيعاً لله في هذين الأمرين ، بخلاف من ترك ذلك ملتفتا إلى ازواد الحجيج ، كلا على الناس ، وان كان مع هذا قلبه غير ملتفت إلى معين فهو ملتفت إلى الجملة ، لكن ان كان المتزود غير قائم بما يجب عليه من التوكل على الله ومواساة المحتاج ، فقد يكون فى تركه لما أمر به من جنس هذا التارك للتزود المأمور به .

وفى هذه النصوص بيان غلط طوائف : طائفة تضعف أمر السبب المأمور به فتعده نقصاً ، او قدحا فى التوحيد والتوكل ، وان تركه من كمال التوكل والتوحيد ! وهم فى ذلك ملبوس عليهم ، وقد يقترن بالغلط اتباع الهوى فى اخلاد النفس إلى البطالة ، ولهذا تجد عامة هذا الضرب التاركين لما أمروا به من الأسباب يتعلقون باسباب دون ذلك ، فاما ان يعلقوا قلوبهم بالخلق رغبة ورهبة ، واما أن يتركوا لأجل ما تبتلوا له من الغلو فى التوكل واجبات أو مستحبات انفع لهم من ذلك ، كمن يصرف همته في توكله إلى شفاء مرضه بلا دواء أو نيل رزقه بلا سعي فقد يحصل ذلك ، لكن كان مباشرة الدواء الخفيف والسعي اليسير وصرف تلك الهمة والتوجه فى عمل صالح : انفع له ، بل قد يكون أوجب عليه من تبتله لهذا الأمر اليسير الذي قدره درهم أو نحوه .

وفوق هؤلاء من يجعل التوكل والدعاء أيضاً نقصاً وانقطاعا عن الخاصة ، ظنا ان ملاحظة ما فرغ منه فى القدر هو حال الخاصة .

وقد قال فى هذا الحديث : « كلكم جائع الا من اطعمته ، فاستطعموني أطعمكم » وقال : « فاستكسونى اكسكم » وفى الطبرانى او غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها ، حتى شسع نعله إذا انقطع ، فانه ان لم ييسره لم يتيسر » . وهذا قد يلزمه ان يجعل أيضاً استهداء الله وعمله بطاعته من ذلك ،

وقولهم يوجب دفع المأمور به مطلقاً ؛ بل دفع المخلوق والمأمور ، وانما غلطوا من حيث ظنوا [أن] سبق التقدير يمنع أن يكون بالسبب المأمور به ، كمن يتزندق فيترك الأعمال الواجبة بناء على ان القدر قد سبق باهل السعادة وأهل الشقاوة ، ولم يعلم أن القدر سبق بالأمور على ما هي عليه ، فمن قدره الله من أهل السعادة كان مما قدره الله تيسيره لعمل أهل السعادة ، ومن قدره من أهل الشقاء كان مما قدره انه ييسره لعمل أهل الشقاء ، كما قد اجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال فى حديث علي بن أبى طالب ، وعمران بن حصين ، وسراقة بن جعشم ، وغيرهم .

ومنه حديث الترمذي : حدثنا ابن ابي عمر ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن ابي خزامة ، عن أبيه . قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ! أرأيت ادوية نتداوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : « هي من قدر الله » .

وطائفة تظن ان التوكل إنما هو من مقامات الخاصة المتقربين إلى الله بالنوافل ، وكذلك قولهم فى اعمال القلوب وتوابعها ، كالحب والرجاء والخوف والشكر ، ونحو ذلك . وهذا ضلال مبين ، بل جميع هذه الأمور فروض على الاعيان باتفاق أهل الايمان ، ومن تركها بالكلية

فهو : اما كافر ، وإما منافق ، لكن الناس هم فيها كما هم فى الأعمال الظاهرة ، فمنهم ظالم لنفسه ؛ ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، ونصوص الكتاب والسنة طافحة بذلك ، وليس هؤلاء المعرضون عن هذه الأمور علماً وعملا بأقل لوما من التاركين لما امروا به من أعمال ظاهرة مع تلبسهم ببعض هذه الأعمال ، بل استحقاق الذم والعقاب يتوجه الى من ترك المأمور من الأمور الباطنة والظاهرة ، وان كانت الأمور الباطنة مبتدأ الأمور الظاهرة وأصولها ، والأمور الظاهرة كمالها وفروعها التى لا تتم إلا بها .

فصل

وأما قوله : « ياعبادي ! انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعاً » ، وفي رواية : « وانا اغفر الذنوب ولا أبالي ، فاستغفرونى اغفر لكم » فالمغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان :

أحدها : المغفرة لمن تاب ، كما فى قوله تعالى : (قل : يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) إلى قوله : (ثم لا تنصرون) ، فهذا السياق مع سبب نزول الآية يبين أن المعنى لا ييأس مذنب من مغفرة الله ولو كانت ذنوبه ما كانت ، فان الله

سبحانه لا يتعاظمه ذنب ان يغفره لعبده التائب . وقد دخل في هـذا العموم الشرك وغيره من الذنوب ، فان الله تعـالى يغفر ذلك لمن تاب منه ، قال تعالى : (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) إلى قوله : (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال في الآية الاخرى : (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) وقال : (لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثـة) الى قوله (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)

وهـذا القول الجامع بالمغفرة لـكل ذنب للتائب منـه ـــ كما دل عليه القرآن والحديث ـــ هو الصواب عند جماهير أهـل العلم ، وان كان من النـاس من يستثني بعض الذنوب ، كقول بعضهم : ان توبة الداعية إلى البـدع لا تقبل باطنـاً ، للحديث الاسرائيلي الذي فيـه : « فكيف من أضللت » .

وهذا غلط ؛ فان الله قد بين في كتابه وسنـة رسوله انه يتوب على أئمة الـكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع . وقد قال تعالى : (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) قال الحسن البصري : انظروا الى هذا الـكرم ! عذبوا أولياءه وفتنوهم ، ثم هو يدعوهم إلى التوبة .

وكذلك توبة القاتل ونحوه ، وحديث أبي سعيد المتفق عليه فى الذي قتل تسعة وتسعين نفساً يدل على قبول توبته ، وليس فى الكتاب والسنة ما ينافي ذلك ، ولا نصوص الوعيد ـ فيه وفى غيره من الكبائر ـ بمنافية لنصوص قبول التوبة ، فليست آية الفرقان بمنسوخة بآية النساء ؛ إذ لا منافاة بينها ، فانه قد علم يقيناً ان كل ذنب فيه وعيد فان لحوق الوعيد مشروط بعدم التوبة ؛ إذ نصوص التوبة مبينة لتلك النصوص ، كالوعيد في الشرك وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والسحر ، وغير ذلك من الذنوب . ومن قال من العلماء : توبته غير مقبولة . فحقيقة قوله التى تلائم أصول الشريعة أن يراد بذلك أن التوبة المجردة تسقط حق الله من العقاب .

وأما حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة ، وهذا حق . ولا فرق في ذلك بين القاتل وسائر الظالمين . فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم ، لكن من تمام توبته أن يعوضه بمثل مظلمته . وان لم يعوضه فى الدنيا فلا بد له من العوض فى الآخرة ، فينبغي للظالم التائب أن يستكثر من الحسنات ، حتى إذا استوفى المظلومون حقوقهم لم يبق مفلساً . ومع هذا فاذا شاء الله أن يعوض المظلوم من عنده فلا راد لفضله ، كما إذا شاء أن يغفر ما دون الشرك لمن يشاء . ولهذا فى حديث القصاص الذي ركب فيه جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن

أنيس شهراً حتى شافهه به ، وقد رواه الامام أحمد وغيره ، واستشهد به البخاري فى صحيحه ؛ وهو من جنس حديث الترمذي صحاحه أو حسانه ؛ قال فيه : « إذا كان يوم القيامة فان الله يجمع الخلائق فى صعيد واحد ؛ يسمعهم الداعى وينفذهم البصر . ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ! أنا الديان ! لا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، ولا لاحد من أهل النار قبله مظلمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لاحد من أهل الجنة حتى أقصه منه » . فبين فى الحديث العدل والقصاص بين أهل الجنة وأهل النار .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد : « أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض ، فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة » ، وقد قال سبحانه لما قال : (ولا يغتب بعضكم بعضاً) ــ والاغتياب من ظلم الاعراض ــ قال : (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟ فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم) . فقد نبههم على التوبة من الاغتياب وهو من الظلم .

وفى الحديث الصحيح : من كان عنده لاخيه مظلمة فى دم أو مال أو عرض فليأته فليستحل منه قبل أن يأتي يوم ليس فيه درهم

ولا دينار ، الا الحسنات والسيئات . فان كان له حسنـات والا أخذ من سيئات صاحبـه فطرحت عليه ، ثم يلقى في النـار » أو كما قال . وهذا فيما علمه المظلوم من العوض ، فاما إذا اغتابه أو قذفه ولم يعلم بذلك فقد قيل : من شرط توبته اعلامه ، وقيل : لا يشترط ذلك ، وهذا قول الاكثرين ، وهما روايتان عن أحمد . لكن قوله مثل هـذا ان يفعل مع المظلوم حسنات كالدعاء له والاستغفار وعمل صالح يهدى إليه يقوم مقام اغتيابه وقذفه . قال الحسن البصري : كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته .

واما الذنوب التى يطلق الفقهاء فيهـا نفي قبول التوبة مثـل قول اكثرهم : لا تقبل توبة الزنديق وهو المنافق ، وقولهم : إذا تاب المحارب قبل القدرة عليه تسقط عنه حدود الله ، وكذلك قـول كثير منهم أو اكثرهم فى سائر الجرائم كما هو احد قولي الشافعي واصح الروايتين عن احمد ، وقولهم فى هـؤلاء : إذا تابوا بعـد الرفع إلى الامام لم تقبـل توبتهم . فهذا انما يريدون به رفع العقوبة المشروعة عنهم ، اي : لاتقبل توبتهم بحيث يخلى بلا عقوبة ، بل يعاقب : اما لان توبته غير معلومة الصحة بل يظن به الكذب فيها ، واما لان رفع العقوبة بذلك يفضى إلى انتهاك المحارم وسد باب العقوبة على الجرائم ، ولا يريدون بذلك ان من تاب من هؤلاء توبة صحيحة فان الله لا يقبل توبته فى الباطن ؛ إذ

ليس هذا قول أحد من أئمة الفقهاء ، بل هذه التوبة لا تمنع إلا إذا عاين امر الآخرة ، كما قال تعالى : (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما ، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال : انى تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار) الآية .

قال أبو العالية : سألت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا لي : كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب . واما من تاب عند معاينة الموت فهذا كفرعون الذي قال : انا الله (فلما ادركه الغرق قال : آمنت انه لا إله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين) قال الله : (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وهذا استفهام انكار بين به ان هذه التوبة ليست هي التوبة المقبولة المأمور بها ؛ فان استفهام الانكار : إما بمعنى النفي إذا قابل الاخبار ، واما بمعنى الذم والنهي اذا قابل الانشاء ، وهذا من هذا .

ومثله قوله تعالى : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ، فلم يك ينفعهم ايمانهم لما

رأوا بأسنا) الآية . بين ان التوبة بعد رؤية البأس لا تنفع ، وان هذه سنة الله التي قد خلت في عباده ؛ كفرعون وغيره ، وفى الحديث : « ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » ، وروى : « ما لم يعاين » .

وقد ثبت في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم عرض على عمه التوحيد فى مرضه الذي مات فيه ، وقد عاد يهوديا كان يخدمه فعرض عليه الاسلام فاسلم ، فقال : « الحمد لله الذي انقذه بي من النار » ، ثم قال لأصحابه : « آووا اخاكم » .

ومما يبين ان المغفرة العامة فى الزمر هي للتائبين انه قال فى سورة النساء : (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فقيد المغفرة بما دون الشرك وعلقها على المشيئة ، وهناك أطلق وعمم ، فدل هذا التقييد والتعليق على ان هذا فى حق غير التائب ؛ ولهذا استدل أهل السنة بهذه الآية على جواز المغفرة لأهل الكبائر فى الجملة ، خلافا لمن أوجب نفوذ الوعيد بهم من الخوارج والمعتزلة ، وان كان المخالفون لهم قد أسرف فريق منهم من المرجئة حتى توقفوا فى لحوق الوعيد باحد من أهل القبلة ، كما يذكر عن غلاتهم انهم نفوه مطلقاً ، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافى عنه ، ونصوص الكتاب والسنة مع اتفاق سلف الأمة وأئمتها متطابقة على ان من أهل الكبائر

من يعذب ، وانه لا يبقى فى النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان .

النوع الثاني : من المغفرة العامة التى دل عليها قوله : « يا عبادي ! انكم تخطئون بالليل والنهار وانا أغفر الذنوب جميعاً » المغفرة بمعنى تخفيف العذاب ؛ أو بمعنى تأخيره الى أجل مسمى ، وهذا عام مطلقاً ؛ ولهذا شفع النبي صلى الله عليه وسلم فى أبي طالب مع موته على الشرك فنقل من غمرة من نار ، حتى جعل فى ضحضاح من نار ، في قدميه نعلان من نار يغلى منهما دماغه . قال : « ولولا انا لكان فى الدرك الأسفل من النار » ، وعلى هذا المعنى دل قوله سبحانه : (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) ، (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة) ، (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) .

فصل

واما قوله عز وجل : « يا عبادي ! انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني » فانه هو بين بذلك انه ليس هو فيما يحسن به إليهم من إجابة الدعوات وغفران الزلات بالمستعيض

بذلك منهم جلب منفعة أو دفع مضرة ، كما هي عادة المخلوق الذي يعطى غيره نفعاً ليكافئه عليه بنفع أو يدفع عنه ضرراً ليتقي بذلك ضرره ، فقال : « انكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، ولن تبلغوا ضري فتضرونى » ، فلست اذا أخصكم بهداية المستهدي وكفاية المستكفي المستطعم والمستكسي بالذي أطلب أن تنفعونى ، ولا انا اذا غفرت خطاياكم بالليل والنهار أتقى بذلك ان تضرونى ؛ فانكم لن تبلغوا نفعي فتنفعونى ولن تبلغوا ضري فتضرونى ؛ اذ هم عاجزون عن ذلك ، بل ما يقدرون عليه من الفعل لا يقدرون عليه الا بتقديره وتدبيره ، فكيف بما لا يقدرون عليه ؟ فكيف بالغنى الصمد الذي يمتنع عليه ان يستحق من غيره نفعاً أو ضراً ؟ وهذا الكلام كما بين ان ما يفعله بهم من جلب المنافع ودفع المضار فانهم لن يبلغوا ان يفعلوا به مثل ذلك ، فكذلك يتضمن ان ما يأمرهم به من الطاعات وما ينهاهم عنه من السيئات فانه لا يتضمن استجلاب نفعهم ، كأمر السيد لعبده ؛ أو الوالد لولده ؛ والأمير لرعيته ؛ ونحو ذلك . ولا دفع مضرتهم : كنهي هؤلاء أو غيرهم لبعض الناس عن مضرتهم .

فان المخلوقين يبلغ بعضهم نفع بعض ومضرة بعض ، وكانوا فى أمرهم ونهيهم قد يكونون كذلك ، والخالق سبحانه مقدس عن ذلك ، فبين تنزيهه عن لحوق نفعهم وضرهم فى احسانه إليهم بما يكون من

أفعاله بهم وأوامره لهم ، قال قتادة : ان الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً به عليهم ، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ، ونهاهم عما فيه فسادهم .

فصل

ولهذا ذكر هذين الأصلين بعد هذا ، فذكر ان برهم وفجورهم الذي هو طاعتهم ومعصيتهم لا يزيد في ملكه ولا ينقص ، وأن إعطاءه اياهم غاية ما يسألونه نسبته الى ما عنده أدنى نسبة ، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم ممن يزداد ملكه بطاعة الرعية ، وينقص ملكه بالمعصية . واذا أعطى الناس ما يسألونه أنفد ما عنده ولم يغنهم ، وهم في ذلك يبلغون مضرته ومنفعته ، وهو يفعل ما يفعله من احسان وعفو وأمر ونهي لرجاء المنفعة وخوف المضرة . فقال : « يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكي شيئاً ، ياعبادي ! لو أن اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً » ، اذ ملكه هو قدرته على التصرف . فلا تزداد بطاعتهم ولا تنقص بمعصيتهم كما تزداد قدرة الملوك بكثرة المطيعين لهم ، وتنقص بقلة المطيعين لهم ؛ فان ملكه متعلق

بنفسه ، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه ، وهو الذي يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء .

والملك قد يراد به القدرة على التصرف والتدبير ، ويراد به نفس التدبير والتصرف ، ويراد به المملوك نفسه الذي هو محل التدبير ، ويراد به ذلك كله . وبكل حال فليس بر الأبرار وفجور الفجار موجباً لزيادة شيء من ذلك ولا نقصه ؛ بل هو بمشيئته وقدرته يخلق مايشاء ، فلو شاء ان يخلق مع فجور الفجار ما شاء لم يمنعه من ذلك مانع كما يمنع الملوك فجور رعاياهم التى تعارض أوامرهم عما يختارونه من ذلك . ولو شاء ان لا يخلق مع بر الأبرار شيئاً مما خلقه لم يكن برهم محوجا له الى ذلك ، ولا معيناً له كما يحتاج الملوك ويستعينون بكثرة الرعايا المطيعين .

فصل

ثم ذكر حالهم في النوعين سؤال بره وطاعة أمره الذين ذكرها فى الحديث ، حيث ذكر الاستهداء والاستطعام والاستكساء ، وذكر الغفران والبر والفجور ، فقال : « لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان منهم مسألته

ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر » ، والخياط والمخيط : ما يخاط بـه ، اذ الفعال والمفعل والمفعال مـن صيغ الآلات التي يفعل بها ، كالسعر ، والمخلاب ، والمنشار . فبين ان جميع الخلائق اذا سألوا وهم في مـكان واحد وزمـان واحد فاعطى كل انسـان منهم مسألته ، لم ينقصه ذلك ممـا عنده الا كما ينقص الخياط « وهي الابرة » اذا غمس فى البحر .

وقوله : « لم ينقص مما عندي » فيه قولان :

أحدهما : انه يدل على ان عنده أموراً موجودة يعطيهم منها ماسألوه اياه ، وعلى هذا فيقال : لفظ النقص على حاله ، لأن الاعطاء من الكثير وان كان قليلا ، فلا بد ان ينقصه شيئاً ما . ومن رواه : « لم ينقص من ملـكي » يحمل على ما عنده ، كما فى هـذا اللفظ ؛ فان قوله : « مما عندي » فيه تخصيص ليس هو فى قوله : « من ملـكي » . وقد يقال : المعطى : اما ان يكون إعياناً قائمة بنفسها ؛ او صفات قائمة بغيرها . فاما الأعيان فقد تنقل من محل الى محل ، فيظهر النقص فى المحـل الأول . واما الصفات فلا تنقل من محلها وان وجد نظيرها فى محـل آخر ، كما يوجد نظير علم المعلم فى قلب المتعلم من غير زوال عـلم المعلم ، وكما يتكلم المتـكلم بكلام المتـكلم قبله من غير انتقال كلام المتـكلم الأول الى

الثـاني . وعلى هـذا فالصفات لا تنقص مما عنده شيئاً ، وهي مـن المسؤول كالهدى .

وقد يجاب عـن هذا بانه هو مـن الممكن فى بعض الصفـات أن لا يثبت مثلها فى المحل الثانى حتى تزول عن الأول : كاللون الذي ينقص وكالروائح التى تعبق بمكان وتزول ؛ كمـا دعا النبي صلى الله عليـه وسلم على حمى المدينة ان تنقل الى مهيعة وهي الجحفة ، وهل مثل هذا الانتقال بانتقال عين العرض الأول او بوجود مثله من غـير انتقال عينه ؟ فيـه للناس قولان : اذ منهم من يجوز انتقال الأعراض ، بل مـن يجوز ان تجعل الأعراض أعياناً ؛ كما هو قول ضرار والنجار وأصحابها ،كبرغوث وحفص الفرد ؛ لكن ان قيـل : هو بوجود مثله من غـير انتقال عينه فذلك يكون مع استحالة العرض الأول وفنائه ، فيعدم عـن ذلك المحل ويوجد مثله فى المحل الثانى .

والقول الثـانى : أن لفظ النقص هنـا كلفظ النقص فى حـديث موسى والخضر الذي في الصحيحين من حديث ابن عباس ؛ عن أبي بن كعب ؛ عن النبي صلى الله عليه وسـلم ؛ وفيه : « ان الخضر قال لموسى لما وقع عصفور على قارب السفينة فنقر فى البحر ، فقـال : يا موسى ! ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر ! » . ومـن المعلوم أن نفس علم الله القـائم بنفسه لا يزول منه

شيء بتعلم العباد . وانما المقصود أن نسبة علمي وعلمك الى علم الله كنسبة ما علق بمنقار العصفور الى البحر .

ومن هذا الباب كون العلم يورث ، كقوله : « العلماء ورثة الأنبياء » ومنه قوله : (وورث سليمان داود) ومنه توريث الكتاب أيضاً ، كقوله : (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) ، ومثل هذه العبارة من النقص ونحوه تستعمل في هذا ، وان كان العلم الأول ثابتاً ؛ كما قال سعيد بن المسيب لقتادة ، وقد أقام عنده اسبوعا سأله فيه مسائل عظيمة حتى عجب من حفظه ، وقال : نزفتني يا أعمى ! وانزاف القليب ونحوه هو رفع ما فيه بحيث لا يبقى فيه شيء . ومعلوم ان قتادة لو تعلم جميع علم سعيد لم يزل علمه من قلبه كما يزول الماء من القليب ، لكن قد يقال : التعليم انما يكون بالكلام ، والكلام يحتاج الى حركة وغيرها مما يكون بالمحل ويزول عنه ؛ ولهذا يوصف بأنه يخرج من المتكلم ؛ كما قال تعالى : (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) .

ويقال : قد أخرج العالم هذا الحديث ولم يخرج هذا ، فاذا كان تعليم العلم بالكلام المستلزم زوال بعض ما يقوم بالمحل وهذا نزيف وخروج : كان كلام سعيد بن المسيب على حقيقته . ومضمونه : انه في تلك السبع الليالي من كثرة ما اجابه وكلمه فارقه أمور قامت به من حركات وأصوات ؛

بل ومن صفات قائمة بالنفس كان ذلك تزيفا ، ومما يقوي هذا المعنى أن الانسان وان كان علمـه في نفسـه فليس هو أمرا لازما للنفس لزوم الالوان للمتلونات ، بل قد يذهل الانسان عنه ويغفل ، وقد ينساه ثم يذكره ، فهو شيء يحضر تارة ويغيب أخرى . وإذا تكلم به الانسان وعلمه فقد تكل النفس وتعي ، حتى لا يقوى على استحضاره إلا بعـد مدة ، فتكون فى تلك الحال خالية عن كمال تحققـه واستحضاره الذي يكون به العالم عالماً بالفعل ، وان لم يكن نفس ما زال هو بعينـه القائم فى نفس السائل والمستمع ، ومن قال هذا يقول : كون التعليم يرسخ العلم من وجه لا ينافى ما ذكرناه ، واذا كان مثل هـذا النقص والتزيف معقولا فى علم العباد كان استعمال لفظ النقص في علم الله بناء على اللغة المعتادة في مثل ذلك ، وان كان هو سبحانه منزها عن اتصافه بضد العلم بوجه من الوجوه ، أو عن زوال علمه عنه ، لكن في قيـام أفعال به وحركات نزاع بين الناس من المسلمين وغيرهم .

وتحقيق الأمر : ان المراد ما أخذ علمي وعلمك من عـلم الله ، وما نال علمي وعلمك من علم الله ، وما أحاط علمي وعلمك من علم الله ، كما قال : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) إلا كما نقص أو أخذ أو نال هذا العصفور من هذا البحر ، أي : نسبة هذا إلى هذا كنسبة هذا إلى هذا ، وان كان المشبه به جسما ينتقل من محل إلى محل ويزول

عن المحل الاول . وليس المشبه كذلك ؛ فان هذا الفرق هو فرق ظاهر يعلمه المستمع من غير التباس ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر » ، فشبه الرؤية بالرؤية ، وهي وان كانت متعلقة بالمرئى فى الرؤية المشبهة والرؤية المشبه بها : لكن قد علم المستمعون ان المرئى ليس مثل المرئى ، فكذلك هنا شبه النقص بالنقص ؛ وان كان كل من الناقص والمنقوص والمنقوص منه المشبه [به] ليس مثل الناقص والمنقوص ، والمنقوص منه المشبه به .

ولهذا كل أحد يعلم ان المعلم لا يزول علمه بالتعليم ، بل يشبهونه بضوء السراج الذي يحدث : يقتبس منه كل أحد ، ويأخذون ما شاءوا من الشهب ، وهو باق بحاله ، وهذا تمثيل مطابق ؛ فان المستوقد من السراج يحدث الله فى فتيلته أو وقوده ناراً من جنس تلك النار ، وان كان قد يقال : انها تستحيل عن ذلك الهواء مع ان النار الاولى باقية ، كذلك المتعلم يجعل فى قلبه مثل علم المعلم مع بقاء علم المعلم ، ولهذا قال علي رضي الله عنه : العلم يزكو على العمل ، أو قال : على التعليم ؛ والمال ينقصه النفقة . وعلى هذا فيقال فى حديث أبي ذر : ان قوله « مما عندي » وقوله : « من ملكي » هو من هذا الباب ، وحينئذ فله وجهان :

(أحدها) : ان يكون ما اعطاهم خارجا عن مسمى ملكه ومسمى ما

عنده ، كما ان علم الله لا يدخل فيه نفس علم موسى والخضر .

(والثانى) ان يقال : بل لفظ الملك وما عنده يتناول كل شيء ، وما أعطاهم فهو جزء من ملكه ومما عنده ، ولكن نسبته إلى الجملة هذه النسبة الحقيرة . ومما يحقق هذا القول الثانى : ان الترمذي روى هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن غنم ؛ عن ابى ذر مرفوعا ، فيه : « لو أن أولكم وآخركم ؛ وأنسكم وجنكم ؛ ورطبكم ويابسكم ؛ سألونى حتى تنتهي مسالة كل واحد منهم فاعطيتهم ما سألونى ؛ ما نقص ذلك مما عندي كمغرز ابرة لو غمسها أحدكم فى البحر ، وذلك انى جواد ماجد واجد ، عطائى كلام ، وعذابى كلام ، انما امري لشيء إذا أردتهَ ان اقول له : كن ! فيكون » ، فذكره سبحانه : ان عطاءه كلام وعذابه كلام يدل على أنه هو أراد بقوله : « من ملكي » و « مما عندي » أي : من مقدوري ، فيكون هذا في القدرة كحديث الخضر فى العلم ، والله اعلم .

ويؤيد ذلك ان فى اللفظ الآخر الذي فى نسخة أبى مسهر : « لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما ينقص البحر » ، وهذا قد يقال فيه : انه استثناء منقطع ، أي : لم ينقص من ملكي شيئاً لكن يكون حاله حال هذه النسبة ، وقد يقال : بل هو تام والمعنى على ما سبق .

فصـــــل

ثم ختمه بتحقيق ما بينه فيه من عدله واحسانه، فقال : « ياعبادي ! انما هي اعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ، فبين أنه محسن إلى عباده فى الجزاء على أعمالهم الصالحة إحسانا يستحق به الحمد؛ لأنه هو المنعم بالأمر بها ؛ والارشاد اليها ، والاعانة عليها ، ثم احصائها، ثم توفية جزائها . فكل ذلك فضل منه واحسان ؛ إذ كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، وهو وان كان قد كتب على نفسه الرحمة وكان حقاً عليه نصر المؤمنين — كما تقدم بيانه — فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض الذي يكون عدلا لا فضلا ؛ لأن ذلك انما يكون لكون بعض الناس أحسن إلى البعض فاستحق المعاوضة ، وكان احسانه أليه بقدرة المحسن دون المحسن اليه ؛ ولهذا لم يكن المتعاوضان ليخص أحدهما بالتفضل على الآخر لتكافئهما ، وهو قد بين فى الحديث ان العباد لن يبلغوا ضره فيضروه ، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه ، فامتنع حينئذ ان يكون لاحد من جهة نفسه عليه حق ، بل هو الذي أحق الحق على نفسه بكلماته ، فهو المحسن بالاحسان وباحقاقه

وكتابته على نفسه ، فهو فى كتابة الرحمة على نفسه وإحقاقه نصر عباده المؤمنين ونحو ذلك، محسن احساناً مع احسان .

فليتدبر اللبيب هذه التفاصيل التى يتبين بها فصل الخطاب فى هذه المواضع التى عظم فيها الاضطراب ، فمن بين موجب على ربه بالمنع أن يكون محسناً منفضلا ؛ ومن بين مسو بين عدله واحسانه وما تنزه عنه من الظلم والعدوان . وجاعل الجميع نوعا واحداً . وكل ذلك حيد عن سنن الصراط المستقيم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وكما بين انه محسن في الحسنات ؛ متـم احسانه باحصائها والجزاء عليها ؛ بين انه عادل في الجزاء على السيئات ، فقال : « ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » كما تقدم بيانه فى مثل قوله : (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) . وعلى هذا الاصل استقرت الشريعـة الموافقة لفطرة الله التى فطر الناس عليهـا ، كما فى الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ؛ عن شداد بن أوس ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « سيد الاستغفار ان يقول العبد : اللهـم أنت ربي ؛ لا إله إلاّ أنت . خلقتني وأنا عبدك ؛ وأنا على عهدك ووعـدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت ؛ أبوء لك بنعمتك علي ؛ وأبوء بذنبي ؛ فاغفر لي ؛ فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت » ، فـفي قوله : « أبوء لك بنعمتك عـلي » اعتراف بنعمته عليـه فى الحسنات وغـيرها . وقوله : « وأبوء بذنبي »

اعتراف منه بانه مذنب ظالم لنفسه ، وبهذا يصير العبد شكوراً لربه مستغفراً لذنبه ، فيستوجب مزيد الخير وغفران الشر من الشكور الغفور ، الذى يشكر اليسير من العمل ويغفر الكثير من الزلل .

وهنا انقسم الناس ثلاثة أقسام فى اضافة الحسنات والسيئات التى هي الطاعات والمعاصي إلى ربهم وإلى نفوسهم ، فشرهم الذي إذا أساء أضاف ذلك إلى القدر ، واعتذر بان القدر سبق بذلك ، وانه لا خروج له على القدر ، فركب الحجة على ربه فى ظلمه لنفسه ، وان أحسن أضاف ذلك إلى نفسه ، ونسي نعمة الله عليه في تيسيره لليسرى . وهذا ليس مذهب طائفة من بني آدم ، ولكنه حال شرار الجاهلين الظالمين ، الذين لا حفظوا حدود الأمر والنهي ، ولا شهدوا حقيقة القضاء والقدر ، كما قال فيهم الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى : أنت عند الطاعة قدرى ؛ وعند المعصية جبرى ! أى مذهب وافق هواك تمذهبت به .

وخير الأقسام وهو القسم المشروع ، وهو الحق الذي جاءت به الشريعة : انه إذا أحسن شكر نعمة الله عليه وحمده ؛ إذ أنعم عليه بأن جعله محسناً ولم يجعله مسيئاً ؛ فانه فقير محتاج فى ذاته وصفاته وجميع حركاته وسكناته الى ربه ، ولا حول ولا قوة إلا به ، فلو لم يهده لم يهتد ، كما قال أهل الجنة : (الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق) وإذا

أساء اعترف بذنبه ، واستغفر ربه وتاب منه ، وكان كابيه آدم الذي قال: (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ، ولم يكن كابليس الذي قال : (فبما اغويتني لازينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين) . ولم يحتج بالقدر على ترك مأمور ولا فعل محظور ؛ مع إيمانه بالقدر خيره وشره ، وان الله خالق كل شيء وربه ومليكه ، وانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ونحو ذلك .

وهؤلاء هم الذين اطاعوا الله فى قوله في هذا الحديث الصحيح : « فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ، ولكن بسط ذلك وتحقيق نسبة الذنب إلى النفس مع العلم بان الله خالق أفعال العباد فيه أسرار ليس هذا موضعها ، ومع هذا فقوله تعالى : (وان تصبهم حسنة يقولوا : هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا : هذه من عندك ، قل : كل من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟ ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ليس المراد بالحسنات والسيئات فى هذه الآية الطاعات والمعاصي كما يظنه كثير من الناس حتى يحرف بعضهم القرآن ويقرأ (فمن نفسك ؟) ومعلوم ان معنى هذه القراءة يناقض القراءة المتواترة ، وحتى يضمر بعضهم القول على وجه الانكار له ، وهو قول

الله الحق ، فيجعل قول الله الصدق الذى يحمد ويرضى قولا للكفار يكذب به ويذم ، ويسخط بالاضمار الباطل الذى يدعيه ، من غير أن يكون فى السياق ما يدل عليه .

ثم إن من جهل هؤلاء ظنهم أن في هذه الآية حجة للقدرية واحتجاج بعض القدرية بها ، وذلك انه لا خلاف بين الناس فى أن الطاعات والمعاصي سواء من جهة القدر . فمن قال : ان العبد هو الموجد لفعله دون الله ؛ أو هو الخالق لفعله ؛ وأن الله لم يخلق أفعال العباد ، فلا فرق عنده بين الطاعة والمعصية .

ومن أثبت خلق الأفعال وأثبت الجبر او نفاه ؛ او أمسك عن نفيه واثباته مطلقاً ؛ وفصل المعنى او لم يفصله : فلا فرق عنده بين الطاعة والمعصية . فتبين أن ادخال هذه الآية في القدر فى غاية الجهالة ، وذلك أن الحسنات والسيئات في الآية المراد بها المسار والمضار دون الطاعات والمعاصي ، كما فى قوله تعالى : (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وهو الشر والخير في قوله : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) .

وكذلك قوله : (إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) ، وقوله تعالى : (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن : ذهب السيئات عنى) ، وقوله تعالى : (وما أرسلنا فى

قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون، ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا : قد مس آباءنا الضراء والسراء ، فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) ، وقال تعالى : (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا : لنا هذه ، وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) .

فهذه حال فرعون وملئه مع موسى ومن معه ، كحال الكفار والمنافقين والظالمين مع محمد وأصحابه ، إذا أصابهم نعمة وخير قالوا : لنا هذه ، او قالوا : هذه من عند الله ، وان أصابهم عذاب وشر تطيروا بالنبي والمؤمنين ، وقالوا : هذه بذنوبهم ، وإنما هي بذنوب أنفسهم لا بذنوب المؤمنين ، وهو سبحانه ذكر هذا في بيان حال الناكلين عن الجهاد الذين يلومون المؤمنين على الجهاد ، فاذا أصابهم نصر ونحوه قالوا : هذا من عند الله وإن أصابتهم محنة قالوا :هذه من عند هذا الذي جاءنا بالأمر والنهي والجهاد ، قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) ، إلى قوله : (وإن منكم لمن ليبطئن) ، إلى قوله : (ألم تر إلى الذين قيل لهم: كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية ، وقالوا : ربنا لم كتبت علينا القتال) ؟ إلى قوله : (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ، وإن تصبهم حسنة) أي هؤلاء المذمومين (يقولوا : هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) أي بسبب أمرك ونهيك ،

قال الله تعالى : (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟ ما أصابك من حسنة) أي : من نعمة (فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي : فبذنبك .

كما قال : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ، وقال : (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم) .

وأما القسم الثالث فى هذا الباب : فهم قوم لبسوا الحق بالباطل ، وهم بين أهل الايمان أهل الخير ، وبين شرار الناس وهم الخائضون فى القدر بالباطل ، فقوم يرون أنهم هم الذين يهدون أنفسهم ويضلونها ، ويوجبون لها فعل الطاعة وفعل المعصية ، بغير إعانة منه وتوفيق للطاعة ، ولا خذلان منه في المعصية . وقوم لا يثبتون لانفسهم فعلا ولا قدرة ولا أمرا .

ثم من هؤلاء من ينحل عن الأمر والنهي فيكون ا كفر الخلق ، وهم فى احتجاجهم بالقدر متناقضون ؛ إذ لا بد من فعل يحبونه وفعل يبغضونه ، ولا بد لهم ولكل أحد من دفع الضرر الحاصل بافعال المعتدين ، فاذا جعلوا الحسنات والسيئات سواسية لم يمكنهم ان يذموا أحدا ، ولا يدفعوا ظالما ، ولا يقابلوا مسيئا ، وأن يبيحوا للناس من أنفسهم كل ما يشتهيه مشته ، ونحو ذلك من الأمور التى لا يعيش

عليها بنو آدم ؛ إذ هم مضطرون إلى شرع فيـه أمر ونهى أعظم مـن اضطرارهم إلى الأكل واللباس .

وهذا باب واسع لشرحه موضع غير هذا . وإنما نبهنا على ما فى الحديث من الـكلمات الجامعة والقواعد النافعة بنكت مختصرة تنبه الفاضل على ما فى الحقائق من الجوامع والفوارق ؛ التى تفصل بين الحق والباطل فى هذه المضائق . بحسب ما احتملته أوراق السائل ، والله ينفعنا وسائر إخواننا المؤمنين بما علمناه ، ويعلمنـا ما ينفعنا ويزيدنا علما ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا ملجأ منه إلا اليه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، واستغفر الله العظيم لي ولجميع اخواننا المؤمنين .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما

وقال شيخ الاسلام رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما . (١)

فصل

فى صحيح البخارى وغيره من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا بني تميم ! اقبلوا البشرى» قالوا : قد بشرتنا فاعطنا ، فاقبل على أهل اليمن فقال : « يا أهل

---

(١) تسمى « شرح حديث عمران بن حصين » .

اليمن ! اقبلوا البشرى ؛ إذ لم يقبلها بنو تميم » ، فقالوا : قد قبلنا يا رسول الله . قالوا : جئناك لنتفقه فى الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ، فقال : « كان الله ولم يكن شيء قبله » ، وفي لفظ « معه » ، وفى لفظ « غيره » ، « وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض » ، وفى لفظ : « ثم خلق السموات والأرض » ، ثم جاءنى رجل فقال: ادرك ناقتك ، فذهبت فاذا السراب ينقطع دونها ، فوالله لوددت انى تركتها ولم أقم .

قوله : « كتب في الذكر » يعنى : اللوح المحفوظ ، كما قال :(ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) ، أى : من بعد اللوح المحفوظ ، يسمى ما يكتب فى الذكر ذكراً كما يسمى ما يكتب فيه كتابا ، كقوله عز وجل : (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون) .

والناس فى هذا الحديث على قولين : منهم من قال : ان مقصود الحديث اخباره بان الله كان موجوداً وحده ، ثم انه ابتدأ إحداث جميع الحوادث ، واخباره بان الحوادث لها ابتداء بجنسها ، وأعيانها مسبوقة بالعدم ، وان جنس الزمان حادث لافى زمان ، وجنس الحركات والمتحركات حادث ، وان الله صار فاعلا بعد ان لم يكن يفعل شيئاً من الأزل إلى حين ابتدأ الفعل ؛ ولا كان الفعل ممكناً .

ثم هؤلاء على قولين : منهم من يقول : وكذلك صار متكلما بعد

ان لم يكن يتكلم بشيء ، بل ولا كان الكلام ممكناً له . ومنهم من يقول : الكلام أمر يوصف به بأنه يقدر عليه ، لا أنه يتكلم بمشيئته وقدرته ، بل هو أمر لازم لذاته بدون قدرته ومشيئته .

ثم هؤلاء منهم من يقول : هو المعنى دون اللفظ المقروء ، عبر عنه بكل من التوراة والانجيل والزبور والفرقان . ومنهم من يقول : بل هو حروف وأصوات لازمة لذاته لم تزل ولا تزال ، وكل ألفاظ الكتب التى أنزلها وغير ذلك .

والقول الثانى فى معنى الحديث : انه ليس مراد الرسول هذا ؛ بل ان الحديث يناقض هذا ، ولكن مراده اخباره عن خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى على العرش ، كما اخبر القرآن العظيم بذلك فى غير موضع ، فقال تعالى : (وهو الذي خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) وقد ثبت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « قدر الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ، وكان عرشه على الماء » ، فأخبر صلى الله عليه وسلم ان تقدير خلق هذا العالم المخلوق فى ستة أيام ، وكان حينئذ عرشه على الماء . كما أخبر بذلك القرآن والحديث المتقدم الذي رواه البخاري فى صحيحه ؛ عن عمران رضي الله عنه .

ومن هذا : الحديث الذي رواه ابو داود والترمذي وغيرهما ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « اول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ! قال : وما اكتب ؟ قال : ماهو كائن إلى يوم القيامة » ، فهذا القلم خلقه لما أمره بالتقدير المكتوب قبل خلق السموات والأرض بخمسين الف سنة ، وكان مخلوقا قبل خلق السموات والأرض . وهو أول ما خلق من هذا العالم ، وخلقه بعد العرش كما دلت عليه النصوص ، وهو قول جمهور السلف ، كما ذكرت أقوال السلف فى غير هذا الموضع .

والمقصود هنا : بيان ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة .

والدليل على هذا القول الثانى وجوه :

(أحدها) ان قول أهل اليمن : « جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر » ، إما أن يكون الأمر المشار اليه هذا العالم . أو جنس المخلوقات ، فان كان المراد هو الأول كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أجابهم ؛ لأنه أخبرهم عن أول خلق هذا العالم ، وان كان المراد الثاني لم يكن قد أجابهم ؛ لأنه لم يذكر أول الخلق مطلقا ؛ بل قال : « كان الله ولا شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » ، فلم يذكر إلا خلق السموات والأرض ،

لم يذكر خلق العرش ، مع أن العرش مخلوق أيضاً ، فانه يقول : « وهو رب العرش العظيم » وهو خالق كل شيء : العرش وغـيره ، ورب كل شيء : العرش وغيره . وفى حديث أبى رزين قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخلق العرش . وأما فى حديث عمران فلم يخبر بخلقـه ؛ بل أخبر بخلق السموات والأرض ، فعلم أنه أخبر بأول خلق هـذا العالم لا بأول الخلق مطلقاً .

وإذا كان إنما أجابهم بهذا علم انهم إنما سألوه عن هذا ، لم يسألوه عن أول الخلق مطلقا ، فانه لا يجوز أن يكون أجابهم عمـا لم يسألوه عنه ولم يجبهم عما سألوا عنه ، بل هو صلى الله عليه وسـلم منزه عـن ذلك ، مع أن لفظه إنما يدل على هذا ؛ لا يدل على ذكره أول الخلق وإخباره بخلق السموات والأرض بعد أن كان عرشه على الماء يقصد به الاخبار عن ترتيب بعض المخلوقات على بعض ، فانهم لم يسألوه عن مجرد الترتيب ، وإنما سألوه عن أول هذا الأمر ، فعلم أنهم سألوه عن مبدأ خلق هذا العالم فأخبرهم بذلك ، كما نطق فى أولها في أول الأمر « خلق الله السموات والأرض » . وبعضهم يشرحها فى البدء ، او فى الابتداء خلق الله السموات والأرض .

والمقصود أن فيهـا الاخبار بابتداء خلق السموات والأرض ، وأنه كان الماء غامراً للأرض ، وكانت الريح تهب على الماء ، فأخـبر أنه

حينئذ كان هذا ماءً وهواءً وترابا ، وأخبر في القرآن العظيم أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ، وفى الآية الأخرى : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض : ائتيا طوعا او كرها ، قالتا : أتينا طائعين) ، وقد جاءت الآثار عن السلف بأن السماء خلقت من بخار الماء وهو الدخان .

والمقصود هنا : أن النبي صلى الله عليه وسلم أجابهم عما سألوه عنه ولم يذكر إلا ابتداء خلق السموات والأرض ، فدل على أن قولهم : « جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر » كان مرادهم خلق هذا العالم . والله أعلم .

(الوجه الثانى) : أن قولهم : « هذا الأمر » إشارة إلى حاضر موجود ، والأمر يراد به المصدر ، ويراد به المفعول به وهو المأمور الذي كونه الله بأمره ، وهذا مرادهم ، فان الذي هو قوله : كن ليس مشهوداً مشاراً اليه ، بل المشهود المشار اليه هذا المأمور به ، قال تعالى : (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ، وقال تعالى : (أتى أمر الله) ، ونظائره متعددة . ولو سألوه عن أول الخلق مطلقا لم يشيروا إليه بهذا ؛ فان ذاك لم يشهدوه فلا يشيرون إليه بهذا ، بل لم يعلموه أيضاً ؛ فان ذاك لا يعلم إلا بخبر الأنبياء ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبرهم بذلك ، ولو كان قد أخبرهم به لما سألوه عنه ، فعلم أن سؤالهم كان

عن أول هذا العالم المشهود .

(الوجه الثالث) : أنه قال : « كان الله ولم يكن شيء قبله » ، وقد روي : « معه » ، وروي : « غيره » ، والألفاظ الثلاثة في البخاري ، والمجلس كان واحداً ، وسؤالهم وجوابه كان في ذلك المجلس ، وعمران الذي روى الحديث لم يقم منه حين انقضى المجلس ؛ بل قام لما أخبر بذهاب راحلته قبل فراغ المجلس ، وهو المخبر بلفظ الرسول ، فدل على أنه إنما قال أحد الألفاظ ، والآخران رويا بالمعنى . وحينئذ فالذي ثبت عنه لفظ « القَبْل » ؛ فانه قد ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى دعائه : « أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » ، وهذا موافق ومفسر لقوله تعالى : (هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن) .

وإذا ثبت في هذا الحديث لفظ [القَبْل] فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ، واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما أبداً ، وكان أكثر أهل الحديث إنما يروونه بلفظ القبل : « كان الله ولا شيء قبله » ، مثل الحميدي ، والبغوي ، وابن الأثير ، وغيرهم . وإذا كان إنما قال : « كان الله ولم يكن شيء قبله » لم يكن فى هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث ولا لأول مخلوق .

(الوجه الرابع) : أنه قال فيه : « كان الله ولم يكن شيء قبله ، او معه ، او غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء » ، فأخبر عن هذه الثلاثة بلفظ الواو ، لم يذكر فى شيء منها ثم ، وإنما جاء ثم فى قوله : « خلق السموات والأرض » . وبعض الرواة ذكر فيه خلق السموات والأرض بثم ، وبعضهم ذكرها بالواو .

فأما الجمل الثلاث المتقدمة فالرواة متفقون على انه ذكرها بلفظ الواو ، ومعلوم ان لفظ الواو لا يفيد الترتيب على الصحيح الذي عليه الجمهور ، فلا يفيد الاخبار بتقديم بعض ذلك على بعض ، وإن قدر أن الترتيب مقصود ، إما من ترتيب الذكر لكونه قدم بعض ذلك على بعض ، واما من الواو عند من يقول به ، فانما فيه تقديم كونه على كون العرش على الماء ، وتقديم كون العرش على الماء على كتابته فى الذكر كل شيء ، وتقديم كتابته فى الذكر كل شيء على تقديم خلق السموات والأرض ، وليس فى هذا ذكر أول المخلوقات مطلقاً ، بل ولا فيه الاخبار بخلق العرش والماء ، وان كان ذلك كله مخلوقا كما أخبر به في مواضع أخر ، لكن في جواب أهل اليمن انما كان مقصوده إخباره إياهم عن بدء خلق السموات والأرض وما بينهما ، وهي المخلوقات التى خلقت فى ستة أيام لا بابتداء ما خلقه الله قبل ذلك .

(الوجه الخامس) انه ذكر تلك الأشياء بما يدل على كونها ووجودها

ولم يتعرض لابتداء خلقها ، وذكر السموات والأرض بما يدل على خلقها ، وسواء كان قوله : « وخلق السموات والأرض » او « ثم خلق السموات والأرض » فعلى التقديرين أخبر بخلق ذلك ، وكل مخلوق محدث كائن بعد ان لم يكن ، وان كان قد خلق من مادة ، كما فى صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « خلق الله الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

فان كان لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم « ثم خلق » فقد دل على ان خلق السموات والأرض بعد ما تقدم ذكره من كون عرشه على الماء ومن كتابته في الذكر ، وهذا اللفظ أولى بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لما فيه من تمام البيان وحصول المقصود بلفظة الترتيب ، وان كان لفظه الواو فقد دل سياق الكلام على أن مقصوده انه خلق السموات والأرض بعد ذلك ؛ وكما دل على ذلك سائر النصوص ؛ فانه قد علم انه لم يكن مقصوده الاخبار بخلق العرش ولا الماء ؛ فضلا عن ان يقصد ان خلق ذلك كان مقارناً لخلق السموات والأرض ، واذا لم يكن فى اللفظ ما يدل على خلق ذلك الا مقارنة خلقه لخلق السموات والأرض — وقد أخبر عن خلق السموات مع كون ذلك — علم ان مقصوده انه خلق السموات والأرض حين كان

العرش على الماء ، كما أخبر بذلك فى القرآن ، وحينئذ يجب أن يكون العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض ، كما أخبر بذلك فى الحديث الصحيح حيث قال : « قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » ، فأخبر أن هذا التقدير السابق لخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة حين كان عرشه على الماء .

(الوجه السادس) ان النبي صلى الله عليه وسلم : إما أن يكون قد قال : « كان ولم يكن قبله شيء » ؛ واما أن يكون قد قال : « ولا شيء معه » ؛ « او غيره » . فان كان انما قال اللفظ الأول لم يكن فيه تعرض لوجوده تعالى قبل جميع الحوادث . وان كان قد قال الثاني او الثالث فقوله : « ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر » : اما ان يكون مراده انه حين كان لا شيء معه كان عرشه على الماء ؛ او كان بعد ذلك كان عرشه على الماء . فان أراد الأول كان معناه لم يكن معه شيء من هذا الأمر المسؤول عنه وهو هذا العالم ، ويكون المراد انه كان الله قبل هذا العالم المشهود وكان عرشه على الماء .

وأما القسم الثالث ؛ وهو ان يكون المراد به كان لا شيء معه وبعد ذلك كان عرشه على الماء وكتب فى الذكر ثم خلق السموات

والأرض ، فليس في هذا اخبار بأول ما خلقه الله مطلقاً ، بل ولا فيه اخباره بخلق العرش والماء ، بل انما فيه اخباره بخلق السموات والأرض ، ولا صرح فيه بان كون عرشه على الماء كان بعد ذلك ، بل ذكره بحرف الواو ، والواو للجمع المطلق والتشريك بين المعطوف والمعطوف عليه . واذا كان لم يبين الحديث اول المخلوقات ولا ذكر متى كان خلق العرش الذي أخبر انه كان على الماء مقروناً بقوله : «كان الله ولا شيء معه » ، دل ذلك على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد الاخبار بوجود الله وحده قبل كل شيء ، وبابتداء المخلوقات بعد ذلك ؛ اذ لم يكن لفظه دالا على ذلك ، وانما قصد الاخبار بابتداء خلق السموات والأرض .

(الوجه السابع) أن يقال : لا يجوز ان يجزم بالمعنى الذي أراده الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بدليل يدل على مراده ، فلو قدر ان لفظه يحتمل هذا المعنى وهذا المعنى لم يجز الجزم باحدهما الا بدليل ، فيكون اذا كان الراجح هو أحدهما فمن جزم بان الرسول صلى الله عليه وسلم أراد ذلك المعنى الآخر فهو مخطىء .

(الوجه الثامن) : ان يقال : هذا المطلوب لو كان حقاً لكان اجل من أن يحتج عليه بلفظ محتمل في خبر لم يروه الا واحد ، ولكان ذكر هذا في القرآن والسنة من أهم الأمور ؛ لحاجة الناس الى معرفة

ذلك ؛ لما وقع فيه من الاشتباه والنزاع واختلاف النـاس . فلما لم يكن فى السنة ما يدل على هذا المطلوب ؛ لم يجز اثباته بمـا يظن أنه معنى الحديث بسياقه ، وانما سمعوا ان النبي صـلى الله عليه وسلم قال : « كان الله ولا شيء معه » فظنوه لفظاً ثابتاً مع تجرده عن سائر الـكلام الصادر عـن النبي صلى الله عليه وسلم ، وظنوا معنـاه الاخبار بتقدمه تعالى عـلى كل شيء ، وبنوا عـلى هذين الظنين نسبة ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس عندهم بواحدة من المقدمتين علم ، بل ولا ظن يستند الى امارة .

وهب انهـم لم يجزموا بان مراده المعنى الآخر ، فليس عنـدهم ما يوجب الجزم بهذا المعنى وجاء بينهم الشك ، وهم ينسبون الى الرسول مالا علم عندهم بانه قاله ، وقد قال تعـالى : (ولا تقف ماليس به علم) ، وقال تعـالى : (قل : انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن ؛ والاثم والبغي بغير الحق ؛ وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً ؛ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) . وهذا كله لا يجوز .

(الوجه العاشر) أنه قد زاد فيه بعض النـاس : « وهو الآن على ما عليه كان » ، وهـذه الزيادة انما زادها بعض الناس مـن عنده ، وليست فى شيء من الروايات . ثم إن منهم من يتأولها على أنه ليس معه الآن موجود ، بل وجوده عين وجود المخلوقات ! كما يقوله أهل

وجدة الوجود الذين يقولون : عين وجود الخالق هو عين وجود المخلوق . كما يقوله ابن عربي ؛ وابن سبعين ؛ والقونوي ؛ والتلمساني ؛ وابن الفارض ؛ ونحوهم . وهذا القول مما يعلم بالاضطرار شرعا وعقلا أنه باطل .

(الوجه الحادي عشر) أن كثيراً من الناس يجعلون هذا عمدتهم من جهة السمع : أن الحوادث لها ابتداء ، وان جنس الحوادث مسبوق بالعدم اذ لم يجدوا فى الكتاب والسنة ما ينطق به ؛ مع أنهم يحكون هذا عن المسلمين واليهود والنصارى ، كما يوجد مثل هذا في كتب اكثر أهل الكلام المبتدع في الاسلام الذي ذمه السلف ؛ وخالفوا به الشرع والعقل . وبعضهم يحكيه اجماعا للمسلمين ، وليس معهم بذلك نقل ، لا عن أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا عن الكتاب والسنة فضلا عن أن يكون هو قول جميع المسلمين .

وبعضهم يظن ان من خالف ذلك فقد قال بقدم العالم ، ووافق الفلاسفة الدهرية ؛ لأنه نظر فى كثير من كتب الكلام فلم يجد فيها إلا قولين : قول الفلاسفة القائلين بقدم العالم إما صورته وإما مادته ، سواء قيل : هو موجود بنفسه ؛ أو معلول لغيره . وقول من رد على هؤلاء من أهل الكلام : الجهمية ؛ والمعتزلة ؛ والكرامية ؛ الذين يقولون : إن

الرب لم يزل لا يفعل شيئاً ولا يتكلم بشيء ، ثم أحدث الكلام والفعل بلا سبب اصلا .

وطائفة أخرى كالكلابية ومن وافقهم يقولون : بل الكلام قديم العين إما معنى واحد ، واما أحرف وأصوات قديمة أزلية قديمة الاعيان ، ويقول هؤلاء : ان الرب لم يزل لا يفعل شيئاً ، ولا يتكلم بمشيئته وقدرته ، ثم حدث ما يحدث بقدرته ومشيئته . إما قائماً بذاته أو منفصلا عنه عند من يجوز ذلك ، إما منفصلا عنه عند من لم يجوز قيام ذلك بذاته .

ومعلوم أن هذا القول أشبه بما اخبرت به الرسل من أن الله خالق كل شيء ، وأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، فمن ظن أنه ليس للناس الا هذان القولان وكان مؤمناً بأن الرسل لا يقولون إلا حقاً يظن أن هذا قول الرسل ومن اتبعهم . ثم اذا طولب بنقل هذا القول عن الرسل لم يمكنه ذلك ولم يمكن لأحد أن يأتي بآية ولا حديث يدل على ذلك ، لا نصاً ولا ظاهراً ، بل ولا يمكنه أن ينقل ذلك عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان .

وقد جعلوا ذلك معنى حدوث العالم الذي هو أول مسائل أصول

الدين عندهم . فيبقى أصل الدين الذي هو دين الرسل عندهم ، ليس عندهم ما يعلمون به ان الرسول قاله ولا فى العقل ما يدل عليه ؛ بل العقل والسمع يدل على خلافه . ومن كان أصل دينه الذي هو عنده دين الله ورسوله لا يعلم ان الرسول جاء به كان من أضل الناس فى دينه .

(الوجه الثانى عشر) انهم لما اعتقدوا ان هذا هو دين الاسلام أخذوا يحتجون عليه بالحجج العقلية المعروفة لهم ، وعمدتهم التى هى أعظم الحجج ، مبناها على امتناع حوادث لا أول لها ، وبها أثبتوا حدوث كل موصوف بصفة ، وسموا ذلك اثباتاً لحدوث الأجسام ، فلزمهم على ذلك نفي صفات الرب عز وجل ، وانه ليس له علم ولا قدرة ولا كلام يقوم به ، بل كلامه مخلوق منفصل عنه ، وكذلك رضاه وغضبه ، والتزموا على ذلك ان الله لا يرى في الآخرة ، وانه ليس فوق العرش ، الى غير ذلك من اللوازم التى نفوا بها ما أثبته الله ورسوله ، وكان حقيقة قولهم تكذيباً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتسلط أهل العقول على تلك الحجج التى لهم فبينوا فسادها .

وكان ذلك مما سلط الدهرية القائلين بقدم العالم لما علموا حقيقة قولهم وأدلتهم ونسوا فساده . ثم لما ظنوا أن هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم واعتقدوا أنه باطل ، قالوا : ان الرسول لم يبين

الحقائق سواء علمها أو لم يعلمها ، وانما خاطب الجمهور بما يخيل لهم ما ينتفعون به . فصار أولئك المتكلمون النفاة مخطئين فى السمعيات والعقليات ، وصار خطؤهم من أكبر أسباب تسلط الفلاسفة ، لما ظن أولئك الفلاسفة الدهرية انه ليس فى هذا المطلوب إلا قولان : قول أولئك المتكلمين وقولهم . وقد رأوا أن قول أولئك باطل ، فجعلوا ذلك حجة فى تصحيح قولهم ، مع انه ليس للفلاسفة الدهرية على قولهم بقدم الأفلاك حجة عقلية أصلا ، وكان من أعظم أسباب هذا أنهم لم يحققوا معرفة ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

(الوجه الثالث عشر) : ان الغلط فى معنى هذا الحديث هو من عدم المعرفة بنصوص الكتاب والسنة ، بل والمعقول الصريح ؛ فانه أوقع كثيراً من النظار واتباعهم فى الحيرة والضلال ، فانهم لم يعرفوا إلا قولين : قول الدهرية القائلين بالقدم ، وقول الجهمية القائلين بأنه لم يزل معطلا عن أن يفعل أو يتكلم بقدرته ومشيئته ، ورأوا لوازم كل قول تقتضي فساده وتناقضه ، فبقوا حائرين مرتابين جاهلين ، وهذه حال من لا يحصى منهم ، ومنهم من صرح بذلك عن نفسه كما صرح به الرازي وغيره .

ومن أعظم أسباب ذلك انهم نظروا فى حقيقة قول الفلاسفة فوجدوا انه لم يزل المفعول المعين مقارناً للفاعل أزلا وأبداً ، وصريح

العقل يقتضي بأنه لا بد أن يتقدم الفاعل على فعله ، وأن تقدير مفعول الفاعل مع تقدير انه لم يزل مقارناً له لم يتقدم الفاعل عليه ؛ بل هو معه أزلا وأبداً : أمر يناقض صريح العقل . وقد استقر فى الفطر أن كون الشيء المفعول مخلوقا يقتضي انه كان بعد أن لم يكن . ولهذا كان ما أخبر الله به فى كتابه من انه خلق السموات والأرض مما يفهم جميع الخلائق انهما حدثتا بعد أن لم تكونا ، وأما تقدير كونهما لم يزالا معه مع كونهما مخلوقين له فهذا تنكره الفطر ، ولم يقله إلا شرذمة قليلة من الدهرية كابن سينا وأمثاله .

وأما جمهور الفلاسفة الدهرية كارسطو وأتباعه فلا يقولون : ان الافلاك معلولة لعلة فاعلة كما يقوله هؤلاء ؛ بل قولهم وإن كان أشد فساداً من قول متأخريهم فلم يخالفوا صريح المعقول فى هذا المقام الذي خالفه هؤلاء . وان كانوا خالفوه من جهات أخرى ونظروا فى حقيقة قول أهل الكلام الجهمية والقدرية ومن اتبعهم ، فوجدوا ان الفاعل صار فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا من غير حدوث شيء أوجب كونه فاعلا ، ورأوا صريح العقل يقتضي بأنه إذا صار فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا ، فلا بد من حدوث شيء وأنه يمتنع في العقل أن يصير ممكنا بعد أن كان ممتنعاً بلا حدوث ، وانه لا سبب يوجب حصول وقت حدث وقت الحدوث ؛ وأن حدوث جنس الوقت ممتنع ؛ فصاروا

يظنون إذا جمعوا بين هؤلاء أنه يلزم الجمع بين النقيضين ، وهو أن يكون الفاعل قبل الفعل وانه يمتنع أن يصير فاعلا بعد ان لم يكن فيكون الفعل معه ، فيكون الفعل مقارناً غير مقارن بأن كان بعد ان لم يكن حادثاً مسبوقاً بالعدم ، فامتنع على هذا التقدير أن يكون فعل الفاعل مسبوقا بالعدم ، ووجب على التقدير الأول أن يكون فعل الفاعل مسبوقا بالعدم ، ووجدوا عقولهم تقصر عما يوجب هذا الاثبات وما يوجب هذا النفي ، والجمع بين النقيضين ممتنع ، فأوقعهم ذلك في الحيرة والشك .

ومن أسباب ذلك أنهم لم يعرفوا حقيقة السمع والعقل ، فلم يعرفوا ما دل عليه الكتاب والسنة ، ولم يميزوا فى المعقولات بين المشتبهات ، وذلك ان العقل يفرق بين كون المتكلم متكلما بشيء بعد شيء دائماً ، وكون الفاعل يفعل شيئاً بعد شيء دائماً ، وبين آحاد الفعل والكلام ، فيقول : كل واحد من أفعاله لا بد أن يكون مسبوقا بالفاعل وأن يكون مسبوقا بالعدم ، ويمتنع كون الفعل المعين مع الفاعل أزلا وأبداً وأما كون الفاعل لم يزل يفعل فعلا بعد فعل فهذا من كمال الفاعل ، فاذا كان الفاعل حياً ، وقيل : ان الحياة مستلزمة الفعل والحركة كما قال ذلك أئمة أهل الحديث كالبخاري والدارمي وغيرهما ، وانه لم يزل متكلما إذا شاء وبما شاء ونحو ذلك ، كما قاله ابن المبارك وأحمد وغيرهما

من أئمة اهل الحديث والسنة : كان كونه متكلما او فاعلا من لوازم حياته ، وحياته لازمة له ، فلم يزل متكلما فعالا ؛ مع العلم بأن الحي يتكلم ويفعل بمشيئته وقدرته ، وان ذلك يوجب وجود كلام بعد كلام وفعل بعد فعل ، فالفاعل يتقدم على كل فعل من أفعاله ، وذلك يوجب أن كل ما سواه محدث مخلوق ، ولا نقول : انه كان فى وقت من الأوقات ولا قدرة حتى خلق [له قدرة] والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولكن نقول : لم يزل الله عالماً قادراً مالكا ، لا شبه له ولا كيف .

فليس مع الله شيء من مفعولاته قديم معه . لا بل هو خالق كل شيء ، وكل ما سواه مخلوق له ، وكل مخلوق محدث كائن بعد ان لم يكن وان قدر انه لم يزل خالقاً فعالا .

وإذا قيل : ان الخلق صفة كمال ؛ لقوله تعالى : (افمن يخلق كمن لا يخلق ؟) امكن أن تكون خالقيته دائمة وكل مخلوق له محدث مسبوق بالعدم ، وليس مع الله شيء قديم ؟ وهذا ابلغ فى الكمال من أن يكون معطلا غير قادر على الفعل ثم يصير قادراً والفعل ممكناً له بلا سبب . واما جعل المفعول المعين مقارناً له ازلا وأبداً فهذا فى الحقيقة تعطيل لخلقه وفعله ، فان كون الفاعل مقارناً لمفعوله أزلا وأبداً مخالف لصريح المعقول .

فهؤلاء الفلاسفة الدهرية وان ادعوا انهم يثبتون دوام الفاعلية فهم فى الحقيقة معطلون للفاعلية ، وهي الصفة التى هي اظهر صفات الرب تعالى ، ولهذا وقع الاخبار بها في أول ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فان أوله : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) . فاطلق الخلق . ثم خص الانسان ، واطلق التعليم ثم خص التعليم بالقلم ، والخلق يتضمن فعله ، والتعليم يتضمن قوله ، فانه يعلم بتكليمه وتكليمه بالايحاء ؛ وبالتكلم من وراء حجاب ، وبارسال رسول يوحي باذنه ما يشاء ، قال تعالى : (وعلمك ما لم تكن تعلم) ، وقال تعالى : (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم) ، وقال تعالى : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل : رب زدني علماً) وقال تعالى : (الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان الشمس والقمر بحسبان) .

وهؤلاء الفلاسفة يتضمن قولهم في الحقيقة أنه لم يخلق ولم يعلم ، فان ما يثبتونه من الخلق والتعليم انما يتضمن التعطيل ، فانه على قولهم لم يزل الفلك مقارناً له أزلا وأبداً ، فامتنع حينئذ أن يكون مفعولا له ، فان الفاعل لا بد أن يتقدم على فعله ، وعندهم أنه لا يعلم شيئاً من جزئيات العلم ، والتعليم فرع العلم ، فمن لم يعلم الجزئيات يمتنع

أن يعلمها غيره ، وكل موجود فهو جزئى لا كلي ، كذا الكليات انما وجودها فى الاذهان لا فى الاعيان ، فاذا لم يعلم شيئاً من الجزئيات لم يعلم شيئاً من الموجودات ، فامتنع أن يعلم غيره شيئاً من العلم بالموجودات المعينة .

ومن قال منهم : لا يعلم لا كلياً ولا جزئياً فقوله اقبح . ومن قال : يعلم الكليات الثابتة دون المتغيرة فهو عندهم لا يعلم شيئاً من الحوادث ، ولا يعلمها لأحد من خلقه ، كما يقتضي قولهم أنه لم يخلقها ، فعلى قولهم لا خلق ولا علم ! وهذا حقيقة قول مقدمهم أرسطو ، فانه لم يثبت أن الرب مبدع للعالم ، ولا جعله علة فاعلة ، بل الذي أثبته أنه علة غائية يتحرك الفلك لتشبهه به كتحريك المعشوق للعاشق ، وصرح بانه لا يعلم الأشياء ، فعنده لا خلق ولا علم . وأول ما انزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم)

(الوجه الرابع عشر) : ان الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب لدعوة الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له ، وذلك يتضمن معرفته لما أبدعه من مخلوقاته ، وهي المخلوقات المشهودة الموجودة : من السموات والأرض وما بينهما ، فاخبر [في] الكتاب الذى لم يأت من عنده كتاب

اهدى منه بانه خلق أصول هذه المخلوقات الموجودة المشهودة فى ستة أيام ثم استوى على العرش .

وشرع لأهل الايمان أن يجتمعوا كل أسبوع يوماً يعبدون الله فيه ويحتفلون بذلك ، ويكون ذلك آية على الاسبوع الأول الذي خلق الله فيه السموات والأرض . ولما لم يعرف الاسبوع إلا بخبر الأنبياء فقد جاء فى لغتهم عليهم السلام أسماء أيام الأسبوع فان التسمية تتبع النصوص فالاسم يعبر عما تصوره ، فلما كان تصور اليوم والشهر والحول معروفاً بالعقل تصورت ذلك الاسم وعبرت عن ذلك ، واما الاسبوع فلما لم يكن فى مجرد العقل ما يوجب معرفته فانما عرف بالسمع صارت معرفته عند أهل السمع المتلقين عن الأنبياء دون غيرهم ، وحينئذ فاخبروا الناس بخلق هذا العالم الموجود المشهود وابتداء خلقه ، وانه خلقه فى ستة أيام ، واما ما خلقه قبل ذلك شيئاً بعد شيء فهذا بمنزلة ما سيخلقه بعد قيام القيامة ودخول اهل الجنة واهل النار منازلهما . وهذا مما لا سبيل للعباد إلى معرفته تفصيلا .

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم » رواه البخاري . فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم ببدء الخلق إلى دخول أهل الجنة والنار منازلها .

وقوله : « بدأ الخلق » مثل قوله فى الحديث الآخر : « قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة » فان الخلائق هنا المراد بها الخلائق المعروفة المخلوقة بعد خلق العرش وكونه على الماء . ولهذا كان التقدير للمخلوقات هو التقدير لخلق هذا العالم ، كما فى حديث القلم : ان الله لما خلقه قال : اكتب ! قال : وماذا أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة .

وكذلك فى الحديث الصحيح : « ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وقوله فى الحديث الآخر الصحيح : « كان الله ولا شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » ، يراد به أنه كتب كل ما أراد خلقه من ذلك ؛ فان لفظ كل شيء يعم فى كل موضع بحسب ما سيقت له ، كما فى قوله : (بكل شيء عليم) ، (وعلى كل شيء قدير) ، وقوله : (الله خالق كل شيء) ، و (تدمر كل شيء) ، (وأوتيت من كل شيء) ، و (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) ، (ومن كل شيء خلقنا زوجين) ، واخبرت الرسل بتقدم اسمائه وصفاته كما فى قوله : (وكان الله عزيزاً حكيماً) . (سميعاً بصيراً) . (غفوراً رحيماً) ، وأمثال ذلك .

قال ابن عباس : « كان ولا يزال » . ولم يقيد كونه بوقت دون وقت

ويمتنع ان يحدث له غيره صفة ، بل يمتنع توقف شيء من لوازمه على غيره سبحانه ، فهو المستحق لغاية الكمال ، وذاته هي المستوجبة لذلك . فلا يتوقف شيء من كماله ولوازم كماله على غيره ، بل نفسه المقدسة ، وهو المحمود على ذلك أزلا وأبداً ، وهو الذى يحمد نفسه ويثني عليها بما يستحقه . وأما غيره فلا يحصى ثناء عليه ، بل هو نفسه كما اثنى على نفسه ، كما قال سيد ولد آدم فى الحديث الصحيح : « اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا احصي ثناء عليك ، انت كما اثنيت على نفسك » .

وإذا قيل : لم يكن متكلما ثم تكلم ، او قيل : كان الكلام ممتنعاً ثم صار ممكناً له ، كان هذا مع وصفه له بالنقص فى الأزل وانه تجدد له الكمال ومع تشبيهه له بالمخلوق الذي ينتقل من النقص إلى الكمال : ممتنعاً ؛ من جهة ان الممتنع لا يصير ممكناً بلا سبب ، والعدم المحض لا شيء فيه ، فامتنع ان يكون الممتنع فيه يصير ممكناً بلا سبب حادث .

وكذلك إذا قيل : كلامه كله معنى واحد لازم لذاته ليس له فيه قدرة ولا مشيئة ، كان هذا فى الحقيقة تعطيلا للكلام وجمعاً بين المتناقضين ، إذ هو إثبات لموجود لا حقيقة له . بل يمتنع أن يكون موجوداً مع أنه لا مدح فيه ولا كمال .

وكذلك إذا قيل : كلامه كله قديم العين ، وهو حروف وأصوات قديمة لازمة لذاته ليس له فيه قدرة ولا مشيئة . كان هذا مع ما يظهر من تناقضه وفساده فى المعقول لا كمال فيه ، إذ لا يتكلم بمشيئته ولا قدرته ولا اذا شاءه .

أما قول من يقول : ليس كلامه الا ما يخلقه فى غيره . فهـذا تعطيل للـكلام من كل وجه ، وحقيقته انه لا يتكلم كما قال ذلك قدماء الجهمية ، وهو سلب للصفات ؛ إذ فيه من التناقض والفساد حيث أثبتوا الكلام المعروف ونفوا لوازمه : ما يظهر به انه من أفسد اقوال العالمين ، بأنهم اثبتوا أنه يأمر وينهى ؛ ويخبر ويبشر ؛ وينذر وينادي ؛ من غير أن يقوم بـه شـيء من ذلك ، كما قالوا : انـه يريـد ويحب ويبغض ؛ ويغضب ، من غير أن يقوم به شيء من ذلك ، وفي هذا من مخالفـة صريح المعقول وصحيح المنقول ماهو مذكور فى غير هذا الموضع .

وأما القائلون بقدم هذا العالم فهم أبعـد عن المعقول والمنقول من جميع الطوائف ؛ ولهذا أنـكروا الكلام القـائم بذاتـه والذي يخلقه فى غيره ، ولم يكن كلامـه عندهم الا ما يحـدث في النفوس من المعقولات والمتخيلات ، وهذا معنى تكليمه لموسى عليه السلام عندهم ، فعاد التكليم الى مجرد علم المكلم . ثم إذا قالوا مع ذلك : انه لا يعلم الجزئيات ، فـلا علم ولا اعلام ، وهذا غاية التعطيل والنقص ، وهم ليس لهـم دليل قط

على قدم شيء من العالم ، بل حججهم انما تدل على قـدم نوع الفعل : وانه لم يزل الفاعل فاعلا او لم يزل لفعله مدة ؛ أو انه لم يزل للمادة مادة. وليس فى شيء من ادلتهم ما يدل على قدم الفلك ، ولا قدم شيء من حركاته ؛ ولا قـدم الزمان الذي هو مقـدار حركة الفلك . والرسل أُخبرت بخلق الافلاك وخلق الزمان الذي هو مقـدار حركتها ، مـع اخبارها بانها خلقت من مادة قبل ذلك ، وفى زمان قبل هذا الزمان ؛ فانه سبحانه أخبر انه خلق السموات والأرض فى ستة ايام ، وسواء قيل : ان تلك الايام بمقدار هذه الايام المقدرة بطلوع الشمس وغروبها ؛ أو قيل : انها أكبر منها كما قال بعضهم : ان كل يوم قـدره الف سنة ، فلا ريب ان تلك الايام التى خلقت فيها السموات والارض غـير هذه الأيام ، وغير الزمان الذي هو مقدار حركة هذه الأفلاك . وتلك الأيام مقدرة بحركة أجسام موجودة قبل خلق السموات والأرض .

وقد اخبر سبحانـه أنه (استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض : ائتيا طوعا او كرها ! قالتا : أتينا طائعـين) فخلقت من الدخان وقد جاءت الآثار عن السلف انها خلقت من بخار الماء ؛ وهو الماء الذي كان العرش عليـه ، المذكور في قوله : (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام وكان عرشه عـلى الماء) ، فقد أخـبر أنـه خلق السموات والأرض فى مـدة ومن مادة ، ولم يذكر القرآن خلق شيء

من لا شيء ، بل ذكر أنه خلق المخلوق بعد أن لم يكن شيئا ، كما قال : (وقــد خلقتك من قبــل ولم تك شيئاً) ، مع اخبــاره أنــه خلقه من نطفة .

وقوله : (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟) فيها قولان .

فالاكثرون على ان المراد أم خلقوا من غــير خالق بل من العدم المحض ؟ كما قال تعالى : (وسخر لـكم ما فى السموات وما في الأرض جميعاً منه) ، وكما قال تعالى : (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منــه) ، وقال تعالى : (وما بكم من نعمة فمن الله) .

وقيل : ام خلقوا من غير مادة ؟ وهذا ضعيف ، لقوله بعد ذلك : (ام هم الخالقون ؟) ، فدل ذلك على ان التقسيم أم خلقوا من غير خالق ، أم هم الخالقون ؟ ولو كان المراد من غير مادة لقال : أم خلقوا من غير شــيء ، أم من ماء مهــين ؟ فــدل عــلى ان المراد أنــا خالقهــم لا مادتهم .

ولأن كونهم خلقوا من غير مادة ليس فيه تعطيل وجود الخالق ، فلو ظنوا ذلك لم يقدح فى ايمانهم بالخالق بل دل على جهلهم ، ولأنهم لم يظنوا ذلك ولا يوسوس الشيطان لابن آدم بذلك ، بل كلهم يعرفون

انهم خلقوا من آبائهم وأمهاتهم ، ولان اعترافهم بذلك لا يوجب ايمانهم ولا يمنع كفرهم . والاستفهام استفهام انكار مقصوده تقريرهم انهم لم يخلقوا من غير شيء ، فاذا اقروا بأن خالقاً خلقهم نفعهم ذلك ، وأما إذا أقروا بأنهم خلقوا من مادة لم يغن ذلك عنهم من الله شيئاً .

(الوجه الخامس عشر) : أن الاقرار بأن الله لم يزل يفعل ما يشاء ويتكلم بما يشاء هو وصف الكمال الذي يليق به ؛ وما سوى ذلك نقص يجب نفيه عنه ، فان كونه لم يكن قادراً ثم صار قادراً على الكلام أو الفعل مع انه وصف له ؛ فانه يقتضي أنه كان ناقصاً عن صفة القدرة التي هي من لوازم ذاته ، والتي هي من أظهر صفات الكمال ، فهو ممتنع فى العقل بالبرهان اليقيني ، فانه إذا لم يكن قادراً ثم صار قادراً فلا بد من أمر جعله قادراً بعد أن لم يكن ، فاذا لم يكن هناك إلا العدم المحض امتنع أن يصير قادراً بعد أن لم يكن ، وكذلك يمتنع أن يصير عالما بعد أن لم يكن قبل هذا ، بخلاف الانسان فانه كان غير عالم ولا قادر ثم جعله غيره عالماً قادراً ، وكذلك إذا قالوا : كان غير متكلم ثم صار متكلما .

وهذا مما أورده الامام أحمد على الجهمية ؛ إذ جعلوه كان غير متكلم ثم صار متكلما . قالوا : كالانسان ، قال : فقد جمعتم بين تشبيه وكفر . وقد حكيت ألفاظه في غير هذا الموضع .

وإذا قال القائل : كان فى الأزل قادراً على ان يخلق فيما لا يزال ، كان هذا كلاما متناقضاً ، لأنه فى الأزل عندهم لم يكن يمكنه أن يفعل ، ومن لم يمكنه الفعل فى الأزل امتنع أن يكون قادراً فى الأزل ؛ فان الجمع بين كونه قادراً وبين كون المقدور ممتنعاً جمع بين الضدين ، فانه فى حال امتناع الفعل لم يكن قادراً .

وأيضاً يكون الفعل ينتقل من كونه ممتنعاً إلى كونه ممكناً بغير سبب موجب يحدد ذلك وعدم ممتنع .

وأيضاً فما من حال يقدرها العقل إلا والفعل فيها ممكن وهو قادر ، واذا قدر قبل ذلك شيئاً شاءه الله فالأمر كذلك ، فلم يزل قادراً والفعل ممكن ؛ وليس لقدرته وتمكنه من الفعل أول ، فلم يزل قادراً يمكنه أن يفعل ، فلم يكن الفعل ممتنعاً عليه قط .

وأيضاً فانهم يزعمون انه يمتنع فى الأزل والأزل. ليس شيئاً محدوداً يقف عنده العقل ، بل ما من غاية ينتهي اليها تقدير الفعل إلا والأزل قبل ذلك بلا غاية محدودة ، حتى لو فرض وجود مدائن أضعاف مدائن الأرض فى كل مدينة من الخردل ما يملؤها ؛ وقدر انه كلما مضت الف الف سنة فنيت خردلة فنى الخردل كله والأزل لم ينته ، ولو قدر أضعاف ذلك أضعافا لاينتهي . فما من وقت يقدر إلا والأزل قبل

ذلك . وما من وقت صدر فيه الفعل إلا وقد كان قبل ذلك ممكناً . وإذا كان ممكناً فما الموجب لتخصيص حال الفعل بالخلق دون ما قبل ذلك فيما لا يتناهى ؟ .

وأيضاً فالأزل معناه : عدم الأولية ، ليس الأزل شيئاً محدوداً ، فقولنا : لم يزل قادراً بمنزلة قولنا : هو قادر دائماً ، وكونه قادراً وصف دائم لا ابتداء له ، فكذلك إذا قيل : لم يزل متكلما إذا شاء ولم يزل يفعل ماشاء ، يقتضي دوام كونه متكلما وفاعلا بمشيئته وقدرته ، وإذا ظن الظان ان هذا يقتضي قدم شيء معه كان من فساد تصوره ، فانه إذا كان خالق كل شيء فكل ما سواه مخلوق مسبوق بالعدم ، فليس معه شيء قديم بقدمه . واذا قيل : لم يزل يخلق كان معناه لم يزل يخلق مخلوقا بعد مخلوق ، كما لا يزال في الابد يخلق مخلوقا بعد مخلوق ، تنفي ماتنفيه من الحوادث والحركات شيئاً بعد شيء . وليس في ذلك إلا وصفه بدوام الفعل ، لا بأن معه مفعولا من المفعولات بعينه .

وان قدر ان نوعها لم يزل معه فهذه المعية لم ينفها شرع ولا عقل ، بل هي من كماله ، قال تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون ؟) والخلق لا يزالون معه ، وليس في كونهم لا يزالون معه في المستقبل ما ينافي كماله ، وبين الأزل في المستقبل مع أنه في الماضي حدث بعد ان لم يكن إذ كان كل مخلوق فله ابتداء ، ولا نجزم أن يكون له انتهاء ،

وهذا فرق فى أعيان المخلوقات ، وهو فرق صحيح لكن يشتبه على كثير من الناس النوع بالعين ، كما اشتبه ذلك على كثير من الناس في الكلام فلم يفرقوا بين كون كلامه قديماً بمعنى انه لم يزل متكلما اذا شاء ، وبين كون الكلام المعين قديماً .

وكذلك لم يفرقوا بين كون الفعل المعين [قديماً وبين كون نوع الفعل] المعين قديماً كالفلك محدث مخلوق مسبوق بالعدم ، وكذلك كل ما سواه ، وهذا الذي دل عليه الكتاب والسنة والآثار ، وهو الذي تدل عليه المعقولات الصريحة الخالصة من الشبه ، كما قد بسطنا الكلام عليها فى غير هذا الموضع ، وبينا مطابقة العقل الصريح للنقل الصحيح .

وان غلط اهل الفلسفة والكلام أو غيرهم فيهما أو فى احدهما ، وإلا فالقول الصدق المعلوم بعقل او سمع يصدق بعضه بعضاً لا يكذب بعضه بعضاً ، قال تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) ، بعد قوله : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بالحق لما جاءه) ، وانما مدح من جاء بالصدق وصدق بالحق الذي جاءه . وهذه حال من لم يقبل إلا الصدق ولم يرد ما يجيئه به غيره من الصدق ، بل قبله ولم يعارض بينهما ولم يدفع أحدهما بالآخر ،

وحال من كذب على الله ونسب اليه بالسمع أو العقل مالا يصح نسبته اليه ، أو كذب بالحق لما جاءه ، فكذب من جاء بحق معلوم من سمع أو عقل ، وقال تعالى عن أهل النار : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) ، فأخبر أنه لو حصل لهم سمع أو عقل ما دخلوا النار ، وقال تعالى : (أو لم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور) ، وقال تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) أي : ان القرآن حق ، فأخبر أنه سيري عباده الآيات المشهودة المخلوقة حتى يتبين ان الآيات المتلوة المسموعة حق .

ومما يعرف به منشأ غلط هاتين الطائفتين غلطهم فى الحركة والحدوث ومسمى ذلك .

فطائفة — كارسطو وأتباعه — قالت : لا يعقل ان يكون جنس الحركة والزمان والحوادث حادثا ؛ وأن يكون مبدأ كل حركة وحادث صار فاعلا لذلك بعد أن لم يكن ، وأن يكون الزمان حادثا بعد أن لم يكن حادثا ، مع ان قبل وبعد لا يكون إلا في زمان ، وهذه القضايا كلها إنما تصدق كلية لا تصدق معينة ، ثم ظنوا ان الحركة المعينة وهي حركة الفلك هي

القديمة الأزلية وزمانها قديم ، فضلوا ضلالا مبيناً مخالفاً لصحيح المنقول المتواتر عن الانبياء صلى الله عليهم وسلم ، مع مخالفته لصريح المعقول الذي عليه جمهور العقلاء من الأولين والآخرين .

وطائفة ظنوا انه لا يمكن أن يكون جنس الحركة والحوادث والفعل إلا بعد أن لم يكن شيء من ذلك ، أو أنه يجب ان يكون فاعل الجميع لم يزل معطلا ، ثم حدثت الحوادث بلا سبب أصلا ، وانتقل الفعل من الامتناع إلى الامكان بلا سبب ، وصار قادراً بعد أن لم يكن بلا سبب ، وكان الشيء بعد مالم يكن فى غير زمان ، وامثال ذلك مما يخالف صريح العقل .

وهم يظنون مع ذلك ان هذا قول أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ، وليس هذا القول منقولا عن موسى ؛ ولا عيسى ؛ ولا محمد صلوات الله عليهم وسلامه ؛ ولا عن أحد من أصحابهم ، انما هو مما أحدثه بعض أهل البدع وانتشر عند الجهال بحقيقة أقوال الرسل وأصحابهم ، فظنوا ان هذا قول الرسل صلى الله عليهم وسلم ، وصار نسبة هذا القول إلى الرسل وأتباعهم يوجب القدح فيهم : إما بعدم المعرفة بالحق في هذه المطالب العالية ، وإما بعدم بيان الحق . وكل منهما يوجب عند هؤلاء أن يعزلوا الكتاب والسنة وآثار السلف عن الاهتداء .

وانما ضلوا لعدم علمهم بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والتابعون لهم باحسان . فان الله تعالى أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله المستوجب لصفات المدح والكمال ، المستحق للحمد على كل حال ، لا يحصى أحد ثناءاً عليه بل هو كما اثنى على نفسه بأكمل الثناء وأحسن المقال ، فهو المنعم على العباد بالخلق وبارسال الرسل إليهم وبهداية المؤمنين منهم لصالح الأعمال . وهو المتفضل عليهم بالعفو عنهم وبالثواب الدائم بلا انقطاع ولا زوال . له الحمد فى الأولى والآخرة حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه متصلا بلا انفصال .

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ؛ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

واشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي هدى به من الضلال ، وأمر المؤمنين بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؛ وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ، ووضع عنهم الآصار والاغلال ، فصلى الله عليه وعلى آله خير

---

(١) تسمى « شرح حديث انما الأعمال بالنيات » .

آل ، وعلى أصحابه الذين كانوا نصرة للدين حتى ظهر الحق وانطمست اعلام الضلال .

(أما بعد) : فان الله تعالى خلق الخلق لما شاء من حكمته ، واسبغ عليهم مالا يحصونه من نعمته ، وكرم بني آدم بأصناف كرامته ، وخص عباده المؤمنين باصطفائه وهدايته ، وجعل امة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس من بريته . وبعث فيهم رسولا من أنفسهم يعلمون صدقه وامانته وجميل سيرته ، يتلو عليهم آياته ليخرجهم من ظلمة الكفر وحيرته ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ويدعوهم الى عبادته .

وأنزل عليهم أفضل كتاب أنزله إلى خليقته ، وجعله آية باقية إلى قيام ساعته ، معجزة باهرة مبدية عن حجته ، وبينته ظاهرة موضحة لدعوته ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويدلهم على طريق جنته ، فالسعيد من اعتصم بكتاب الله واتبع الرسول في سنته وشريعته . والمهتدي بمناره المقتفى لآثاره هو أفضل الخلق في دنياه وآخرته ، والمحيي لشيء من سنته له أجرها وأجر من عمل بها من غير نقصان في أجر طاعته ، فان الله لا يظلم مثقال ذرة ؛ بل يضاعف الحسنات بفضله ورحمته .

واحياء سنته يشمل أنواعا من البر لسعة فضل الله وكرامته . فيكون بالتبليغ لها والبيان لأجل ظهور الحق ونصرته ، ويكون بالاعانة عليها بانفاق المال والجهاد إعانة على دين الله وعلو كلمته ، فالجهاد بالمال مقرون بالجهاد بالنفس قد ذكره الله تعالى قبله وفى غير موضع لعظم منزلته وثمرته ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازياً فقد غزا ، ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا » وقال : « من فطر صائما فله مثل أجره » ومثوبته ؛ لا سيما ما يبقى نفعه بعد موت الانسان ومصيره إلى تربته ، كما قال في الحديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » ، فهذه الثلاث هي من اعماله الباقية بعد ميتته ، بخلاف ما ينفعه بعد موته من أعمال غيره من الدعاء والصدقة والعتق ؛ فان ذلك ليس من سعيه بل من سعى غيره وشفاعته ، وكما يلحق بالمؤمن من يدخله الله الجنة من ذريته .

وأصل العمل الصالح هو اخلاص العبد لله فى نيته ، فانه سبحانه إنما أنزل الكتب وأرسل الرسل وخلق الخلق لعبادته ، وهي دعوة الرسل لكافة بريته ، كما ذكر ذلك في كتابه على ألسنة رسله بأوضح دلالته ؛ ولهذا كان السلف يستحبون أن يفتتحوا مجالسهم وكتبهم وغير ذلك بحديث : « إنما الأعمال بالنيات » في أول الأمر وبدايته . فنجري فى ذلك على منهاجهم إذ كانوا أفضل جيش الاسلام ومقدمته ، فنقول

مستعينين بالله على سلوك سبيل أهل ولايته وأحبته :

« عن يحيى بن سعيد الأنصاري ؛ عن محمد بن إبراهيم التيمي ؛ عن علقمة بن وقاص الليثي ؛ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات ؛ وإنما لكل امرىء ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر اليه » .

هذا حديث صحيح متفق على صحته ؛ تلقته الأمة بالقبول والتصديق مع أنه من غرائب الصحيح ؛ فانه وإن كان قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة كما جمعها ابن منده وغيره من الحفاظ ، فأهل الحديث متفقون على أنه لا يصح منها إلا من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه المذكورة ، ولم يروه عنه إلا علقمة بن وقاص الليثي ؛ ولا عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم ؛ ولا عن محمد إلا يحيى ابن سعيد الأنصاري قاضي المدينة .

ورواه عن يحيى بن سعيد أئمة الاسلام ، يقال : إنه رواه عنه نحو من مائتى عالم ، مثل مالك ؛ والثوري ؛ وابن عيينة ، وحماد ، وحماد ؛ وعبد الوهاب الثقفي ؛ وأبي خالد الأحمر ؛ وزائدة ؛ ويحيى بن سعيد

القطان ؛ ويزيد بن هارون ؛ وغير هؤلاء خلق من أهل مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام وغيرها ، من شيوخ الشافعي وأحمد واسحاق وطبقتهم ، ويحيى بن معين وعلى بن المديني وابي عبيد .

ولهذا الحديث نظائر من غرائب الصحاح ، مثل حديث ابن عمر ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه نهى بيع الولاء وهبته ، اخرجاه ؛ تفرد به عبد الله بن دينار عن ابن عمر .

ومثل حديث أنس : « ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر فقيل : ان ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال : « اقتلوه » اخرجاه ، تفرد به الزهري عن أنس ، وقيل : تفرد به مالك عن الزهري ، فالحديث الغريب : ما تفرد به واحد ، وقد يكون غريب المتن أو غريب الاسناد ، ومثل ان يكون متنه صحيحاً من طريق معروفة وروى من طريق أخرى غريبة .

ومن الغرائب ما هو صحيح ، وغالبها غير صحيح ، كما قال احمد : اتقوا هذه الغرائب فان عامتها عن الكذابين ؛ ولهذا يقول الترمذي فى بعض الأحاديث : انه غريب من هذا الوجه .

والترمذي اول من قسم الأحاديث إلى صحيح ، وحسن ، وغريب ،

وضعيف ، ولم يعرف قبله هذا التقسيم عن احـد ، لكن كانوا يقسمون الأحاديث إلى صحيح وضعيف ، كما يقسمون الرجال إلى ضعيف وغـير ضعيف ، والضعيف عنـدهم نوعان : ضعيف لا يحتج بـه وهو الضعيف فى اصطلاح الترمذي ، والثاني ضعيف يحتج به وهو الحسن فى اصطلاح الترمذي ، كما ان ضعف المرض فى اصطلاح الفقهاء نوعان : نوع يجعل تبرعات صاحبه من الثلث كما إذا صار صاحب فراش ، ونوع يكون تبرعات صاحبه من رأس المال كالمرض اليسير الذي لا يقطع صـاحبه ، ولهذا يوجد فى كلام أحمد وغيره من الفقهـاء انهم يحتجون بالحـديث الضعيف ؛ كحديث عمرو بن شعيب ، وإبراهيم الهجري وغـيرهما ؛ فان ذلك الذي سماه اولئك ضعيفاً هو ارفع من كثير من الحسن ؛ بـل هو مما يجعله كثير من الناس صحيحاً ، والترمذي قـد فسر مراده بالحسن انه : ما تعددت طرقه ، ولم يكن فيها متهم ؛ ولم يكن شاذاً .

فصـــــل

والمعنى الذي دل عليه هـذا الحديث اصل عظيم مـن أصول الدين ، بل هو أصل كل عمل ، ولهـذا قالوا : مدار الاسلام على ثلاثة أحاديث فذكروه منها ، كقول أحمـد حديث : « إنما الأعمـال بالنيات » ، و « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » « والحلال بين والحرام

بـين » ، ووجه هـذا الحديث ان الدين فعل ما امر الله بـه وترك ما نهى عنه .

فحديث الحلال بين فيـه بيان ما نهى عنـه . والذى أمر الله به نوعان : أحدهما العمل الظاهر وهو ما كان واجباً أو مستحباً ، والثاني العمل الباطن وهو اخلاص الدين لله . فقـوله : « من عمل عملا » الخ ينفي التقرب إلى الله بغير ما أمر الله به أمر إيجاب أو امر استحباب .

وقوله : « إنما الاعمال بالنيات » الخ يبين العمل البـاطن ، وان التقرب إلى الله إنما يكون بالاخلاص في الدين لله ؛ كما قال الفضيل فى قوله تعالى : (ليبلوكم ايكم احسن عملا) قال : اخلصه واصوبه ، قال : فان العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صوابا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، وعلى هـذا دل قوله تعـالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحـداً) ، فالعمل الصالح هو ما أمر الله به ورسوله أمر ايجاب أو أمر استحباب وان لا يشرك العبد بعبادة ربه أحداً ؛ وهو اخلاص الدين لله .

وكذلك قوله تعالى : (بلى من أسلم وجهـه لله وهـو محسن فله أجره عند ربه) الآية . وقوله : (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهـه

لله وهــو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً) ، وقوله : (ومـن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) فان إسـلام الوجه لله يتضمن إخلاص العمل لله ، والاحسان هو إحسان العمل لله وهو فعل ما أمر به فيه كما قال تعـالى : (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) ، فان الاسـاءة فى العمل الصالح تتضمن الاستهـانة بالامر به ، والاستهـانة بنفس العمل ، والاستهـانة بما وعـده الله من الثـواب ، فاذا اخلص العبد دينه لله وأحسن العمل له كان ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، فـكان من الذين لهم اجرهم عند ربهم ولا خـوف عليهم ولا هم يحزنون .

فصـــــل

لفظ « النية » فى كلام العرب مـن جنس لفظ القصـد والارادة ونحـو ذلك ، تقول العرب : نواك الله بخـير ، أي : أرادك بخـير ، ويقولون : نوى منويه ، وهو المكان الذي ينويه ، يسمونه نوى ، كما يقولون : قبض بمعنى مقبوض ، والنية يعبر بها عن نوع من إرادة ، ويعبر بها عن نفس المراد ، كقول العرب : هذه نيتى ، يعنى : هذه البقعة هي التى نويت اتيانها ، ويقولون : نيته قريبة أو بعيدة ، أى : البقعـة التى

نوى قصدها ، لكن من الناس من يقول : انهـا اخص من الارادة ؛ فان ارادة الانسان تتعلق بعمله وعمل غـيره ، والنيـة لا تـكون الا لعمله ، فانك تقـول : اردت من فلان كـذا ولا تقول نويت مـن فلان كذا .

فصـــــل

وقد تنازع الناس فى قوله صلى الله عليـه وسلم : « إنما الاعمـال بالنيات » : هل فيه إضمار أو تخصيص ؟ أو هو على ظاهره وعمومه؟ فـذهب طائفـة من المتأخرين الى الأول ، قالوا : لان المراد بالنيـات الأعمال الشرعية التى تجب أو تستحب ، والاعمال كلهـا لا تشترط في صحتها هذه النيات ، فان قضاء الحقوق الواجبـة من الغصوب والعوارى والودائع والديون تبرأ ذمة الدافع وان لم يكن له في ذلك نية شرعية بل تبرأ ذمته منها من غير فعل منه ، كما لو تسلم المستحق عـين مـاله أو أطارت الريح الثـوب المودع أو المغصوب فاوقعتـه فى يد صـاحبه ونحو ذلك .

ثم قال بعض هـؤلاء : تقديره إنمـا ثواب الأعمال المترتبة عليهـا بالنيات أو إنما تقبل بالنيات ، وقال بعضهم : تقديره إنما الأعمال الشرعية

أو انما صحتها ، أو إنما إجزاؤها ، ونحو ذلك .

وقال الجمهور : بل الحديث على ظاهره وعمومه ، فانه لم يرد بالنيات فيه الأعمال الصالحة وحدهـا ، بل أراد النيـة المحمودة والمذمومـة ، والعمل المحمود والمذموم ولهذا قال فى تمامه : « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله » الخ ، فذكر النية المحمودة بالهجرة إلى الله ورسوله فقط والنية المذمومة وهي الهجرة إلى امرأة أو مال ، وهـذا ذكره تفصيلا بعد اجمال ، فقال : « إنما الأعمال بالنيات ، وانما لـكل امرىء مانوى » ثم فصل ذلك بقوله : « فمن كانت هجرته » الخ .

وقد روى ان سبب هذا الحديث : أن رجلا كان قد هاجر من مكة إلى المدينة لأجل امرأة كان يحبها تدعى أم قيس ، فكانت هجرته لأجلها ، فـكان يسمى مهاجر ام قيس ، فلهذا ذكر فيـه « أو امرأة يتزوجها — وفى رواية — ينكحها » فخص المرأة بالذكر لاقتضاء سبب الحديث لذلك . والله أعلم .

والسبب الذي خرج عليه اللفظ العام لا يجوز اخراجه منه باتفـاق الناس ، والهجرة في الظاهر هي : سفر من مكان إلى مـكان ، والسفر جنس تحته أنواع مختلفة تختلف باختلاف نية صاحبه ، فقد يكون سفراً واجباً كحج أو جهاد متعين ، وقـد يكون محرماً كسفر العـادي لقطع

الطريق ، والباغي على جماعة المسلمين ، والعبد الآبق . والمرأة الناشز .

ولهذا تكلم الفقهاء فى الفرق بين العاصي بسفره والعاصي فى سفره ، فقالوا : إذا سافر سفراً مباحاً كالحج والعمرة والجهاد جاز له فيه القصر والفطر باتفاق الأئمة الأربعة ، وان عصى فى ذلك السفر . وأما إذا كان عاصياً بسفره كقطع الطريق وغير ذلك فهل يجوز له الترخص برخص السفر كالفطر والقصر ؟ فيه نزاع :

فمذهب مالك ، والشافعي ، واحمد : انه لا يجوز له القصر والفطر ومذهب ابى حنيفة يجوز له ذلك ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر هذا السفر وهذا السفر علم أن مقصوده ذكر جنس الاعمال مطلقاً ، لا نفس العمل الذي هو قربة بنفسه كالصلاة والصيام ، ومقصوده ذكر جنس النية ، وحينئذ يتبين أن قوله : « انما الأعمال بالنيات » مما خصه الله تعالى به من جوامع الكلم ، كما قال : « بعثت بجوامع الكلم » ، وهذا الحديث من اجمع الكلم الجوامع التى بعث بها ، فان كل عمل يعمله عامل من خير وشر هو بحسب ما نواه ، فان قصد بعمله مقصوداً حسناً كان له ذلك المقصود الحسن ، وان قصد به مقصوداً سيئاً كان له ما نواه .

فصـــــل

ولفظ النية يراد بهـا النوع من المصـدر ، ويراد بهـا المنوى ، واستعمالها فى هذا لعله اغلب فى كلام العرب ، فيكون المراد إنما الأعمال بحسب ما نواه العـامل ، أي : بحسب منويه ، ولهـذا قال فى تمامـه « فمن كانت هجرتـه إلى الله ورسـوله فهجرته الى الله ورسوله » فذكر ما ينويـه العـامل ويريده بعمله وهـو الغـاية المطلوبة له ، فان كل متحرك بالارادة لا بد له من مراد .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن، واقبحها حرب ومرة ، واصدقها حارث وهمام » فان كل آدمي حارث وهمام ، والحارث هو العامل الكاسب ، والهمام الذي يهم و يريد . قال تعالى: (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منهـا ، وما له في الآخرة من نصيب) فقـوله حرث الدنيـا أي كسبها وعملها ، ولهذا وضع الحريري مقاماته على لسان الحارث بن همام لصدق هذا الوصف على كل أحد .

فصـــــل

ولفظ النية يجري فى كلام العلماء على نوعين : فتارة يريدون بها تمييز عمل من عمل وعبادة من عبادة ، وتارة يريدون بها تمييز معبود عن معبود ومعمول له عن معمول له .

فالأول كلامهم فى النية : هل هي شرط فى طهارة الاحـداث ؟ وهل تشترط نيـة التعيين والتبييت فى الصيـام ؟ واذا نوى بطهـارته ما يستحب لها هل تجزيه عن الواجب ؟ أو أنه لا بـد فى الصلاة من نية التعيين ؟ ونحـو ذلك ،

والثاني كالتمييز بين اخلاص العمل لله وبين أهل الرياء والسمعة كما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة وحميـة ورياءاً ، فاي ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله » وهذا الحديث يدخل فيه سائر الأعمال ، وهذه النية تميز بين من يريد الله بعمـله والدار الآخرة ، وبين من يريد الدنيا : مالا وجاها ومدحا وثناءاً وتعظيما وغـير ذلك ، والحديث دل على هذه النية بالقصد ، وان كان قـد يقال : ان عمومه يتنـاول

النوعين ، فانه فرق بين من يريد الله ورسوله وبين من يريد دنيا أو امرأة ، ففرق بين معمول له ومعمول له ، ولم يفرق بين عمل وعمل .

وقد ذكر الله تعالى الاخلاص فى كتابه في غير موضع ، كقوله تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وقوله : (فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص) ، وقوله : (قل : الله اعبد مخلصاً له ديني) ، وغير ذلك من الآيات .

واخلاص الدين هو اصل دين الاسلام ، ولذلك ذم الرياء فى مثل قوله : (فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون) وقوله : (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ، ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال تعالى : (كالذي ينفق ماله رئاء الناس) الآية ، وقوله تعالى : (الذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) الآية .

فصل

وقد اتفق العلماء على أن العبادة المقصودة لنفسها كالصلاة والصيام والحج لا تصح الا بنية ، وتنازعوا فى الطهارة ، مثل من يكون عليه جنابة فينساها ويغتسل للنظافة ، فقال مالك والشافعي واحمد : النية

شرط لطهارة الأحداث كلها ، وقال أبو حنيفة : لا تشترط فى الطهارة بالماء بخلاف التيمم ، وقال زفر لا تشترط لا فى هذا ولا في هذا ، وقال بعض المتأخرين من اصحاب الشافعي واحمد : تشترط لازالة النجاسة ، وهذا القول شاذ ، فان ازالة النجاسة لا يشترط فيها عمل العبد ، بل تزول بالمطر النازل والنهر الجاري ، ونحو ذلك ، فكيف تشترط لها النية ؟!

وأيضاً فان إزالة النجاسة من باب التروك لا من باب الأعمال ، ولهذا لو لم يخطر بقلبه فى الصلاة أنه مجتنب النجاسة صحت صلاته إذا كان مجتنباً لها ، ولهذا قال مالك واحمد فى المشهور عنه ، والشافعي فى أحد قوليه : لو صلى وعليه نجاسة لم يعلم بها إلا بعد الصلاة لم يعد ؛ لأنه من باب التروك ، وقد ذكر الله عن المؤمنين قولهم : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) ، وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى قال قد فعلت » فمن فعل ما نهى عنه ناسياً أو مخطئاً فلا اثم عليه ؛ بخلاف من ترك ما أمر به ، كمن ترك الصلاة فلا بد من قضائها .

ولهذا فرق اكثر العلماء فى الصلاة والصيام والاحرام بين من فعل المحظور ناسياً وبين من ترك الواجب ناسياً ، كمن تكلم فى الصلاة ناسياً ومن أكل فى الصيام ناسياً ومن تطيب أو لبس ناسياً فى الاحرام والذين يوجبون النية فى طهارة الاحداث يحتجون بهذا الحديث على

ابي حنيفة ، وأبو حنيفة يسلم أن الطهارة غير المنوية ليست عبادة ولا ثواب فيها، وإنما النزاع فى صحة الصـلاة بها ، فقوله صلى الله عليه وسـلم : « إنما الأعمال بالنيات » لا يدل على محـل النزاع إلا إذا ضمت إليه مقدمـة أخرى ، وهو أن الطهارة لا تـكون إلا عبادة ، والعبادة لا تصح الا بنية ، وهذه المقدمة إذا سلمت لم تحتج إلى الاستدلال بهذا فان الناس متفقون على ان ما لا يكون الا عبادة لا يصح إلا بنيـة بخلاف ما يقع عبادة وغير عبادة كأداء الامانات وقضاء الديون .

وحينئذ فالمسألة مدارهـا على ان الوضوء هل يقع غير عبـادة ؟ والجمهور يحتجون بالنصوص الواردة في ثوابه ، كقوله : « إذا توضأ العبد المسلم خرجت خطاياه مع الماء أو مع آخر قطر الماء » وأمثـال ذلك ، فيقولون : ففيه الثواب لعموم النصوص ، والثواب لا يكون إلا مع النية فالوضوء لا يكون إلا بنية .

وأبو حنيفة يقول : الطهارة شرط من شرائط الصلاة فلا تشترط لها النية كاللباس وازالة النجـاسة ، واولئك يقولون : اللبـاس والازالة يقعان عبادة وغير عبادة ، ولهذا لم يرد نص بثواب الانسان على جنس اللباس والازالة ، وقد وردت النصوص بالثواب على جنس الوضوء .

وأبو حنيفة يقول : النصوص وردت بالثواب على الوضوء المعتـاد ،

وعامة المسلمين انما يتوضئون بالنيـة ، والوضوء الخالي عـن النية نادر لا يقع الا لمثل من اراد تعليم غيره ونحو ذلك ، والجمهور يقولون : هذا الوضوء الذي اعتاده المسلمون هو الوضوء الشرعى الذي تصح به الصلاة ، وما سوى هذا لا يدخل في نصوص الشارع ، كقوله صلى الله عليه وسلم « لا تقبل صلاة احدكم إذا احدث حتى يتوضأ » ، فان المخاطبـين لا يعرفون الوضوء المأمور به الا الوضوء الذي أثنى عليه وحث عليـه ، وغير هـذا لا يعرفونه ، فـلا يقصـد ادخاله فى عموم كلامـه ، ولا يتناوله النص .

فصـــــل

وأما النية التى هي اخلاص الدين لله فقد تـكلم الناس في حدهـا وحد الاخلاص ، كقول بعضهم : المخلص هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له فى قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل ، ولا يحب أن يطلع الناس عـلى مثاقيل الذر من عمله ، وأمثـال ذلك من كلامهم الحسن . لكن كلامهم يتضمن الاخلاص في سائر الأعمال ، وهذا لا يقع من سائر الناس ، بل لا يقع من اكـثرهم ، بل غالب المسلمين يخلصون لله فى كثير من اعمالهم كاخلاصهم في الاعمال المشتركة بينهم ،

مثل صوم شهر رمضان ، فغالب المسلمين يصومونه لله ، وكذلك من داوم على الصلوات فانه لا يصلي الا لله عز وجل ، بخلاف من لم يحافظ عليها فانما يصلي حياءً أو رياء أو لعلة دنيوية ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ؛ فان الله تعالى يقول : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله) الآية » .

ومن لم يصل الا بوضوء واغتسال فانه لا يفعل ذلك الا لله ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد . وابن ماجه من حديث ثوبان عنه أنه قال : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن ، فان الوضوء سر بين العبد وبين الله عز وجل » ، وقد ينتقض وضوؤه ولا يدري به أحد ، فاذا حافظ عليه لم يحافظ عليه الا لله سبحانه ، ومن كان كذلك لايكون الا مؤمنا ، والاخلاص فى النفع المتعدى أقل منه فى العبادات البدنية ، ولهذا قال فى الحديث المتفق على صحته : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » الحديث .

فصل

والنية محلها القلب باتفاق العلماء ؛ فان نوى بقلبه ولم يتكلم بلسانه أجزأته النية باتفاقهم ، وقد خرج بعض أصحاب الشافعي وجهاً من كلام الشافعي غلط فيه على الشافعي ؛ فان الشافعي انما ذكر الفرق بين الصلاة والاحرام بأن الصلاة في أولها كلام ، فظن بعض الغالطين أنه أراد التكلم بالنية ، وانما أراد التكبير ، والنية تتبع العلم ، فمن علم ما يريد فعله فلا بد أن ينويه ضرورة ، كمن قدم بين يديه طعاماً ليأكله فاذا علم أنه يريد الأكل فلا بد ان ينويه ، وكذلك الركوب وغيره ؛ بل لو كلف العباد ان يعملوا عملا بغير نية كلفوا مالا يطيقون ؛ فان كل أحد إذا أراد أن يعمل عملا مشروعا أو غير مشروع فعلمه سابق الى قلبه وذلك هو النية ، وإذا علم الانسان أنه يريد الطهارة والصلاة والصوم فلا بد أن ينويه إذا علمه ضرورة ، وإنما يتصور عدم النية إذا لم يعلم ما يريد ، مثل من نسي الجنابة واغتسل للنظافة أو للتبرد ، او من يريد أن يعلم غيره الوضوء ولم يرد انه يتوضأ لنفسه ، أو من لا يعلم أن غداً من رمضان فيصبح غير ناو للصوم .

وأما المسلم الذي يعلم أن غداً من رمضان وهو يريد صوم رمضان فهذا لا بد أن ينويه ضرورة ، ولا يحتاج ان يتكلم به ، واكثر ما يقع عدم التبييت والتعيين في رمضان عند الاشتباه مثل من لا يعلم أن غداً من رمضان أم لا ، فينوي صوما رمضان مطلقاً او يقصد تطوعا ، ثم يتبين أنه من رمضان، ولو تكلم بلسانه بشيء وفي قلبه خلافه كانت العبرة بما في قلبه لا بما لفظ به ، ولو اعتقد بقاء الوقت فنوى الصلاة أداء ثم تبين خروج الوقت ، أو اعتقد خروجه فنواها قضاء ثم تبين له بقاؤه أجزأته صلاته بالاتفاق .

ومن عرف هذا تبين له ان النية مع العلم في غاية اليسر لا تحتاج إلى وسوسة وآصار واغلال ؛ ولهـذا قال بعض العلماء : الوسوسة انما تحصل للعبد من جهل بالشرع أو خبل في العقل .

وقد تنازع الناس : هل يستحب التلفظ بالنية ؟ فقالت طائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي واحمد : يستحب ليكون أبلغ ؛ وقالت طائفة من أصحاب مالك : وأحمد : لا يستحب ذلك ، بل التلفظ بها بدعة ؛ فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لم ينقل عن واحد منهم أنه تكلم بلفظ النية لا في صلاة ولا طهارة ولا صيام ، قالوا : لأنها تحصل مع العلم بالفعل ضرورة ، فالتكلم بها نوع هوس وعبث وهذيان ، والنية تكون في قلب الانسان ويعتقد انها ليست في قلبه فيريد

تحصيلها بلسانه وتحصيل الحاصل محال ، فلذلك يقع كثير من الناس في أنواع من الوسواس .

واتفق العلماء على أنه لا يسوغ الجهر بالنية لا لامام ولا لمأموم ولا لمنفرد ، ولا يستحب تكريرها ، وانما النزاع بينهم فى التكلم بها سراً: هل يكره أو يستحب ؟ .

فصل

لفظة « انما » للحصر عند جماهير العلماء ، وهذا مما يعرف بالاضطرار من لغة العرب كما تعرف معاني حروف النفي والاستفهام والشرط وغير ذلك ، لكن تنازع الناس : هل دلالتها على الحصر بطريق المنطوق أو المفهوم ؟ على قولين ، والجمهور على انه بطريق المنطوق ، والقول الآخر قول بعض مثبتي المفهوم ، كالقاضي ابي يعلى فى أحد قوليه ، وبعض الغلاة من نفاته ، وهؤلاء زعموا انها تفيد الحصر ، واحتجوا بمثل قوله : (انما المؤمنون) .

وقد احتج طائفة من الاصوليين على أنها للحصر بان حرف « ان » للاثبات وحرف « ما » للنفي فاذا اجتمعا حصل النفي والاثبات جميعاً ،

وهذا خطأ عند العلماء بالعربية ؛ فان « ما » هنا هي ما الكافة ليست ما النافية ، وهذه الكافة تدخل على ان وأخواتها فتكفها عن العمل ، وذلك لأن الحروف العاملة أصلها أن تكون للاختصاص ؛ فاذا اختصت بالاسم أو بالفعل ولم تكن كالجزء منه عملت فيه ، فان وأخواتها اختصت بالاسم فعملت فيه ، وتسمى الحروف المشبهة للافعال ؛ لأنها عملت نصباً ورفعاً وكثرت حروفها ، وحروف الجر اختصت بالاسم فعملت فيه ، وحروف الشرط اختصت بالفعل فعملت فيه . بخلاف أدوات الاستفهام فانها تدخل على الجملتين ولم تعمل ، وكذلك ما المصدرية .

ولهذا القياس فى ما النافية أن لا تعمل ايضا على لغة تميم ، ولكن تعمل على اللغة الحجازية التى نزل بها القرآن فى مثل قوله تعالى : (ماهن أمهاتهم) ، و (ما هذا بشراً) استحساناً لمشابهتها « ليس » هنا ، لما دخلت ما الكافة على ان أزالت اختصاصها فصارت تدخل على الجملة الاسمية والجملة الفعلية فبطل عملها ، كقوله : (انما أنت منذر) ، وقوله : (انما تجزون ما كنتم تعملون) .

وقد تكون ما التى بعد ان اسماً لا حرفا ، كقوله : (انما صنعوا كيد ساحر) بالرفع ، أي : أن الذى صنعوه كيد ساحر ، خلاف قوله : (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) ، فان القراءة بالنصب لانستقيم إذا كانت ما بمعنى الذي ، وفى كلا المعنيين الحصر موجود ، لكن إذا

كانت ما بمعنى الذي فالحصر جاء من جهة أن المعارف هي من صيغ العموم ، فان الاسماء اما معارف واما نكرات ، والمعارف من صيغ العموم والنكرة في غير الموجب كالنفي وغيره من صيغ العموم ، فقوله : (انما صنعوا كيد ساحر) تقديره : ان الذي صنعوه كيد ساحر .

وأما الحصر في « انما » فهو من جنس الحصر بالنفي والاستثناء ، كقوله تعالى : (ما أنت إلا بشر مثلنا) ، (وما محمد إلا رسول) .

والحصر قد يعبر عنه بأن الأول محصور في الثاني ، وقد يعبر عنه بالعكس ، والمعنى واحد ، وهو أن الثاني أثبته الأول ولم يثبت له غيره مما يتوهم أنه ثابت له ، وليس المراد انك تنفي عن الأول كل ما سوى الثاني ، فقوله : (انما أنت منذر) أي : انك لست ربا لهم ؛ ولا محاسباً ؛ ولا مجازيا ؛ ولا وكيلا عليهم ؛ كما قال : (لست عليهم بمسيطر) وكما قال : (فانما عليك البلاغ) ، (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ؛ وأمه صديقة) ، ليس هو الها ولا أمه الهة ، بل غايته أن يكون رسولا ، كما غاية محمد أن يكون رسولا ، وغاية مريم أن تكون صديقة .

وهذا مما استدل به على بطلان قول بعض المتأخرين : انها نبية ، وقد حكى الاجماع على عدم نبوة احد من النساء القاضي أبو بكر

ابن الطيب والقاضي أبو يعلى ، والاستاذ أبو المعالي الجويني، وغيرهم .

وكذلك قوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) ، أي : ليس مخلداً في الدنيا لا يموت ولا يقتل ، بل يجوز عليه ماجاز على اخوانه المرسلين من الموت أو القتل ، (افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ؟) نزلت يوم أحد لما قيل ان محمداً قد قتل ، وتلاها الصديق يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، وتلى هذه الآية ، فكأن الناس لم يسمعوها حتى تلاها أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فكان لا يوجد احد الا يتلوها .

فصل

واما قوله تعالى : (انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الآية فهذه الآية اثبت فيها الايمان لهؤلاء ونفاه عن غيرهم، كما نفاه النبي صلى الله عليه وسلم عمن نفاه عنه في الأحاديث مثل قوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، فاياكم وإياكم » وكذلك قوله : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ، ومن هذا

الباب قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) الآية . وقوله : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع) الآية .

وهذه المواضع قد تنازع الناس فى نفيها ، والذي عليه جماهير السلف وأهل الحديث وغيرهم : أن نفي الايمان لانتفاء بعض الواجبات فيه ، والشارع دائماً لاينفي المسمى الشرعى إلا لانتفاء واجب فيه ، وإذا قيل: المراد بذلك نفي الكمال فالكمال نوعان واجب ومستحب ، فالمستحب كقول بعض الفقهاء : الغسل ينقسم الى كامل ومجزىء ، أي : كامل المستحبات ، وليس هذا الكمال هو المنفى فى لفظ الشارع ، بل المنفي هو الكمال الواجب وإلا فالشارع لم ينف الايمان ولا الصلاة ولا الصيام ولا الطهارة ، ولا نحو ذلك من المسميات الشرعية لانتفاء بعض مستحباتها ؛ إذ لو كان كذلك لانتفى الايمان عن جماهير المؤمنين ، بل إنما نفاه لانتفاء الواجبات ، كقوله عليه الصلاة والسلام : « لا صيام لمن لم يبيت النية » ، و « لا صلاة إلا بأم القرآن » .

وقد رويت عنه الفاظ تنازع الناس فى ثبوتها عنه مثل قوله : « لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل » « ولا صلاة إلا بوضوء ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » ، « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » ، من ثبتت عنده هذه الألفاظ فعليه أن يقول بموجبها ،

فيوجب ما تضمنته من : التبييت ؛ وذكر اسم الله ؛ وإجابة المؤذن ؛ ونحو ذلك . ثم اذا ترك الانسان بعض واجبات العبادة : هل يقال : بطلت كلها فلا ثواب له عليها ؟ أم يقال : يثاب على ما فعله ويعاقب على ما تركه ؟ وهل عليه اعادة ذلك ؟ هذا يكون بحسب الأدلة الشرعية ، فمن الواجبات فى العبادة ما لا تبطل العبادة بتركه ولا اعادة على تاركه ، بل يجبر المتروك ؛ كالواجبات فى الحج التى ليست أركانا ، مثل رمي الجمار ، وأن يحرم من غير الميقات ، ونحو ذلك .

وكذلك الصلاة عند الجمهور كمالك ، وأحمد وغيرهم ، فيها واجب لا تبطل الصلاة بتركه عندهم ، كما يقول أبو حنيفة في الفاتحة والطمأنينة . وكما يقول مالك ، وأحمد فى التشهد الأول ؛ لكن مالك وأحمد يقولان : ما تركه من هذا سهواً فعليه أن يسجد للسهو ، وأما اذا تركه عمداً فتبطل صلاته كما تبطل الصلاة بترك التشهد الأول عمداً فى المشهور من مذهبيهما ، لكن أصحاب مالك يسمون هذا سنة مؤكدة ، ومعناه معنى الواجب عندهم .

وأما أبو حنيفة فيقول : من ترك الواجب الذي ليس بفرض عمداً اساء ولا إعادة عليه ، والجمهور يقولون : لا نعهد فى العبادة واجباً فيما يتركه الانسان الى غير بدل ولا اعادة عليه ، فلا بد من وجوب البدل للاعادة . ولكن مع هذا اتفقت الأئمة على أن من ترك

واجباً فى الحج ليس بركن ولم يجبره بالدم الذي عليه لم يبطل حجه ولا تجب اعادته ، فهكذا يقول جمهور السلف وأهـل الحديث : أن من ترك واجباً من واجبات الايمان الذي لا يناقض أصول الايمـان فعليه أن يجبر ايمانه ، إما بالتوبة ؛ واما بالحسنات المكفرة . فالكبائر يتوب منها والصغائر تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فان لم يفعل لم يحبط ايمانه جملة .

وأصلهـم أن الايمـان يتبعض فيذهب بعضه ويبقى بعضه ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان » ، ولهذا مذهبهم ان الايمـان يتفاضل ويتبعض ، هذا مذهب مالك ، والشافعي ، واحمد ، وغيرهم .

واما الذين انكروا تبعضه وتفاضـله كأنهم قالوا : متى ذهب بعضه ذهب سائره ، ثم انقسموا قسمين : فقالت الخوارج والمعتزلة : فعل الواجبات وترك المحرمات من الايمـان ، فاذا ذهب بعض ذلك ذهب الايمان كله ! فلا يكون مع الفاسق ايمان اصلا بحال .

ثم قالت الخوارج : هو كافر ، وقالت المعتزلة : ليس بكافر ولا مؤمن . بل هو فاسق ننزله منزلة بين المنزلتين ، فخالفوا الخوارج فى الاسم ووافقوهم فى الحكم ، وقالوا : انه مخلد في النار لا يخرج منها

بشفاعة ولا غيرها . والحزب الثاني وافقوا أهل السنة على انه لايخلد في النار من أهل التوحيد أحد ، ثم ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع وجود كمال الايمان ؛ لاعتقادهم ان الايمان لا يتبعض ، فقالوا : كل فاسق فهو كامل الايمان ، وايمان الخلق متماثل لا متفاضل ، وانما التفاضل فى غير الايمان من الاعمال ، وقالوا : الاعمال ليست من الايمان لأن الله فرق بين الايمان والاعمال فى كتابه . ثم قال الفقهاء المعتبرون من أهل هذا القول : إن الأيمان هو تصديق اللسان وقول القلب ، وهذا المنقول عن حماد بن أبي سليمان ومن وافقه كأبي حنيفة وغيره ، وقال جهم والصالحي ومن وافقهما من أهل الكلام كأبي الحسن وغيره : انه مجرد تصديق القلب .

وفصل الخطاب في هذا الباب : أن اسم الايمان قد يذكر مجرداً ؛ وقد يذكر مقروناً بالعمل أو بالاسلام . فاذا ذكر مجرداً تناول الاعمال كما فى الصحيحين : « الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول : لا اله الا الله . وأدناها اماطة الأذى عن الطريق » ، وفيها أنه قال لوفد عبد القيس : « آمركم بالايمان بالله ، أتدرون ما الايمان بالله ؟ شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان تؤدوا خمس ما غنمتم » ، وإذا ذكر مع الاسلام ــ كما في حديث جبريل أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن

الايمان والاسلام والاحسان ـ فرق بينها ، فقال : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » ، الى آخره ..! وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الاسلام علانية والايمان فى القلب » ، فلما ذكرهما جميعاً ذكر أن الايمان في القلب والاسلام ما يظهر من الاعمال .

وإذا أُفرد الايمان أدخل فيه الاعمال الظاهرة ، لأنها لوازم ما فى القلب ؛ لأنه متى ثبت الايمان فى القلب والتصديق بما أخبر به الرسول وجب حصول مقتضى ذلك ضرورة ؛ فانه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، فاذا ثبت التصديق في القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه ألبتة ، فلا تستقر معرفة تامة ومحبة صحيحة ولا يكون لها أثر فى الظاهر .

ولهذا ينفى الله الايمان عمن انتفت عنه لوازمه ؛ فان انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم ، كقوله تعالى : (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم اولياء) ، وقوله : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) . الآية ونحوها ، فالظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيماً إلا مع استقامة الباطن ، وإذا استقام الباطن فلا بد أن يستقيم الظاهر ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب » ،

وقال عمر لمن رآه يعبث فى صلاته : لو خشع قلب هـذا لخشعت جوارحه ، وفي الحديث : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه » .

ولهذا كان الظاهر لازماً للباطن من وجه وملزوماً له من وجه ، وهو دليل عليه من جهة كونه ملزوماً لا من جهة كونه لازماً ؛ فان الدليل ملزوم المدلول يلزم مـن وجود الدليل وجـود المدلول ، ولا يلزم من وجود الشيء وجود ما يدل عليه ، والدليل يطرد ولا ينعكس بخلاف الحد فانه يطرد وينعكس .

وتنازعوا فى العلة هـل يجب طردها بحيث تبطـل بالتخصيص والانتقاض ؟ والصواب أن لفظ العلة يعبر به عن العـلة التامة وهو مجموع ما يستلزم الحكم فهـذه يجب طردها ، ويعبر به عـن المقتضى للحكم الذي يتوقف اقتضاؤه على ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ، فهذه إذا تخلف الحكم عنها لغير ذلك بطلت .

وكذلك تنازعوا فى انعكاسها وهو أنه هل يلزم مـن عدم الحكم عدمها ؟ فقيل : لا يجب انعكاسها ؛ لجواز تعليل الحكم بعلتين . وقيل : يجب الانعكاس ؛ لأن الحكم متى ثبت مع عدمها لم تـكن مؤثرة فيه بل كان غنياً عنها ، وعدم التأثير مبطل للعلة . وكثير من الناس يقول

بأن عدم التأثير يبطل العلة ، ويقول بأن العكس ليس بشرط فيها ، وآخرون يقولون : هذا تناقض .

والتحقيق في هذا : أن العلة إذا عدمت عدم الحكم المتعلق بها بعينه ، لكن يجوز وجود مثل ذلك الحكم بعلة أخرى ، فاذا وجد ذلك الحكم بدون علة أخرى علم أنها عديمة التأثير وبطلت ، وأما اذا وجد نظير ذلك الحكم بعلة أخرى كان نوع ذلك الحكم معللا بعلتين وهذا جائز ، كما اذا قيل فى المرأة المرتدة : كفرت بعد اسلامها فتقتل قياساً على الرجل ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله الا باحدى ثلاث : رجل كفر بعد اسلامه أو زنى بعد احصانه ؛ أو قتل نفساً فقتل بها » . فاذا قيل له : لا تأثير لقولك : كفر بعد اسلامه فان الرجل يقتل بمجرد الكفر ، وحينئذ فالمرأة لا تقتل بمجرد الكفر ؛ فيقول : هذه علة ثابتة بالنص وبقوله : « من بدل دينه فاقتلوه » وأما الرجل فما قتلته لمجرد كفره بل لكفره وجراءته ، ولهذا لا اقتل من كان عاجزاً عن القتال كالشيخ الهرم ونحوه . واما الكفر بعد الاسلام فعلة اخرى مبيحة للدم ؛ ولهذا قتل بالردة من كان عاجزاً عن القتال كالشيخ الكبير .

وهذا قول مالك واحمد ، وان كان ممن يرى ان مجرد الكفر

يبيح القتال كالشافعي ؛ قال : الكفر وحده علة ؛ والكفر بعد الاسلام علة اخرى .

وليس هذا موضع بسط هذه الأمور ، وانما ننبه عليها .

والمقصود : ان لفظ الايمان تختلف دلالته بالاطلاق والاقتران . فاذا ذكر مع العمل أريد به أصل الايمان المقتضى للعمل ، واذا ذكر وحده دخل فيه لوازم ذلك الأصل .

وكذلك اذا ذكر بدون الاسلام كان الاسلام جزءاً منه وكان كل مسلم مؤمناً ، فاذا ذكر لفظ الاسلام مع الايمان تميز أحدهما عن الآخر كما فى حديث جبريل ، وكما فى قوله تعالى : (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) ، ولهذا نظائر كلفظ المعروف والمنكر والعدل والاحسان وغير ذلك ، ففي قوله : (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) يدخل فى لفظ المعروف كل مأمور به ، وفي لفظ المنكر كل منهى عنه ، وفى قوله تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) جعل الفحشاء غير المنكر ، وقوله : (ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) جعل الفحشاء والبغي غير المنكر .

واذا قيل : هذا من باب عطف الخاص على العام والعام على الخاص

فللناس هنا قولان : منهم من يقول : الخاص دخل فى العام وخص بالذكر ، فقد ذكر مرتين . ومنهم من يقول : تخصيصه بالذكر يقتضي انه لم يدخل فى العام ، وقد يعطف الخاص على العام كما فى قوله : (وملائكته وجبريل) ، وقوله : (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك) الآية ، وقد يعطف العام على الخاص كما في قوله تعالى : (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وارضاً لم تطأوها) .

وأصل الشبهة فى الايمان ان القائلين : أنه لا يتبعض قالوا : ان الحقيقة المركبة من أمور متى ذهب بعض اجزائها انتفت تلك الحقيقة ، كالعشرة المركبة من آحاد ، فلو قلنا : إنه يتبعض لزم زوال بعض الحقيقة مع بقاء بعضها ، فيقال لهم : اذا زال بعض اجزاء المركب تزول الهيئة الاجتماعية الحاصلة بالتركيب ، لكن لا يلزم أن يزول سائر الأجزاء ، والايمان المؤلف من الأقوال الواجبة والأعمال الواجبة الباطنة والظاهرة هو المجموع الواجب الكامل ، وهذه الهيئة الأجتماعية تزول بزوال بعض الأجزاء ، وهذه هي المنفية فى الكتاب والسنة في مثل قوله : « لا يزنى الزانى » الخ ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) الآيات ، ولكن لا يلزم أن تزول سائر الأجزاء ؛ ولا ان سائر الأجزاء الباقية لا تكون من الايمان بعد زوال بعضه . كما أن واجبات الحج من الحج الواجب الكامل واذا زالت زال

هذا الكمال ولم يزل سائر الحج .

وكذلك الانسان الكامل يدخل فى مسماه أعضاؤه كلها ، ثم لو قطعت يداه ورجلاه لم يخرج عن اسم الانسان وان كان قد زال منه بعض ما يدخل [فى] الاسم الكامل .

وكذلك لفظ الشجرة والباب والبيت والحائط وغير ذلك ، يتناول المسمى فى حال كمال اجزائه بعد ذهاب بعض اجزائه .

وبهذا تزول الشبهة التى أوردها الرازي ومن اتبعه كالاصبهانى وغيره على الشافعي ؛ فان مذهبه فى ذلك مذهب جمهور أهل الحديث والسلف ، وقد اعترض هؤلاء بهذه الشبهة الفاسدة على السلف .

والايمان يتفاضل من جهة الشارع ، فليس ما أمر الله به كل عبد هو ما أمر الله به غيره ، ولا الايمان الذي يجب على كل عبد يجب على غيره ، بل كانوا فى أول الاسلام يكون الرجل مؤمنا كامل الايمان مستحقا للثواب اذا فعل ما أوجبه الله عليه ورسوله ، وان كان لم يقع منه التصديق المفصل بما لم ينزل من القرآن ولم يصم رمضان ولم يحج البيت ، كما أن من آمن فى زمننا هذا ايمانا تاما ومات قبل دخول وقت صلاة عليه مات مستكملا للايمان الذي وجب عليه ، كما انه مستحق للثواب على ايمانه ذلك .

وأما بعد نزول ما نزل من القرآن وايجاب ما أوجبه الله ورسوله من الواجبات وتمكن من فعل ذلك فانه لا يكون مستحقا للثواب بمجرد ما كان يستحق به الثواب قبل ذلك ، فلذلك يقول هؤلاء : لم يكن هذا مؤمنا بما كان به مؤمنا قبل ذلك ، وهذا لأن الايمان الذي شرع لهذا أعظم من الايمان الذي شرع لهذا ، وكذلك المستطيع الحج يجب عليه ما لا يجب على العاجز عنه ، وصاحب المال يجب عليه من الزكاة مالا يجب على الفقير ، ونظائره متعددة .

واما تفاصيله من جهة العبد فتارة يقوم هذا من الاقرار والعمل بأعظم مما يقوم به هذا . وكل احد يعلم ان ما فى القلب من الأمور يتفاضل ، حتى إن الانسان يجد نفسه أحيانا اعظم حبا لله ورسوله وخشية لله ، ورجاء لرحمته وتوكلا عليه ؛ واخلاصا منه فى بعض الأوقات .

وكذلك المعرفة والتصديق تتفاضل فى أصح القولين ، وهذا اصح الروايتين عن أحمد ، وقد قال غير واحد من الصحابة كعمر بن حبيب الخطمي وغيره : الايمان يزيد وينقص ، فاذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته ، واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه .

ولهذا سن الاستثناء في الايمان ، فان كثيراً من السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم استثنوا فى الايمان ، وآخرون انكروا الاستثناء فيه

وقالوا : هذا شك . والذين استثنوا فيه منهم من أوجبه ، ومنهم من لم يوجبه ، بل جوز تركه باعتبار حالتين ، وهذا أصح الاقوال ، وهذان القولان في مذهب أحمد وغيره ، فمن استثنى لعدم علمه بأنه غير قائم بالواجبات كما أمر الله ورسوله فقد أحسن ، وكذلك من استثنى لعدم علمه بالعاقبة ، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله تعالى لا شكا ، ومن جزم بما هو في نفسه في هذه الحال كمن يعلم من نفسه أنه شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فجزم بما هو متيقن حصوله في نفسه فهو محسن في ذلك .

وكثير من منازعات الناس في مسائل الايمان ومسائل الأسماء والأحكام هي منازعات لفظية ، فاذا فصل الخطاب زال الارتياب . والله سبحانه أعلم بالصواب .

فصل

قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله » ليس هو تحصيل للحاصل ، لكنه إخبار بأن من نوى بعمله شيئاً فقد حصل له ما نواه ، أي : من قصد بهجرته الله ورسوله حصل له ما قصده ، ومن كان قصده الهجرة إلى دنيا أو امرأة فليس له إلا ذلك ، فهذا تفصيل لقوله : « إنما الأعمال بالنيات »

ولما أخبر أن لكل امرئ ما نوى ذكر أن لهذا ما نواه ولهذا ما نواه.

والهجرة مشتقة من الهجر، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله»، كما قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»، وهذا بيان منه لكمال مسمى هذا الاسم، كما قال: «ليس المسكين بهذا الطواف» الخ، وقد يشبه هذا قوله: «ما تعدون المفلس فيكم؟» قالوا: من ليس له درهم ولا دينار. قال: ليس هذا المفلس! ولكن المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيأتي وقد ضرب هذا؛ وشتم هذا؛ وأخذ مال هذا؛ فيعطى هذا من حسناته؛ وهذا من حسناته؛ فاذا لم يبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه؛ ثم طرح في النار». وقال: «ما تعدون الرقوب فيكم؟ قالوا: من لا يولد له. قال: الرقوب من لم يقدم من ولده شيئاً»، ومثله قوله: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

لكن في هذه الأحاديث مقصود وبيان ما هو أحق بأسماء المدح والذم مما يظنونه. فان الافلاس حاجة وذلك مكروه، فبين أن حقيقة الحاجة إنما تكون يوم القيامة، وكذلك عدم الولد تكرهه النفوس لعدم الولد النافع، فبين أن الانتفاع بالولد حقيقة إنما يكون في الآخرة لمن

قدم أولاده بين يديه ، وكذلك الشدة والقوة محبوبة ، فبين أن قوة النفوس أحق بالمدح من قوة البدن ، وهو أن يملك نفسه عند الغضب ، كما قيل لبعض سادات العرب : ما بال عبيدكم أصبر منكم عند الحرب وعلى الأعمال ؟ قال : هم أصبر أجساداً ونحن أصبر نفوساً .

وأما قوله : في اسم المسلمين فهو من جنس قوله : في المسلم والمؤمن والمهاجر والمجاهد وهذا مطابق لما تقدم من أن الشارع لا ينفي مسمى اسم شرعي الا لانتفاء كماله الواجب ؛ فان هجر ما نهى الله عنه واجب ؛ وسلامة المسلمين من عدوان الانسان بلسانه ويده واجب ، والمؤمن على دمائهم واموالهم لا يكون من امنه الناس الا إذا كان اميناً والامانة واجبة ، والمسكين الذي لا يسأل ولا يعرف هو أحق بالاعطاء ممن أظهر حاجته وسؤاله ، وعطاؤه واجب ، وتخصيص السائل بالعطاء دون هذا لا يجوز ، بل تخصيص الذي لا يسأل أولى وأوجب وأحب .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ؛ ولكن جهاد ونية ؛ واذا استنفرتم فانفروا » ، وقال « لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو » وكلاهما حق . فالأول أراد به الهجرة المعهودة في زمانه ، وهي الهجرة إلى المدينة من مكة وغيرها من أرض العرب ، فان هذه الهجرة كانت مشروعة لما كانت مكة وغيرها دار كفر وحرب وكان الايمان بالمدينة ، فكانت الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام واجبة لمن قدر عليها ، فلما فتحت مكة وصارت دار الاسلام ودخلت العرب في الاسلام

صارت هذه الأرض كلها دار الاسلام ، فقال : « لا هجرة بعد الفتح » وكون الأرض دار كفر ودار ايمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها ؛ بل هي صفة عارضة بحسب سكانها ، فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله فى ذلك الوقت ، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر فى ذلك الوقت ، وكل ارض سكانها الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت ، فان سكنها غير ماذكرنا وتبدلت بغيرهم فهي دارهم .

وكذلك المسجد إذا تبدل بخمارة أو صار دار فسق أو دار ظلم أو كنيسة يشرك فيها بالله كان بحسب سكانه ؛ وكذلك دار الخمر والفسوق ونحوها اذا جعلت مسجداً يعبد الله فيه جل وعز كان بحسب ذلك ، وكذلك الرجل الصالح يصير فاسقاً والكافر يصير مؤمناً أو المؤمن يصير كافراً أو نحو ذلك ، كل بحسب انتقال الأحوال من حال إلى حال وقد قال تعالى : (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) الآية نزلت في مكة لما كانت دار كفر وهي ما زالت فى نفسها خير أرض الله واحب ارض الله إليه ، وانما اراد سكانها . فقد روى الترمذى مرفوعا : « أنه قال لمكة وهو واقف بالحزورة : والله انك لخير ارض الله ، واحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومي اخرجوني منك لما خرجت » . وفى رواية : « خير ارض الله واحب ارض الله الي » فبين انها احب أرض الله إلى الله ورسوله ، وكان مقامه بالمدينة ومقام

من معه من المؤمنين افضل من مقامهم بمكة لأجل أنها دار هجرتهم ؛ ولهذا كان الرباط بالثغور أفضل من مجاورة مكة والمدينة ، كما ثبت فى الصحيح : « رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطاً مات مجاهداً ، وجرى عليه عمله ، واجرى رزقه من الجنة ، وأمن الفتان »

وفى السنن عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل » وقال أبو هريرة : لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن اقوم ليلة القدر عند الحجر الاسود ؛ ولهذا كان أفضل الأرض في حق كل إنسان ارض يكون فيها أطوع لله ورسوله ، وهذا يختلف باختلاف الأحوال ، ولا تتعين أرض بكون مقام الانسان فيها أفضل وإنما يكون الأفضل في حق كل انسان بحسب التقوى والطاعة والخشوع والخضوع والحضور ، وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان : هلم الى الارض المقدسة ! فكتب إليه سلمان : ان الأرض لا تقدس احداً وانما يقدس العبد عمله . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سلمان وأبي الدرداء ؛ وكان سلمان افقه من ابى الدرداء فى اشياء من جملتها هذا .

وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام : (سأريكم دار الفاسقين) وهي الدار التى كان بها اولئك العمالقة ، ثم صارت بعد هذا دار المؤمنين ، وهي الدار التى دل عليها القرآن من الأرض المقدسة ،

وارض مصر التى اورثها الله بني اسرائيل ، فاحوال البلاد كاحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلماً ، وتارة كافراً ، وتارة مؤمناً ؛ وتارة منافقاً ، وتارة براً تقياً ، وتارة فاسقاً ، وتارة فاجراً شقياً .

وهكذا المساكن بحسب سكانها ، فهجرة الانسان من مكان الكفر والمعاصي الى مكان الايمان والطاعة كتوبته وانتقاله من الكفر والمعصية الى الايمان والطاعة ، وهذا أمر باق الى يوم القيامة ، والله تعالى قال : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم) .

قالت طائفة من السلف : هذا يدخل فيه من آمن وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة ، وهكذا قوله تعالى : (والذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) يدخل في معناها كل من فتنه الشيطان عن دينه أو أوقعه في معصية ثم هجر السيئات وجاهد نفسه وغيرها من العدو ، وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك وصبر على ما أصابه من قول أو فعل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال :

فصـــل

الأذكار الثلاثة التى اشتملت عليها خطبة ابن مسعود وغيره، وهى الحمد لله ، نستعينه ، ونستغفره : هي التى يروى عن الشيخ عبد القادر ثم أبي الحسن الشاذلي ، أنها جوامع الكلام النافع . وهي : الحمد لله واستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وذلك أن العبد بين أمرين أمر يفعله الله به ، فهي نعم الله التى تنزل عليه ، فتحتاج الى الشكر . وأمر يفعله هو : إما خير ، وإما شر ، فالخير يفتقر إلى معونة الله له ، فيحتاج إلى الاستعانة ، والشر يفتقر إلى الاستغفار ، ليمحو أثره .

وجاء في حديث ضماد الأزدي : « الحمد لله نحمده ونستعينه » فقط وهذا موافق لفاتحة الكتاب ، حيث قسمت نصفين : نصفاً للرب ، ونصفاً للعبد ، فنصف الرب مفتتح بالحمد لله ، ونصف العبد مفتتح بالاستعانة به ، فقال نحمده ونستعينه ، وقد يقرن بين الحمد والاستغفار كما في الأثر الذى رواه أحمد فى الزهد « أن رجلا كان على عهد

الحسن فقيل له : تلقينا هــذه الخطبة عن الوالد عن والده كما يقولها كثير من الناس : الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنــا » فأما نحمــده ونستعينه ففي حديث ضماد ، « ونستعينه ونستغفره » في حـديث ابن مسعود . وأما نستهديه ففي فاتحة الكتاب ، لأن نصفهـا للرب وهــو الحمد ، ونصفها للعبد ، وهو الاستعانة والاستهداء ، وليس فيها الاستغفار لأنه لا يــكون إلا مع الذنب ، والسورة أصـل الايمـان ، والفــاتحة باب السعادة ، المانعة من الذنوب . كما قال تعـالى : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنـكر)

وعن ابن عباس أن ضماداً قدم مكة وكان من أزدشنوءة . وكان يرقى من هذه الريح ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : ان محمداً مجنون ، فقال لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيــه على يدي ، قال فلقيه فقال : يا محمد اني أرقي من هــذه الريح ، وان الله يشفى على يدي من شاء الله ، فهل لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحــده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد » قال : فقال أعــد علي كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، قال : فقال :

لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغت قاعوس البحر ،قال : فقال هات يدك أبايعك على الاسلام ، قال : فبايعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى قومك ، فقال وعلى قومي » رواه مسلم فى صحيحه .

ولهذا استحببت ، وفعلت فى مخاطبة الناس بالعلم عموما وخصوصاً : من تعليم الكتاب والسنة والفقه فى ذلك . وموعظة الناس ، ومجادلتهم أن يفتتح بهذه الخطبة الشرعية النبوية، وكان الذي عليه شيوخ زماننا الذين أدركناهم وأخذنا عنهم وغيرهم يفتتحون مجلس التفسير أو الفقه فى الجوامع والمدارس وغيرها بخطبة أخرى .

مثل : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ورضي الله عنا وعنكم ، وعن مشائخنا ، وعن جميع المسلمين ، أو وعن السادة الحاضرين ، وجميع المسلمين ؛ كما رأيت قوما يخطبون للنكاح بغير الخطبة المشروعة ، وكل قوم لهم نوع غير نوع الآخرين ، فان حديث ابن مسعود لم يخص النكاح ، وانما هي خطبة لكل حاجة فى مخاطبة العباد بعضهم بعضاً ، والنكاح من جملة ذلك ، فان مراعاة السنن الشرعية فى الأقوال والأعمال فى جميع العبادات والعادات ، هو كمال الصراط المستقيم ، وما سوى ذلك إن لم يكن

منهياً عنه ، فانه منقوص مرجوح ، اذ خير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم .

والتحقيق أن قوله : « الحمد لله نستعينه ونستغفره » هي الجوامع ، كما فى الحديث النبوي ، حديث ابن مسعود ذكر ذلك ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم وخواتمه وفواتحه ، كما في سورتى «أبي» فان الاستهداء يدخل فى الاستعانة ، وتكرير نحمده قد استغنى به بقوله « الحمد لله » ، فاذا فصلت جاز ، كما فى دعاء القنوت : « اللهم إنا نستعينك ، ونستهديك ، ونستغفرك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونثني عليك الخير كله ، ونشكرك ، ولا نكفرك ، ونخلع ، ونترك من يفجرك » . فهذه إحدى سورتى أبي . وهي مفتتحة بالاستعانة التى هي نصف العبد ، مع ما بعدها من فاتحة الكتاب ، وفي السورة الثانية : « اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق » . فهذا مفتتح بالعبادة التى هي نصف الرب ، مع ما قبلها من الفاتحة ، ففي سورتى القنوت مناسبة لفاتحة الكتاب ، وفيها جميعاً مناسبة لخطبة الحاجة وذلك جميعه من فواتح الكلم ، وجوامعه ، وخواتمه .

وأما قوله : « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا » فان المستعاذ منه نوعان : فنوع موجود ، يستعاذ من ضرره الذي لم

يوجد بعد ، ونوع مفقود يستعاذ من وجوده ؛ فان نفس وجوده ضرر ، مثال الأول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ، ومثال الثانى : (رب أعوذ بك من همزات الشياطين ؛ وأعوذ بك رب أن يحضرون) و « اللهم انى أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل » .

وأما قوله : (قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد) فيشترك فيه النوعان ، فانه يستعاذ من الشر الموجود أن لا يضر ، ويستعاذ من الشر الضار المفقود أن لا يوجد ، فقوله فى الحديث : « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا » يحتمل القسمين : يحتمل نعوذ بالله أن يكون منها شر ، ونعوذ بالله أن يصيبنا شرها ، وهذا أشبه والله اعلم .

وقوله : « ومن سيئات أعمالنا » السيئات هي عقوبات الأعمال ، كقوله : (سيئات ما مكروا) فان الحسنات والسيئات يراد بها النعم والنقم كثيراً كما يراد بها الطاعات والمعاصي ، وإن حملت على السيئات التى هي المعاصي ، فيكون قد استعاذ أن يعمل السيئات ، أو أن تضره وعلى الأول وهو اشبه فقد استعاذ من عقوبة أعماله أن تصيبه ، وهذا أشبه .

فيكون الحديث قد اشتمل على الاستعاذة من الضرر الفاعلي ، والضرر الغائي ، فان سبب الضرر هو شر النفس ، وغايته عقوبة الذنب ، وعلى هذا فيكون قد استعاذ من الضرر المفقود الذي انعقد سببه أن لا يكون ، فان النفس مقتضية للشر ، والأعمال مقتضية للعقوبة ، فاستعاذ أن يكون شر نفسه ، أو أن تكون عقوبة عمله ، وقد يقال : بل الشر هو الصفة القائمة بالنفس الموجبة للذنوب ، وتلك موجودة كوجود الشيطان ، فاستعاذ منها أن تضره أو تصيبه ، كما يقال : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ، وان حمل على الشرور الواقعة ، وهي الذنوب من النفس ، فهذا قسم ثالث .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله :

فصـــــل

في قول النبي صلى الله عليـه وسلم فى الحديث الصحيح .

« بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء ! » .

لا يقتضي هذا انه إذا صار غريباً يجوز تركه ـــ والعياذ بالله ! بل الأمر كما قال تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخـرة من الخاسرين) ، وقال تعـالى : (إن الدين عنـد الله الاسلام) ، وقال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاتـه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، وقال تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيـا ، وإنه فى الآخرة لمـن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، يا بني إن الله اصطفى لـكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

وقد بسطنا الكلام على هذا فى موضع آخر . وبينا أن الأنبياء كلهم كان دينهم الاسلام من نوح الى المسيح .

ولهذا لما بدأ الاسلام غريباً لم يكن غيره من الدين مقبولا ، بل قد ثبت فى الحديث الصحيح — حديث عياض بن حمار — عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم — عربهم وعجمهم — إلا بقايا من أهل الكتاب » الحديث .

ولا يقتضي هذا أنه إذا صار غريباً أن المتمسك به يكون فى شر ، بل هو أسعد الناس كما قال فى تمام الحديث « فطوبى للغرباء » . و « طوبى » من الطيب ، قال تعالى (طوبى لهم وحسن مآب) فانه يكون من جنس السابقين الأولين الذين اتبعوه لما كان غريباً .

وهم أسعد الناس . أما فى الآخرة فهم أعلى الناس درجة بعد الأنبياء عليهم السلام .

وأما فى الدنيا فقد قال تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي ان الله حسبك وحسب متبعك . وقال تعالى (إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) وقال تعالى (أليس

الله بكاف عبده) وقال (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه) . فالمسلم المتبع للرسول : الله تعالى حسبه وكافيه ، وهو وليه حيث كان ومتى كان .

ولهذا يوجد المسلمون المتمسكون بالاسلام فى بلاد الكفر لهم السعادة كلما كانوا أتم تمسكا بالاسلام ، فان دخل عليهم شر كان بذنوبهم . حتى إن المشركين وأهل الكتاب إذا رأوا المسلم القائم بالاسلام عظموه وأكرموه وأعفوه من الأعمال التى يستعملون بها المنتسبين إلى ظاهر الاسلام من غير عمل بحقيقته لم يكرم .

وكذلك كان المسلمون في أول الاسلام وفى كل وقت .

فانه لابد أن يحصل للناس في الدنيا شر ولله على عباده نعم ، لكن الشر الذي يصيب المسلم أقل والنعم التى تصل اليه اكثر . فكان المسلمون فى أول الاسلام وان ابتلوا بأذى الكفار والخروج من الديار فالذي حصل للكفار من الهلاك كان أعظم بكثير ، والذي كان يحصل للكفار من عز أو مال كان يحصل للمسلمين اكثر منه حتى من الأجانب .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم — مع ما كان المشركون يسعون في أذاه بكل طريق — كان الله يدفع عنه ويعزه ويمنعه وينصره، من حيث كان أعز قريش ما منهم الا من كان يحصل له من يؤذيه، ويهينه من لا يمكنه دفعه، إذ لكل كبير كبير يناظره. ويناويه ويعاديه. وهذه حال من لم يتبع الاسلام — يخاف بعضهم بعضا، ويرجو بعضهم بعضاً.

وأتباعه، الذين هاجروا إلى الحبشة أكرمهم ملك الحبشة وأعزهم غاية الاكرام والعز، والذين هاجروا إلى المدينة فكانوا اكرم وأعز.

والذي كان يحصل لهم من أذى الدنيا كانوا يعوضون عنه عاجلا من الايمان وحلاوته ولذته ما يحتملون به ذلك الأذى. وكان أعداؤهم يحصل لهم من الأذى والشر أضعاف ذلك من غير عوض لا آجلا ولا عاجلا، إذ كانوا معاقبين بذنوبهم.

وكان المؤمنون ممتحنين ليخلص إيمانهم وتكفر سيأتهم. وذلك أن المؤمن يعمل لله، فان أوذى احتسب أذاه على الله، وان بذل سعياً أو مالا بذله لله فاحتسب أجره على الله.

والايمان له حلاوة فى القلب ولذة لا يعدلها شيء ألبتة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره ان يلقى فى النار » اخرجاه فى الصحيحين . وفى صحيح مسلم : « ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبياً » .

وكما أن الله نهى نبيه أن يصيبه حزن أو ضيق ممن لم يدخل فى الاسلام فى أول الأمر فكذلك في آخره . فالمؤمن منهى أن يحزن عليهم أو يكون فى ضيق من مكرهم .

وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الاسلام جزع وكل وناح كما ينوح أهل المصائب ، وهو منهى عن هذا ؛ بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الاسلام ، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأن العاقبة للتقوى . وأن ما يصيبه فهو بذنوبه فليصبر ، إن وعد الله حق ، وليستغفر لذنبه ، وليسبح بحمد ربه بالعشى والابكار .

وقوله صلى الله عليه وسلم « ثم يعود غريباً كما بدأ » يحتمل شيئين :

أحدهما أنه في أمكنة وأزمنة يعود غريباً بينهم ثم يظهر ، كما كان فى أول الأمر غريباً ثم ظهر . ولهــذا قال « سيعود غريباً كما بدأ » . وهو لمـا بدأ كان غريباً لا يعرف ثم ظهر وعرف ، فكذلك يعود حتى لا يعرف ثم يظهر ويعرف . فيقل من يعرفه فى أثنـاء الأمر كما كان من يعرفه أولا .

ويحتمل أنه في آخر الدنيا لا يبقى مسلماً الا قليل . وهــذا إنما يكون بعد الدجال ويأجوج ومأجوج عند قرب الساعة . وحينئذ يبعث الله ريحاً تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ثم تقوم القيامة .

وأما قبل ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، حتى تقوم الساعــة » . وهــذا الحديث فى الصحيحين ، ومثــله من عدة أوجه .

فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا تزال طائفة ممتنعة من أمته على الحق أعزاء لا يضرهم المخالف ولا خلاف الخاذل . فأما بقــاء الاسلام غريباً ذليلا فى الأرض كلها قبل الساعة فلا يكون هذا .

وقوله صلى الله عليــه وسلم « ثم يعود غريبــاً كما بدأ » ، أعظم

ما تكون غربته إذا ارتد الداخلون فيه عنه ، وقد قال تعـالى (من يرتد منـكم عـن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة عـلى الـكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) . فهؤلاء يقيمونه إذا ارتد عنه أولئك .

وكذلك بدأ غريباً ولم يزل يقوى حتى انتشر . فهكذا يتغرب فى كثير من الأمكنة والأزمنة ثم يظهر حتى يقيمه الله عز وجـل ، كما كان عمر بن عبد العزيز لما ولى قد تغرب كثير من الاسلام على كثير من الناس حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر . فأظهر الله به فى الاسلام ما كان غريباً .

وفى السنن : « إن الله يبعث لهذه الأمة فى رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » . والتجديد إنما يكون بعد الدروس ، وذاك هو غربة الاسلام .

وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلة من يعرف حقيقة الاسلام ، ولا يضيق صدره بذلك ، ولا يكون فى شك من دين الاسلام ، كما كان الأمر حين بدأ . قال تعالى (فان كنت فى شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) ، الى غير ذلك من الآيات

والبراهين الدالة على صحة الاسلام .

وكذلك إذا تغرب يحتاج صاحبه من الأدلة والبراهين الى نظير ما احتاج إليه فى أول الأمر . وقد قال له (أفغير الله أبتغى حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ، والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين . وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) ، وقال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) .

وقد تكون الغربة في بعض شرائعه ، وقد يكون ذلك في بعض الأمكنة . ففي كثير من الأمكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير [به] غريباً بينهم لا يعرفه منهم إلا الواحد بعد الواحد .

ومع هذا فطوبى لمن تمسك بتلك الشريعة كما أمر الله ورسوله . فان إظهاره والأمر به والانكار على من خالفه هو بحسب القوة والأعوان . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ،

ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » .

وإذا قدر أن في الناس من حصل له سوء فى الدنيا والآخرة بخلاف ما وعد الله به رسوله وأتباعه فهذا من ذنوبه ونقص إسلامه ، كالهزيمة التى أصابتهم يوم أحد .

وإلا فقد قال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ، وقال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون) . وفيما قصه الله تعالى من قصص الأنبياء وأتباعهم ونصرهم ونجاتهم وهلاك أعدائهم عبرة ، والله أعلم .

فان قيل : قوله تبارك وتعالى (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) هو خطاب لذلك القرن ، كقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) . ولهذا بين النبي صلى الله عليه وسلم أنهم أهل اليمن الذين دخلوا فى الاسلام لما ارتد من ارتد من العرب . ويدل على ذلك أنه فى آخر الأمر لا يبقى مؤمن .

قيل : قوله تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا) خطاب لكل من

بلغه القرآن من المؤمنين كسائر أنواع هذا الخطاب ، كقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة) وأمثالها . وكذلك قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم) .

وكلاهما وقع ويقع كما أخبر الله عز وجل . فانه ما ارتد عن الاسلام طائفة الا أتى الله بقوم يحبهم يجاهدون عنه ، وهم الطائفة المنصورة الى قيام الساعة .

يبين ذلك أنه ذكر هذا فى سياق النهي عن موالاة الكفار ، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين — الى قوله — يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) . فالمخاطبون بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة . ومعلوم أن هذا يتناول جميع قرون الأمة .

وهو لما نهى عن موالاة الكفار وبين ان من تولاهم من المخاطبين فانه منهم بين ان من تولاهم وارتد عن دين الاسلام لا يضر الاسلام شيئا .

بل سيأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، فيتولون المؤمنين دون الكفار ويجاهدون فى سبيل الله لا يخافون لومة لائم ، كما قال فى أول الأمر (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) . فهؤلاء الذين لم يدخلوا فى الاسلام ، واولئك الذين خرجوا منه بعد الدخول فيه — لا يضرون الاسلام شيئا . بل يقيم الله من يؤمن بما جاء به رسوله وينصر دينه الى قيام الساعة .

وأهل اليمن هم ممن جاء الله بهم لما ارتد من ارتد إذ ذاك . وليست الآية مختصة بهم ، ولا فى الحديث ما يوجب تخصيصهم . بل قد اخبر الله انه يأتى بغير أهل اليمن كأبناء فارس ، لا يختص الوعد بهم .

بل قد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شيء قدير) وهذا أيضا خطاب لكل قرن ، وقد أخبر فيه انه من نكل عن الجهاد المأمور به عذبه واستبدل به من يتوم بالجهاد . وهذا هو الواقع .

وكذلك قوله فى الآية الأخرى : (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله

الغنى وأنتم الفقراء ، وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم) . فقد اخبر تعالى أنه من يتول عن الجهاد بنفسه او عن الانفاق فى سبيل الله استبدل به .

فهذه حال الجبان البخيل ، يستبدل الله به من ينصر الاسلام وينفق فيه . فكيف تكون حال اصل الاسلام من ارتد عنه ؟ اتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .

وهذا موجود فى أهل العلم ، والعبادة ، والقتال ، والمال ؛ مع الطوائف الأربعة مومنون مجاهدون منصورون الى قيام الساعة ، كما منهم من يرتد او من ينكل عن الجهاد والانفاق .

وكذلك قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) . فهذا الوعد مناسب لكل من اتصف بهذا الوصف . فلما اتصف به الأولون استخلفهم الله كما وعد . وقد اتصف بعدهم به قوم بحسب إيمانهم وعملهم الصالح . فمن كان أكمل إيمانا وعمل صالحا كان استخلافه المذكور اتم . فان كان فيه نقص وخلل كان فى تمكينه خلل ونقص . وذلك أن هذا جزاء هذا العمل ، فمن قام بذلك العمل استحق ذلك الجزاء .

لكن ما بقى قرن مثل القرن الأول ، فلا جرم ما بقى قرن يتمكن تمكن القـرن الأول . قال صلى الله عليه وسلم : « خـير القرون القرن الذين بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

ولكن قد يكون هـذا لبعض اهل القرن ، كما يحصل هـذا لبعض المسلمين فى بعض الجهات ، كما هو معروف في كل زمان .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله يبعث ريحـا تقبض روح كل مؤمن » فذاك ليس فيه ردة ، بـل فيه موت المؤمنـين . وهو لم يقل « إذا مات كل مؤمن » أن يستبدل الله موضعه آخر ، وإنما وعد بهذا إذا ارتد بعضهم عن دينه .

وهو مما يستدل به على ان الأمة لا تجتمع عـلى ضلالة ولا ترتد جميعها ، بـل لا بد ان يبقى الله من المؤمنين مـن هو ظاهر الى قيـام الساعة . فاذا مات كل مؤمن فقد جاءت الساعة .

وهذا كما فى حديث العلم « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العـلم بقبض العلمـاء . فاذا لم يبق عالم اتخـذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغـير علم ، فضـلوا واضلوا » . والحديث مشهور فى الصحـاح من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صـلى الله عليه وسلم .

فان قيل : ففي حديث ابن مسعود وغـيره انه قال « يسرى على القرآن فلا يبقى فى المصاحف منه آية ولا فى الصدور منـه آية » وهذا ينـاقض هذا .

قيل : ليس كذلك . فان قبض العـلم ليس قبض القـرآن بدليل الحديث الآخر « هـذا اوان يقبض العـلم » . فقـال بعض الأنصار : وكيف يقبض وقـد قرأنا القـرآن وأقرأناه نساءنا وأبناءنا ؟ فقـال : « ثكلتك امـك ! إن كنت لأحسبك لمن أفقه أهـل المدينة أو ليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى ؟ فماذا يغنى عنهم ؟ » .

فتبين ان مجرد بقاء حفظ الكتاب لا يوجب هذا العـلم ، لا سيما فان القرآن يقرأه المنافق والمؤمن ، ويقرأه الأمي الذي لا يعلم الكتاب إلا أمانى . وقد قال الحسن البصري : « العلم علمان : علم فى القلب ، وعلم على اللسان . فعلم القلب هو العلم النافع ، وعلم اللسان حجة الله على عباده » . فاذا قبض الله العلماء بقى من يقرأ القرآن بلا علم ، فيسرى عليه من المصاحف والصدور

فان قيل : ففي حديث حذيفة الذي فى الصحيحين انـه حدثهم عن قبض الأمانة وأن « الرجل ينـام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت . ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل

اثرهـا مثل اثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فتراه منتبراً وليس فيه شيء » .

قيل : وقبض الأمانة والايمان ليس هو قبض العلم . فان الانسان قد يؤتى إيمانا مع نقص علمه . فمثل هذا الايمان قد يرفع من صدره ، كايمان بني إسرائيل لما رأوا العجل . واما من اوتى العلم مع الايمان فهذا لا يرفع من صدره . ومثل هذا لا يرتد عن الاسلام قط ، بخلاف مجرد القرآن او مجرد الايمان ، فان هذا قد يرتفع . فهذا هو الواقع .

لكن اكثر ما نجد الردة فيمن عنده قرآن بلا علم وإيمان ، او من عنده إيمان بلا علم وقرآن . فأما من اوتى القرآن والايمان فحصل فيه العلم فهذا لا يرفع من صدره . والله اعلم .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله

فصل

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « مثل أمتى كمثل الغيث لا يدرى أوله خير أو آخره » فهذا قد رواه أحمد في المسند ، وقد ضعفه بعض الناس ، وبعضهم لم يضعفه ، لكن قال معناه : أنه يكون فى آخر الأمة من يقارب أولهم فى الفضل ، وإن لم يكن منهم ، حتى يشتبه على الناظر أيهما أفضل ، وإن كان الله يعلم أن الأول أفضل ، كما يقال فى الثوب المتشابه الطرفين : هذا الثوب لا يدرى أي طرفيه خير ، مع العلم بأن أحد طرفيه خير من الآخر ، وذلك لأنه قال : لا يدرى أوله خير ، أو آخره ، ومن المعلوم أن الله يعلم أيهما خير ، إذا كان الأمر كذلك ، وانما ينفى العلم عن المخلوق ، لا عن الخالق ؛ لأن المقصود التشابه والتقارب ، وما كان كذلك اشتبه على المخلوق أيهما خير .

وسئل :

عن حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء : النار وسكانها ، واللوح ، والقلم ، والكرسي ، والعرش » فهل هذا الحديث صحيح أم لا ؟ .

فأجاب : هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو من كلام بعض العلماء . وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مالا يعدم ولا يفنى بالكلية ، كالجنة والنار ، والعرش وغير ذلك . ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين ، كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم ، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله ، وإجماع سلف الأمة وأئمتها . كما فى ذلك من الدلالة على بقاء الجنة وأهلها ، وبقاء غير ذلك مما لا تتسع هذه الورقة لذكره . وقد استدل طوائف من أهل الكلام والمتفلسفة على امتناع فناء جميع المخلوقات بأدلة عقلية . والله أعلم .

وقال شيخ الاسلام

فصـــــل

قال صلى الله عليه وسلم : « أعطيت جوامع الكلم » — وروى — « وخواتمه » — وروى « وفواتحه ، وخواتمه » وقال في حديث : « أعطى نبيكم جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه » .

وهذا حديث شريف جامع ، وذلك أن الكلم نوعان : انشائية فيها الطلب ، والارادة ، والعمل . واخبارية فيها الاعتقاد والعلم ، وكل واحد من العلم والارادة الذي هو الخبر والطلب فيه فروع كثيرة ، وله أصول محيطة . وهي نوعان : كلية جامعة عامة ، وأولية علية ، فالعلوم الكلية والأولية ، والارادات والتدابير والأوامر الكلية والأولية هي جماع أمر الوجود كله . والخبر المطلوب كله الحق الموجود ، والحق المقصود ؛ ولهذا كان القياس العقلي والشرعي وغيرهما نوعين : قياس شمول ، وقياس تعليل . فان قياس التمثيل مندرج فى أحدهما ؛ لأن القدر المشترك بين المثلين إن كان هو محل الحكم فهو قياس شمول ،

وإن كان مناط الحكم فهو قياس تعليل .

وذلك أن العلوم والارادات وما يظهر ذلك من الكلمة الخبرية والطلبية إذا كانت عامة جامعة كلية فقد دخل فيها كل مطلوب ، فلم يبق مما يطلب علمه شيء ، وكل مقصود من الخبر ، فلم يبق فيها مما يطلب قصده شيء ، ثم ذلك علم وارادة لنفسها وذاتها ، سواء كانت مفردة أو مركبة . ثم لابد أن يتعلق بها علتان :

إحداها ، السبب وهي العلة الفاعلة ، والثاني الحكمة : وهي العلة الغائية . فذلك هو العلم والارادة للأمور الأولية . فان السبب والفاعل أدل في الوجود العيني . والحكمة والغاية أدل في الوجود العلمي الارادي ؛ ولهذا كانت العلة الغائية علة فاعلية للعلة الفاعلية . وكانت هي في الحقيقة علة العلل لتقدمها علماً وقصداً ، وأنها قد تستغني عن المعلول والمعلول لايستغني عنها ، وأن الفاعل لا يكون فاعلا إلا بها ، وأنها هي كمال الوجود وتمامه ؛ ولهذا قدمت في قوله : (إياك نعبد ، وإياك نستعين) . فاذا كانت الحكم المظهرة للعلم والطلب فيها الفواتح ، وفيها الخواتم ، جمعت نوعي العلتين الأوليين . واذا كانت جامعة كانت علة عامة .

وقال الشيخ رحمه الله :

قوله فى حديث الكرب الذي رواه أحمد من حديث ابن مسعود. « اللهم اني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور صدري ، وجلاء حزنى ، وذهاب همي وغمي ، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله به فرحاً » .

الربيع : هو المطر المنبت للربيع ، ومنه قوله فى دعاء الاستسقاء : « اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً ، ربيعاً ، مربعاً » وهو المطر الوسمي الذي يسم الأرض بالنبات ، ومنه قوله : « القرآن ربيع للمؤمن » . فسأل الله أن يجعله ماء يحي به قلبه كما يحي الأرض بالربيع . ونوراً لصدره .

والحياة والنور جماع الكمال ، كما قال : (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به فى الناس) وفى خطبة أحمد بن حنبل : يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ؛ لأنه

بالحياة يخرج عن الموت ، وبالنور يخرج عن ظلمة الجهل ، فيصير حياً عالماً ناطقاً ، وهو كمال الصفات فى المخلوق . وكذلك قد قيل [فى] الخالق ، حتى النصارى فسروا الأب والابن وروح القدس بالموجود الحي العالم . والغزالي رد صفات الله الى الحي العالم ، وهو موافق فى المعنى لقول الفلاسفة : عاقل ، ومعقول ، وعقل ؛ لأن العلم يتبع الكلام الخبري ، ويستلزم الارادة ، والكلام الطلبي ؛ لأن كل حي عالم فله إرادة وكلام ، ويستلزم السمع والبصر ، لكن هذا ليس بجيد لأنه يقال : فالحي نفسه مستلزم لجميع الصفات ، وهو أصلها ؛ ولهذا كان أعظم آية فى القرآن : (الله لا إله الا هو الحي القيوم). وهو الاسم الأعظم ؛ لأنه ما من حي إلا وهو شاعر مريد ، فاستلزم جميع الصفات ، فلو اكتفى فى الصفات بالتلازم لاكتفى بالحي ، وهذا ينفع فى الدلالة والوجود ، لكن لا يصح أن يجعل معنى العالم هو معنى المريد فان الملزوم ليس هو عين اللازم ، وإلا فالذات المقدسة مستلزمة لجميع الصفات .

فان قيل : فلم جمع في المطلوب لنا بين ما يوجب الحياة والنور فقط دون الاقتصار على الحياة ، أو الازدياد من القدرة وغيرها ؟

قيل : لأن الأحياء الآدميين فيهم من يهتدي الى الحق ، وفيهم من لا يهتدي . فالهداية كمال الحياة ، وأما القدرة فشرط فى

التكليف لا فى السعادة : فلا يضر فقدها ، ونور الصدر يمنع أن يريد سواه .

ثم قوله : « ربيع قلبي ونور صدري » لأنه والله أعلم : الحيا لا يتعدى محله ؛ بل إذا نزل الربيع بأرض أحياها . أما النور فانه ينتشر ضوؤه عن محله . فلما كان الصدر حاوياً للقلب جعل الربيع فى القلب والنور في الصدر لانتشاره ، كما فسرته المشكاة فى قوله : (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة) وهو القلب .

وقال شيخ الاسلام

فصـــــل

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحب » فهو من أصح الأحاديث ، وقال أنس فما فرح المسلمون بشيء بعـد الاسلام فرحهم بهذا الحديث ، فأنا أحب رسول الله صـلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وأرجـو أن يحشرني الله معهم ، وإن لم أعمـل مثل أعمالهم ، وكذلك « أوثق عرى الاسلام الحب في الله ، والبغض في الله » لكن هذا بحيث أن يحب المرء ما يحبـه الله ، ومن يحبـه الله . فيحب أنبياء الله كلهم ؛ لأن الله يحبهم ، ويحب كل من عـلم أنه مات على الايمان والتقوى ، فان هؤلاء أولياء الله ، والله يحبهـم كالذين يشهد لهم النبي صلى الله عليه وسـلم بالجنة ، وغيرهم من أهل بدر ، وأهل بيعة الرضوان .

فمن شهد له النبي صلى الله عليـه وسلم بالجنة شهدنا له بالجنـة ، وأما من لم يشهد له بالجنة فقد قال طائفة من أهل العلم : لا يشهد له بالجنة

ولا نشهد أن الله يحبه . وقال طائفة : بل من استفاض من بين الناس إيمانه وتقواه ، واتفق المسلمون على الثناء عليه ، كعمر بن عبد العزيز ، والحسن البصري ، وسفيان الثوري ، وأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، والفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، وعبد الله بن المبارك — رضي الله عنهم — وغيرهم ، شهدنا له بالجنة ؛ لأن في الصحيح : « ان النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فأثنوا عليها خيراً ، فقال : وجبت ، وجبت ، ومر عليه بجنازة فأثنوا عليها شراً . فقال : وجبت ، وجبت . قالوا : يا رسول الله ! ما قولك وجبت ، وجبت ؟ . قال : هذه الجنازة أثنيتم عليها خيراً ، فقلت وجبت لها الجنة ، وهذه الجنازة أثنيتم عليها شراً ، فقلت : وجبت لها النار : قيل بم يا رسول الله ؟ ! قال : بالثناء الحسن والثناء السيء » .

وإذا علم هذا فكثير من المشهورين بالمشيخة في هذه الأزمان قد يكون فيهم من الجهل والضلال والمعاصي والذنوب ما يمنع شهادة الناس لهم بذلك ؛ بل قد يكون فيهم المنافق والفاسق ، كما أن فيهم من هو من أولياء الله المتقين ، وعباد الله الصالحين ، وحزب الله المفلحين ، كما أن غير المشائخ فيهم هؤلاء — وهؤلاء في الجنة — كالتجار والفلاحين وغيرهم من الأصناف .

وإذا كان كذلك فمن طلب أن يحشر مع شيخ لم يعلم عاقبته كان ضالا ، بل عليه أن يأخذ فيطلب بما يعلم أن يحشره الله مع نبيه والصالحين من عباده . كما قال الله تعالى : (وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) وقال الله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) .

وعلى هذا فمن أحب شيخاً مخالفاً للشريعة كان معه ، فاذا أدخل الشيخ النار كان معه ، ومعلوم أن الشيوخ المخالفين للكتاب والسنة أهل الضلال والجهالة ، فمن كان معهم كان مصيره مصير أهل الضلالة والجهالة ، وأما من كان من أولياء الله المتقين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وغيرهم فمحبة هؤلاء من أوثق عرى الايمان ، وأعظم حسنات المتقين ، ولو أحب الرجل لما ظهر له من الخير الذي يحبه الله ورسوله أثابه الله تعالى على محبة ما يحبه الله ورسوله وإن لم يعلم حقيقة باطنه ، فان الأصل هو حب الله ، وحب ما يحبه الله ، فمن أحب الله وأحب ما يحبه الله كان من أولياء الله .

لكن كثيراً من الناس يدعي المحبة من غير تحقيق ، قال الله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) . قال بعض السلف : ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم

يحبون الله ، فأنزل الله هذه الآية ، فمحبة الله ورسوله ، وعباده المتقين تقتضي فعل محبوباته ، وترك مكروهاته ، والناس يتفاضلون فى هـذا تفاضلا عظيماً ، فمن كان أعظم نصيباً من ذلك كان أعظم درجـة عند الله ، وأما من أحب شخصاً لهواه ، مثل أن يحبه لدنيا يصيبها منه ، أو لحاجة يقوم له بها ، أو لمال يتأكله به، أو بعصبية فيه ، ونحو ذلك من الأشياء ، فهذه ليست محبة لله ، بل هـذه محبة لهوى النفس ، وهذه المحبة هي التى توقع أصحابها في الكفر والفسوق والعصيان .

وما أكثر من يدعى حب مشائخ لله ، ولو كان يحبهم لله لأطاع الله الذي أحبهم لأجله ، فان المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعـة لمحبة ذلكَ الغير ، وكيف يحب شخصاً لله من لا يكون محباً لله ؟ وكيف يكون محبا لله من يكون معرضا عن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وسبيل الله ؟ وما اكثر من يحب شيوخا أو ملوكا وغـيرهم ، فيتخذهم أنداداً يحبهم كحب الله ، والفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله ظاهرة ، فأهل الشرك يتخذون أنداداً ، يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، وأهل الايمان يحبون ، وذلك أن أهل الايمان أصـل حبهم هو حب الله ، ومن أحب الله أحب من يحبه الله ، ومن أحبـه الله أحب الله ، فمحبوب المحبوب محبوب لله ، يحب الله ، فمن أحب الله أحبه الله ، فيحب من أحب الله .

وأما أهل الشرك فيتخذون أنداداً وشفعاء يدعونهم من دون الله ، قال الله تعالى : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وقال الله تعالى : (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ، أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ، إني اذاً لفي ضلال مبين ، إني آمنت بربكم فاسمعون) وقال الله تعالى : (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون) وقال الله تعالى : (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) .

والله تعالى بعث الرسل ، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « إنا معشر الأنبياء ديننا واحد » . فالدين واحد وإن تفرقت الشرعة والمنهاج ، قال الله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال الله تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟!) وقال الله تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا

أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ومن حين بعث الله محمداً — صلى الله عليه وسلم — ما يقبل من أحد بلغته الدعوة إلا الدين الذي بعثه به ، فان دعوته عامة لجميع الخلائق ، قال الله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يسمع بى من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بى الا دخل النار » .

وقال الله تعالى : (ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل : يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا اله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) .

فعلى الخلق كلهم اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا يعبدون إلا الله ، ويعبدونه بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا بغيرها ، قال الله تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم

أولياء بعض والله ولي المتقين) ويجتمعون على ذلك ولا يتفرقون ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » وعبادة الله تتضمن كمال محبة الله ، وكمال الذل لله ، فاصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه ، ولا يكون لها إله سواه ، و « الاله » ما تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والاجلال والاعظام ، ونحو ذلك .

والله سبحانه وتعالى أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو فتخلو القلوب عن محبة ما سواه [بمحبته] وبرجائه ، وعن سؤال ما سواه بسؤاله ، وعن العمل لما سواه بالعمل له ، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به .

ولهذا كان وسط الفاتحة (إياك نعبد وإياك نستعين) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح يقول الله تعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فاذا قال : (الرحمن الرحيم) قال : أثنى علي عبدي ، وإذا قال : (مالك يوم الدين) قال : مجدني عبدي ، وإذا قال : (إياك نعبد وإياك نستعين) قال : هذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، وإذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : هؤلاء لعبدي ، ولعبدي ما سأل » فوسط السورة : (إياك نعبد وإياك نستعين) فالدين أن لا يعبد إلا الله ، ولا يستعان إلا إياه .

والملائكة والأنبياء وغيرهم عباد الله . كما قال الله تعالى : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً . فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله . وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) فالحب لغير الله كحب النصارى للمسيح ، وحب اليهود لموسى ، وحب الرافضة لعلي ، وحب الغلاة لشيوخهم ، وأئمتهم مثل من يوالي شيخاً أو إماماً وينفر عن نظيره ، وهما متقاربان ، أو متساويان فى الرتبة ، فهذا من جنس أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض ، وحال الرافضة الذين يوالون بعض الصحابة ويعادون بعضهم ، وحال أهل العصبية من المنتسبين الى فقه وزهد : الذين يوالون الشيوخ والأئمة دون البعض .

وإنما المؤمن من يوالي جميع أهل الايمان . قال الله تعالى : (إنما المؤمنون اخوة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ـــ وشبك بين أصابعه ـــ » وقال : « مثل

المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وقال عليه السلام : « لا تقاطعوا ؛ ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخواناً » .

ومما يبين الحب لله والحب لغير الله أن أبا بكر — رضي الله عنه — كان يحب النبي صلى الله عليه وسلم مخلصاً لله ، وأبو طالب عمه كان يحبه وينصره لهواه لا لله ، فتقبل الله عمل أبي بكر وأنزل فيه : (وسيجنبها الأتقى ، الذي يؤتي ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ؛ الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى) . وأما أبو طالب فلم يتقبل منه — [فأبو بكر لم يطلب أجره] وجزاءه من الخلق : لا من النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره ؛ بل آمن به وأحبه وكلأه وأعانه بنفسه وماله متقربا بذلك إلى الله ، وطالباً الأجر من الله ، ورسوله : يبلغ عن الله أمره ونهيه ووعده ووعيده ، قال الله تعالى : (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) .

والله هو الذي يخلق ويرزق ويعطي ويمنع ، ويخفض ، ويرفع ، ويعز ويذل ، وهو — سبحانه — مسبب الأسباب ، ورب كل شيء ومليكه ، والأسباب التى تفعلها العباد منها ما أمر الله به وأباحه ، فهذا يسلك ، ومنها ما نهى عنه نهياً خالصاً ، أو كان من البدع التى لم يأذن الله بها ، فهذا لا يسلك . قال الله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم

من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولافي الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) .

بين سبحانه ضلال الذين يدعون المخلوق من الملائكة والأنبياء وغيرهم ، فبين أن المخلوقين لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ثم بين انه لا شركة لهم ، ثم بين أنه لا عون له ولا ظهير ؛ لأن أهل الشرك يشبهون الخالق بالمخلوق كما يقول بعضهم إذا كانت لك حاجة : استوح الشيخ فلانا فانك تجده ، أو توجه إلى ضريحه خطوات ، وناد : يا شيخ ! تقضى حاجتك ، وهذا غلط لا يحل فعله ، وان كان من هؤلاء الداعين لغير الله من يرى صورة المدعو أحياناً ، فذلك شيطان يمثل له ، كما وقع مثل هذا لعدد كثير ، ونظير هذا قول بعض الجهال من أتباع الشيخ عدي وغيره : كل رزق لا يجيء على يد الشيخ لا أريده .

والعجب من ذي عقل سليم يستوحي من هو ميت ، ويستغيث به ، — ولا يستغيث بالحي الذي لا يموت — فيقول أحدهم : إذا كانت لك حاجة إلى ملك توسلت اليه بأعوانه فهكذا يتوسل اليه بالشيوخ ، وهذا كلام أهل الشرك والضلال ، فان الملك لا يعلم حوائج رعيته ، ولا يقدر على قضائها وحده ، ولا يريد ذلك إلا لغرض يحصل

له بسبب ذلك ، والله اعلم بكل شيء ، يعلم السر وأخفى ، وهو على كل شيء قدير ، فالأسباب منه واليه .

وما من سبب من الأسباب الا دائر موقوف على أسباب أخرى ، وله معارضات ، فالنار لا تحرق الا اذا كان المحل قابلا ، فلا تحرق السمندل ، وإذا شاء الله منع اثرها كما فعل بابراهيم عليه السلام ، وأما مشيئة الرب فلا تحتاج الى غيره ، ولا مانع لها بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو سبحانه أرحم من الوالدة بولدها ، يحسن إليهم ويرحمهم ويكشف ضرهم مع غناه عنهم ، وافتقارهم إليه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، فنفى الرب هذا كله فلم يبق الا الشفاعة فقال : (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال : (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) فهو الذي يأذن فى الشفاعة وهو الذي يقبلها ، فالجميع منه وحده .

وكلما كان الرجل أعظم إخلاصا لله ، كانت شفاعة الرسول أقرب إليه قال له أبو هريرة : « من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : من قال لا إله الا الله يبتغي بها وجه الله » .

وأما الذين يتوكلون على فلان ليشفع لهم من دون الله تعالى ، ويتعلقون بفلان ، فهؤلاء من جنس المشركين الذين اتخذوا شفعاء من

دون الله تعالى ، قال الله تعالى : (أم اتخذوا من دون الله شفعاء . قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا) وقال الله تعالى : (ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً) قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين الله تعالى ان هؤلاء الأنبياء والملائكة عباده ، كما أن هؤلاء عباده هؤلاء يتقربون الى الله ، وهؤلاء يرجون رحمة الله ، وهؤلاء يخافون عذاب الله ، فالمشركون اتخذوا مع الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، واتخذوا شفعاء يشفعون لهم عند الله ، ففيهم محبة لهم ، واشراك بهم ، وفيهم من جنس مافى النصارى من حب المسيح ، واشراك به .

والمؤمنون أشد حباً لله ، فلا يعبدون إلا الله وحده ، ولا يجعلون معه شيئا ، يحبونه كحبه لا أنبياءه ولا غيرهم ، بل أحبوا ما أحبه بمحبتهم لله ، وأخلصوا دينهم لله ، وعلموا أن أحداً لا يشفع لهم إلا باذن الله ، فأحبوا عبد الله ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم لحب الله وعلموا أنه عبد الله المبلغ عن الله ، فأطاعوه فيما أمر ، وصدقوه فيما أخبر ، ولم يرجوا إلا الله ، ولم يخافوا إلا الله ، ولم يسألوا إلا الله ، وشفاعته لمن

يشفع له هو باذن الله ، ولا ينفع رجاؤنا للشفيع ، ولا مخافتنا له ، وإنما ينفع توحيدنا وإخلاصنا لله ، وتوكلنا عليه ، فهو الذي يأذن للشفيع .

فعلى المسلم أن يفرق بين محبة النصارى والمشركين ودينهم ويتبع أهل التوحيد والايمان ، ويخرج عن مشابهة المشركين وعبدة الصلبان . وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) . وقال الله تعالى : (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، اعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم) وهذا باب واسع ، ودين الاسلام مبنى على هذا الأصل ، والقرآن يدور عليه .

وسئل رحمه الله :

عن « المسكنة » وعن قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين »

فأجاب :

الحمد لله ، هذا الحديث قد رواه الترمذي ، وقد ذكره أبو الفرج في الموضوعات ، وسواء صح لفظه ، أو لم يصح : فالمسكين المحمود هو المتواضع ، الخاشع لله ؛ ليس المراد بالمسكنة عدم المال ، بل قد يكون الرجل فقيراً من المال ، وهو جبار ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « ثلاثة لا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : ملك كذاب ، وفقير مختال ، وشيخ زان » وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » فالمسكنة خلق في النفس ، وهو التواضع والخشوع ، واللين ضد الكبر . كما قال عيسى عليه السلام : (وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً) ومنه قول الشاعر :

مساكين أهـل الحب حتى قبـورهم

عليهـا تراب الذل بـين المقـابر

أي أذلاء ، فالحب يعطي الذل ، وعبادة الله تجمع كمال الحب له وكمال الذل له ، فمن كان محباً شيئاً ولم يكن ذليلا له ، لم يكن عابداً ، ومـن كان ذليلا له ، وهـو مبغض لم يكن عابداً ، والحب درجات : أعلاه التتيم ، وهو التعبد ، وتيم الله عبد الله ، وقد قال تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجـاهلون قالوا سلاما) الآيات . وشواهد هذا الأصل كثيرة .

وقال شيخ الإسلام

فصـــل

جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين العفة والغنى في عــدة أحاديث منها قوله فى حديث أبى سعيــد المخرج فى الصحيحين : « من يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله » ومنها قوله فى حديث عياض بن حمار في صحيح مسلم : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط ، ورجل غني عفيف متصدق » ومنها قوله فى حديث الخيل الذي فى الصحيح : « ورجل ارتبطها تغنياً وتعففاً . ولم ينس حق الله فى رقابها ، وظهورها فهي له ستر » ، ومنها ما روى عنه : « من طلب المال استغناء عن الناس واستعفافا عن المسألة لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » . ومنهـا قوله فى حديث عمر وغــيره : « ما أتاك من هـذا المال وأنت غير سـائل ولا مشرف فخذه » فالسائل بلسانه ، وهو ضــد المتعفف ، والمشرف بقلبه ، وهو ضد الغنى .

قال فى حق الفقراء : (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أي

عن السؤال للناس . وقال : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، وانما الغنى غنى النفس » فغني النفس الذي لا يستشرف الى المخلوق ، فان الحر عبد ما طمع ، والعبد حر ماقنع . وقد قيل :

أطمت مطامعي فاستعبدتني .

فكره أن يتبع نفسه ما استشرفت له لئلا يبقى فى القلب فقر وطمع الى المخلوق ؛ فانه خلاف التوكل المأمور به ، وخلاف غنى النفس .

وقال شيخ الاسلام

فصـــــل

جاء فى حـديث « إن أكبر الكبائر الكفر والكبر » وهذا صحيح فان هذين الذنبين أساس كل ذنب في الانس والجن ، فان إبليس هو الذي فعل ذلك أولا ، وهو أصل ذلك . قال الله تعالى : (إلا إبليس استكبر وكان مـن الـكافرين) وقال : (إلا إبليس أبى واستكـبر وكان من الـكافرين) وفي صحيح مسلم عن ابن مسعـود قال : قال رسول الله صـلى الله عليـه وسلم : « لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ولا يدخل الجنة من فى قلبه مثقـال ذرة من كبر » فجعل الكبر يضاد الايمان .

وكذلك الشرك فى مثل قوله : (إن الله لا يغفر أن يشرك به) وقال ابن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مـات وهو لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » قال : وأنا أقول : من مات وهـو يشرك بالله شيئاً دخل النار .

ثم من النـاس من يجمع بينها ، ومنهم من ينفرد له أحـدهما ، والمؤمن الصالح عافاه الله منها ، فان الانسان إما أن يخضع لله وحـده أو يخضع لغيره مع خضوعه له ، أو لا يخضع لا لله ولا لغيره ، فالأول هو المؤمن ، والثاني هو المشرك ، والثالث هو المتـكبر الـكافر ، وقد لا يكون كافراً فى بعض المواضع ، والنصارى آفتهم الشـرك ، واليهود آفتهم الكبر ، كما قال تعالى عن النصارى : (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وقال عن اليهود : (سأصـرف عن آياتي الذين يتـكبرون فى الأرض بغـير الحق) ولهـذا عوقـبت اليهود بضرب الذلة والمسكنة عليهم ، والنصارى بالضلال والبدع والجهالة .

وقال شيخ الإسلام

فصـــل

ومما يتعلق بالثلاث المهلكات والمنجيات التى ذكر أنه عند المهلكات عليك بخويصة نفسك . أنه قال : « شح مطاع ، وهوى متبع » فجعل هذا مطاعاً ، وهذا متبعاً ، وهذا — والله أعلم — لأن الهوى هوى النفس ، وهو محبتها للشيء ، وشهوتها له ، سواء أريد به المصدر أو المفعول . فصاحب الهوى يأمره هواه ، ويدعوه فيتبعه ، كما تتبع حركات الجوارح إرادة القلب ، ولهذا قال الله تعالى : (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً) وقال : (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)

وهذا يعم الهوى فى الدين كالنصارى ، وأهل البدع فى المقال والقدر . كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء : من الرافضة والخوارج ، وهذا الهوى موجود فى كثير من الفقراء والفقهاء ، إلا من عصمه الله .

وقد اختلف أصحابنا هل يدخل الفقهاء المختلفون في اسم أهل الأهواء . على وجهين ، ادخلهم فى التقسيم القاضي أبو يعلى ، وكذلك قبله الشيخ أبو حامد الاسفرائيني فيما أظن ، وأنكره ابن عقيل .

وأما « الشح المطاع » فقد ذكرنا أن مفسدته عائدة إلى منع الخير ، وهذا فى الأصل ليس هو محبوبا ، وانما يحمل عليهَ الحرص على المشحوح به ، فانه من باب النفرة والبغض ، فهو يأمر صاحبه فيطيعه ، وليس كل مطاع متبعاً ، وإن كان كل متبع مطاعا ، فان الانسان يطيع الطبيب والأمير وغيرهما فى أمور خاصة ، وليس متبعاً لهم ، أما التابع لغيره فهو مطيع وزيادة ، فانه يذهب معه حيثما ذهب .

وفرق ثان أن المتبع الذي يطلب فى نفسه ، فغاية المتبع إدراكه ونيله ، وهذا شأن الهوى . وأما المطاع فغاية لغيره ، وهذا شأن الشح .

وتحقيق معنى الشح أنه شدة المنع التى تقوم في النفس . كما يقال شحيح بدينه ، وضنين بدينه ، فهو خلق فى النفس ، والبخل من فروعه . كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » وكذلك فى حديث عبد الرحمن بن عوف أنه كان يقول فى طوافه : رب قني

شح نفسي . فقيل له : ما أكثر ما تستعيذ من ذلك ! فقال : إذا وقيت شح نفسي ، وقيت الظلم والبخل والقطيعة ، أو كما قال ؛ ولهذا بين الكتاب والسنة أن الشح والحسد من جنس واحد فى قوله : (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) فاخبر عنهم بأنهم يبذلون ما عندهم من الخير مع الحاجة ، وأنهم لا يكرهون ما أنعم به على اخوانهم ، وضد الأول البخل ، وضد الثاني الحسد .

ولهذا كان البخل والحسد من نوع واحد ، فان الحاسد يكره عطاء غيره ، والباخل لا يحب عطاء نفسه ، ثم قال : (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) فان الشح أصل للبخل ، وأصل للحسد ، وهو ضيق النفس وعدم إرادتها وكراهتها للخير على الغير ، فيتولد عن ذلك امتناعه من النفع ، وهو البخل وإضرار المنعم عليه وهو الظلم ، وإذا كان فى الأقارب كان قطيعة .

ولهذا فى حديث أبي هريرة الذي رواه (١) النسائى من حديث محمد بن عجلان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمع فى النار

(١) خرم بالاصل .

مسلم قتل كافراً ثم سدد وقارب . ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمعان فى قلب عبد الايمان : والحسد » ورواه النسائى أيضاً من حديث جماعة عن سهيل [١] بن أبي يزيد عن القعقاع واللحلاح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبداً »[١]

فانظر كيف ذكر الشح فى الروايات المشهورة ، وفي الأخرى والحسد . واللفظ الأول أجمع ، وكيف قرن فى الحديث السماحة والشجاعة ، كما قال في الحديث الآخر : « شر ما فى المرء : شح هالع ، وجبن خالع » فمدح الشجاعة في سبيل الله ، وذم الشح . ونظير هذا قوله : « إن من الخيلاء ما يحبها الله ، وهو اختيال الرجل بنفسه عند الحرب ، وعند الصدقة » وقصد من الحديث قوله : (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) فحصر المفلحين فيمن يوق شح نفسه ، والشحيح الذي لا يحب فعل الخير ، والذى يضر نفسه ، ويكره النعمة على غيره .

---

(١) بياض بالاصل .

وسئل :

عن أحاديث : هل هي صحيحة ؟ وهل رواها احـد من المعتبرين باسناد صحيح ؟ وهي قوله : « اول ما خلق الله العقـل قال له : أقبل ، فأقبل . ثم قال له : أدبر ، فأدبر . ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً اكرم علي منك : بك آخـذ ، وبك أعطي ؛ وبك اثيب ، وبك أعاقب » . وقـوله : « أمرت أن أخاطب الناس على قـدر عقولهـم » وهل هذا اللفظ هو لفظ حديث ؟ أوفيه تحريف ؟ أو زيادة أو نقص ؟ وقوله : « إن الله من علي فيما من علي : ان اعطيتك فاتحة الكتـاب ، وهي من كنوز عرشي ، قسمتها بيني وبينك نصفين » وقوله : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء ، والـكلأ ، والنار » .

فأجاب :

أما الحديث الأول فهو كذب موضوع ، عند أهل العلم بالحديث ، ليس هو فى شيء من كتب الاسلام المعتمدة ، وإنمـا يرويه مثل داود ابن المحبر ، وأمثاله من المصنفين في العقل ، ويذكره أصحـاب « رسائل اخوان الصفا » ونحوهم من المتفلسفة ، وقد ذكره أبو حامـد فى بعض

كتبه ، وابن عربي ، وابن سبعين ، وأمثال هؤلاء ، وهو عند اهل العلم بالحديث كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر ذلك ابو حاتم الرازي ، وابو الفرج ابن الجوزي ، وغيرهما من المصنفين فى علم الحديث .

ومع هذا فلفظ الحديث : « أول ما خلق الله العقل قال له : أقبل فأقبل ، وقال له أدبر فأدبر ، قال ما خلقت خلقاً اكرم علي منك ، فبك آخذ . وبك أعطي ، وبك الثواب ، وبك العقاب » وفى لفظ « لما خلق الله العقل قال له : كذلك » ومعنى هذا اللفظ انه قال للعقل في أول أوقات خلقه ؛ ليس فيه ان العقل أول المخلوقات ، لكن المتفلسفة القائلون بقدم العالم أتباع ارسطو ، هم ومن سلك سبيلهم من باطنية الشيعة ، والمتصوفة ، والمتكلمة ، رووه أول ما خلق الله العقل بالضم ، ليكون ذلك حجة لمذهبهم ، في أن أول المبدعات هو العقل الأول ، وهذا اللفظ لم يروه به أحد من أهل الحديث ، بل اللفظ المروى مع ضعفه يدل على نقيض هذا المعنى ، فانه قال : « ما خلقت خلقاً اكرم علي منك » فدل على أنه قد خلق قبله غيره ، والذي يسميه الفلاسفة العقل الأول ، ليس قبله مخلوق عندهم .

وأيضاً فانه قال : « بك آخذ ، وبك أعطى ، وبك الثواب ، وبك العقاب » فجعل به هذه الأعراض الأربعة ، وعند أولئك المتفلسفة الباطنية :

أن جميع العالم صدر عن العقــل الأول، وهو رب السموات والارض وما بينهما عندهم ، وإن كان مربوبا للواجب بنفسه ، وهو عنــدهم متولد عن الله ، لازم لذاته ، وليس هذا قول احد من أهل الملل ، لا المسلمين ولا اليهود ، ولا النصارى ، إلا من ألحد منهم ، ولا هو قول المجوس ، ولا جمهور الصابئين ، ولا اكثر المشركين ، ولا جمهور الفلاسفة ، بل هو قول طائفة منهم .

وأيضاً فان العقل فى لغة المسلمين عرض من الأعراض ، قائم بغيره وهو غريزة ، أو علم ، أو عمل بالعــلم ؛ ليس العقل في لغتهــم جوهراً قائماً بنفسه فيمتنع أن يكون أول المخــلوقات عرضاً قائمــاً بغيره ، فان العرض لا يقوم إلا بمحل ، فيمتنع وجوده قبل وجود شيء من الاعيان ، وأما أولئك المتفلسفة : ففي اصطلاحهم أنــه جوهر قائم بنفسه ، وليس هذا المعنى هو معنى العقل في لغة المسلمين ، والنبى صلى الله عليه وسلـم خاطب المسلمين بلغــة العرب ، لا بلغة اليونان ، فعــلم أن المعنى الذي أراده المتفلسفة لم يقصده الرسول ، لو كان تــكلم بهذا اللفظ ، فكيف إذا لم يتــكلم به .

وأما الحديث الثانى ، وهو قوله : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » فهذا لم يروه أحد من علماء المسلمين الذين يعتمد عليهم فى الرواية ، وليس هو في شيء من كتبهم ، وخطاب الله ورسوله للناس

عام يتناول جميع المكلفين ، كقوله : (يا أيها الناس) (يا أيهـا الذين آمنوا) (يا عبادي) (يا بنى اسرائيل) وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب الناس على منبره بكلام واحد يسمعه كل أحـد ؛ لكن الناس يتفاضلون في فهم الكلام بحسب ما يخص الله به كل واحد منهم من قوة الفهم ، وحسن العقيدة .

ولهذا كان أبو بكر الصديق أعلمهم بمراده ، كما فى الصحيحين عن أبى سعيد : « أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس فقـال : ان عبـداً خيره الله بين الدنيا والآخرة ، فاختار ذلك العبد ما عنـد الله ، قال : فبكى أبو بكر . وقال : نفديك بأنفسنا وأموالنا ، فجعل الناس يعجبون منه ، ويقولون : عجباً لهذا الشيخ ! بكى أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً خيره الله بين الدنيـا والآخرة ، قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنـا به » فالنبى صلى الله عليه وسلـم ذكر عبدا مطلقاً لم يعينـه ، ولكن أبو بكـر عرف عينه .

وما يرويه بعض الناس عن عمر أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان ، وكنت كالزنجي بينهما » فهذا كذب مختلق وكذلك ما يروى أنه أجاب أبا بكر بجواب ، وأجاب عائشة بجواب ، فهذا كذب باتفاق أهل العلم .

سئل

عن هذه الأحاديث : « من طاف بهذا البيت أسبوعا إيمانا واحتسابا غفر له ماقد سلف » وقوله صلى الله عليه وسلم : « من وقف بعرفات ، وظن أن الله لا يغفر له ، لا غفر الله له » وأيضاً : « لو مر بعرفات راعى غنم — ولم يعلم أنه يوم عرفة — غفر له » وقوله عليه السلام : « من حج ولم يزرني فقد جفانى ، ومن زارني فقد وجبت له شفاعتى » هل هذه الأحاديث فى الصحيح أم لا ؟ وما معنى قوله عز وجل : (مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً) ؟ .

فأجاب : الحمد لله رب العالمين . ليس في هذه الأحاديث حديث — لا فى الصحيح ، ولا فى السنن ، وفيها ما معناه مخالف للكتاب والسنة ، فانه لو وقف الرجل بعرفات خائفاً من الله أن لا يغفر له ذنوبه ؛ لكونها كبائر ، لم يقل : إن الله لا يغفر له ، فان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فما دون الشرك إن شاء الله غفره لصاحبه ، وان شاء لم يغفره ، لكن إذا تاب العبد من الذنب غفره الله له ، شركا كان أو غير شرك . كما قال تعالى : (يا عبادي الذين أسرفوا على

أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ؛ إن الله يغفر الذنوب جميعاً) فهذا فى حق التائب .

وأيضاً فالواقف بعرفات لا يسقط عنه ما وجب عليه من صلاة وزكاة باجماع المسلمين ، بل هم متفقون على أن الصلاة أوكد من الحج بمالا نسبة بينهما . فان الحج يجب مرة في العمر على المستطيع ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد الهجرة إلا حجة واحدة ، وأما الصلاة فانها فرض على كل عاقل بالغ — إلا الحائض والنفساء — سواء كان صحيحاً ، أو مريضاً ، آمناً ، أو خائفاً ، غنياً أو فقيراً ، رجلا أو امرأة ، فى اليوم والليلة نحو أربعين ركعة ، سبعة عشر فريضة ، والسنن الرواتب عشر ركعات ، أو اثنا عشرة ركعة ، وقيام الليل أحد عشر ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة ، وكذلك حقوق العباد من الذنوب والمظالم وغيرها لا تسقط بالحج باتفاق الأئمة .

والحديث الذي يروى في سقوط المظالم وغيرها بذلك فى حديث عباس بن مرداس حديث ضعيف . وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان الى رمضان ، كفارة لما بينهن ، إذا اجتنبت الكبائر » فهذه الأمور التى هي اعظم من الحج ، ولكن الكبائر تكفرها التوبة منها بالكتاب والسنة ، وإجماع الأمة .

وكذلك قوله : « من حج ولم يزرني فقد جفاني » كذب ، فان جفاء النبي صلى الله عليه وسلم حرام ، وزيارة قبره ليست واجبة باتفاق المسلمين ، ولم يثبت عنه حديث في زيارة قبره ، بل هذه الأحاديث التي تروى — من زارني وزار ابي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة — وأمثال ذلك كذب باتفاق العلماء .

وقد روى الدارقطني وغيره فى زيارة قبره أحاديث وهي ضعيفة .

وقد كره الامام مالك — وهو من أعلم الناس بحقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالسنة التى عليها أهل مدينته من الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم — كره أن يقال : زرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان هذا اللفظ ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفا عند علماء المدينة ، لم يكره مالك ذلك .

وأما إذا قال سلمت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فهذا لا يكره بالاتفاق ، كما فى السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مامن رجل يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » وكان ابن عمر يقول : السلام عليك يا رسول الله ! السلام عليك يا أبا بكر ! السلام عليك يا أبت . وفي سنن أبي داود عنه أنه قال : « اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة ، وليلة الجمعة ، فان صلاتكم معروضة علي ، قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك ، وقد أرمت ؟! قال : إن الله حرم على

الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء » .

وأما قوله تعالى : (ومن دخله كان آمناً) فهذا من باب البيت . كما قال تعالى : (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمناً ويتخطف الناس من حولهم) وقال تعالى : (فليعبدوا رب هـذا البيت الذي أطعمهـم من جوع وآمنهم من خوف) وقال تعالى : (أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء) فكانوا في الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً خارج الحرم ، فاذا دخلوا الحرم ، أو لقي الرجل قاتل ابيـه لم يهجه ، وكان هذا من الآيات التي جعلها الله فيه ، كما قال : (فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) والاسلام زاد حرمته .

فمذهب اكثر الفقهاء أن من أصاب حداً خارج الحرم ، ثم لجـأ إلى الحرم لم يقم عليه الحـد حتى يخرج منه ، كما قال ابن عمر ، وابن عباس . وهو مـذهب أبي حنيفـة ، وأحمـد ، وغـيرهما ؛ لما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليـه وسلم قال : « إن مكة حرمها الله ، ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجراً ، وانها لم تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار ، ثم قـد عادت حرمتهـا اليوم كحرمتها بالأمس» .

ومن ظن أن من دخل الحرم كان آمناً من عذاب الآخرة ، مع ترك الفرائض من الصلاة وغيرها ، ومع ارتكاب المحارم ، فقد خالف إجماع المسلمين ، فقد دخل البيت من الكفار والمنافقين والفاسقين من هو من أهل النار باجماع المسلمين . والله أعلم .

سئل رحمه الله

عن هذا الحديث : « من علمك آية من كتاب الله فكأنما ملك رقك ، إن شاء باعك وان شاء اعتقك » ، فهل هذا في الكتب الستة أو هو كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟.

فأجاب :

ليس هذا في شيء من كتب المسلمين ؛ لا فى الستة ولا فى غيرها ؛ بل مخالف لاجماع المسلمين ؛ فان من علم غيره لا يصير به مالكا ان شاء باعه وان شاء أعتقه ، ومن اعتقد هذا فانه يستتاب فان تاب وإلا قتل . والحر المسلم لايسترق ، وسيد معلم الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم علمهم الكتاب والحكمة وهو أولى بهم من أنفسهم ، ومع هذا فهم احرار لم يسترقهم ولم يستعبدهم ، بل كان حكمه فى أمته الأحرار خلاف حكمه فيما ملكته يمينه ، ولو كان المؤمنات ملكا له لجاز أن يطأ كل مؤمنة بلا عقد نكاح ، ولكان لمن علم امرأة آية من القرآن أن يطأها بلا نكاح ، وهذا لا يقوله مسلم .

سئل :

عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، وآمنه يوم الفزع الاكبر » ؟

فأجاب :

أما قوله : « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً » ، وقوله : « من وقر صاحب بدعة أعان على هدم الاسلام » ونحو ذلك ، فهذا الكلام معروف عن الفضيل بن عياض .

والبدعة : ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات . كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية ، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء فى المساجد ، والذين يتعبدون بحلق اللحى وأكل الحشيشة ، وأنواع ذلك من البدع التى يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة ، والله أعلم .

سئل :

عمن سمع رجلا يقول : لو كنت فعلت كذا لم يجر عليك شيء من هذا . فقال له رجل آخر سمعه : هــذه الـكلمة قد نهى النبي صلى الله عليه وسـلم عنها ، وهي كلمة تؤدى قائلها الى الكفر ، فقال رجل آخـر : قال النبي صلى الله عليـه وسلم فى قصة موسى مـع الخضر : « يرحم الله موسى ، وددنا لو كان صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما » واستدل الآخر بقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ـــ الى ان قال : ـــ فان كلمة لو تفتح عمل الشيطان » فهل هذا ناسخ لهذا أم لا ؟

(فأجاب)

الحمد لله . جميع ما قاله الله ورسوله حق ؛ و « لو » تستعمل على وجهين :

(احدهما) على وجه الحزن على الماضي والجزع مـن المقدور ، فهذا هو الذي نهى عنه كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا

كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى : لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) ، وهذا هو الذى نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » أي : تفتح عليك الحزن والجزع ، وذلك بضر ولا ينفع ، بل اعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، كما قال تعالى : (ماأصاب من مصيبة إلا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قالوا : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

(والوجه الثانى) أن يقال : « لو » لبيان علم نافع ، كقوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ، ولبيان محبة الخير وإرادته ، كقوله : « لو أن لي مثل ما لفلان لعملت مثل ما يعمل » ونحوه جائز .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « وددت لو أن موسى صبر ليقص الله علينا من خبرهما » هو من هذا الباب ، كقوله : (ودوا لو تدهن فيدهنون) ، فان نبينا صلى الله عليه وسلم أحب أن يقص الله خبرهما ، فذكرها لبيان محبته للصبر المترتب عليه فعرفه ما يكون لما في ذلك من المنفعة ، ولم يكن فى ذلك جزع ولا حزن ولا ترك لما

يحب من الصبر على المقدور .

وقوله : « وددت لو أن موسى صبر » ، قال النحاة : تقديره وددت أن موسى صبر . وكذلك قوله : (ودوا لو تدهن فيدهنون) تقديره ودوا أن تدهن ، وقال بعضهم : بل هي « لو » شرطية وجوابها محذوف ، والمعنى على التقديرين : معلوم ، وهو محبة ذلك الفعل وإرادته ، ومحبة الخير وإرادته محمود ، والحزن والجزع وترك الصبر مذموم ، والله أعلم .

وسئل :

عن قصة ابليس وإخباره النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مع جماعة من أصحابه ، وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم له عن أمور كثيرة ، والناس ينظرون الى صورته عياناً ، ويسمعون كلامه جهراً ، فهل ذلك حديث صحيح أم كذب مختلق ؟ وهل جاء ذلك في شيء من الصحاح والمسانيد والسنن أم لا ؟ وهل يحل لأحد أن يروى ذلك ؟ وماذا يجب على من يروى ذلك ويحدثه للناس ويزعم أنه صحيح شرعى ؟

(فأجاب) :

الحمد لله . بل هذا حديث مكذوب مختلق ليس هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة ، لا الصحاح ولا السنن ولا المسانيد . ومن علم أنه كذب على النبي صلى الله عليه وسلم لم يحل له أن يرويه عنه ، ومن قال : إنه صحيح فانه يعلم بحاله ، فان أصر عوقب على ذلك ؛ ولكن فيه كلام كثير قد جمع من أحاديث نبوية ، فالذي كذبه واختلقه جمعه من أحاديث بعضها كذب وبعضها صدق ، فلهذا يوجد فيه كلمات متعددة صحيحة ؛ وإن كان أصل الحديث وهو مجيء ابليس عياناً الى النبي صلى الله عليه وسلم بحضرة أصحابه وسؤاله له كذباً مختلقاً لم ينقله أحد من علماء المسلمين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال رحمه الله تعالى

إن كتاب « تنقلات الأنوار » المنسوب الى « أحمد بن عبد الله البكري » من أعظم الكتب كذبا وافتراء على الله ورسوله وعلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد افترى فيه من الأمور من جنس ما افتراه المفترون فى سيرة دلهمة والبطال ، وسيرة عنترة ، وحكايات الرشيد ووزيره جعفر البرمكي ؛ وحكايات العيارين : مثل الزئبق المصرى ؛ وأحمد الدنق ؛ ونحو ذلك . لكن هؤلاء يفترون الكذب على من ليس من الأنبياء ؛ وصاحب الكتاب الذى سماه « تنقلات الأنوار » يفتري الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه ، ويكذب عليه كذبا لا يعرف أن أحداً كذب مثله فى كتاب ، وإن كان فى بعض ما يذكره صدق قليل جداً ، فهو من جنس ما في سيرة عنترة والبطال ، فان عنترة كان شاعراً فارساً من فرسان الجاهلية ، وله شعر معروف ، وقصيدته احدى السبع المعلقات ، لكن افتروا عليه من الكذب ما لا يحصيه الا الله ، وكل من جاء زاد ما فيها من الاكاذيب .

وكذلك أبو محمد البطال كان من أمراء المسلمين المعروفين، وكان المسلمون قد غزوا القسطنطينية غزوتين :

الأولى فى خلافة معاوية ، أمر فيها ابنه يزيد وغزا معه أبو ايوب الأنصارى الذى نزل النبي صلى الله عليه وسلم فى داره لما قدم مهاجراً الى المدينة ، ومات أبو ايوب في تلك الغزوة ودفن الى جانب القسطنطينية وقد روى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « اول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له » .

والغزوة الثانية فى خلافة عبد الملك بن مروان ، امر ابنه مسلمة او خلف الوليد ابنه ، وأرسل معه جيشاً عظيماً وحاصروها وأقاموا عليها مدة سنين ، ثم صالحوهم على أن يدخلوها ، وبنوا فيها مسجداً ، وذلك المسجد باق الى اليوم ، فجاء الكذابون فزادوا فى سيرة البطال وعبد الوهاب من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله ، وذكر دلهمة والقاضي عقبه وأشياء لا حقيقة لها

والبكرى صاحب « تنقلات الأنوار » سلك مسلك هؤلاء المفترين الكذابين ، لكن كذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه أفضل الخلق بعد النبيين أكثر ، وفيه من أنواع الأكاذيب المفتريات وغرائب الموضوعات : ما يجل عن الوصف ، مثل حديث السبع حصون

وهضام بن جحاف ، ومثل حديث الدهر ، ورأس الغول ، وكلندجة ، وغير ذلك من كتبه ، وغير ذلك من ذكر أماكن لا وجود لها ، وغزوات لا حقيقة لها ، وأسماء ومسميات لا يعرفها أحد من أهل العلم ورواية أحاديث تخالف كتاب الله وسنة رسوله واجماع المسلمين ، وتخالف ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وفيها من الأقوال والأفعال المضافة الى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما برأه الله منه ، وهي من جنس أحاديث الزنادقة النصيرية وأشباههم ، الذين يختلقون ما فيه غلو فى علي وغيره ، وفيه من القدح فى دين الاسلام والافساد له ما يوجب اباحة دم من يقول ذلك ، وإن كان جاهلا استتيب ، فان تاب والا قتل .

وأقل ما يفعل بمن يروى مثل هذا أن يعاقب عقوبة تردعه عن مثل ذلك ، وكذلك يستحق العقوبة من يكريها لمن يقرأها ويصدق ما فيها ، ومن ينسخها أيضاً كذلك .

ويجب على أهل العلم اظهار ما يعلمون من كذب هذه وأمثالها ، فكما يجب بيان كذب ما نقل عنه فى الأحاديث كأحاديث البخارى : يجب بيان كذب ما كذب عليه من الأحاديث الموضوعة التى يعلم انها كذب ، كما بين أهل العلم من حال من كان يكذب عليه من الرواة

وبيان ما نقل عنه مـن الـكذب الذي يعلمون انه كـذب ، وكثير من الموضوعات انما يعلم انها موضوعة خواص أهـل العلم بالأحاديث ، وأما مثل ما فى « تنقلات الأنوار » من الأحاديث فهو مما يعلمه من له أدنى علم بأحوال الرسول ومغازيه أنه كذب . وعلى ولاة الأمور عقوبة من يروى هذه او يعين على ذلك بنوع مـن أنواع الاعانة ، ولولي الأمر أن يحرقها ، فقد حرق عثمان رضي الله عنـه كتباً هذه أولى بالتحريق منها ، والله أعلم .

ما تقول السادة العلماء - رضى الله عنهم - اجمعين

فى اناس قصاصين ؟ ينقـلون مغازى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصص الأنبيـاء — عليهـم السلام — تحت القلعة ، وفى الجوامـع والأسواق ، ويقولون : ان النـبي أتى إليه ملك يقال له : حبيب ، فقال له : ان كنت رسول الله فانا نريد أن القمر ليـلة تسع وعشرين يعود وينزل من طوقك ويطلع من أكمامك ، فأراه ذلك ، فآمنوا به جميعهم وقال : كانوا الرب .

ويقولون : إنه اتى إليه ملك يقال له : بشير بن غنام عمـل عليه حيلة وأخذ منه تسع أنفس علقهم على النخل ، فبعث النبى صلى الله عليه وسلم علياً يخلصهم ، وكان من جملتهم خالد .

وأتى إليه ملك وهو فى مكة يقـال له : الملك الدحاق ، وكانت له بنت اسمها حمانة فـكسر النبي صلى الله عليه وسلم وزوج بنته لبلال ، خفقتـله وهو فى الصلاة ، فحط النبي صلى الله عليـه وسلم بردته فأحياه الله له .

وانه بعث المقداد الى ملك يقال له : الملك الخطار فالتقى في طريقه ملكة يقال لها : روضة فتزوج بها ، وراح الى الملك الذي أرسل إليه فاقتتل هو وإياه فأسره ، وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقاتل في غزاة تبوك بولص بن عبد الصليب ، وأنه قاتل فى الأحزاب وكانوا ألوفاً ، وانكسرت الأحزاب قدام علي سبع عشرة فرقة ، وخلف كل واحدة رجل يضرب بالسيف ويقول : أنا علي ـ وليه ـ ضرب عمرو بن العامري فقطع فخذه ، فأخذ عمرو فخذه وضرب بها فى المسلمين فقلع شجرة وقتل بها جماعة منهم ، والملائكة ضجت عند ذلك وقالوا : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي .

وان علياً قاتل الجن فى البئر ورماه بالمنجنيق الى حصن الغراب ، وجاءت رميته ناقصة فمشى في الهواء ، وأنه ضرب مرحب اليهودي وكان على رأسه جرن رخام فقسم له وللفرس نصفين ، وأنه عبر العسكر على زنده الى خيبر وهد الحصن ، وأن ذو الفقار أنزل إليه من السماء ، فان الله سماه من السماء ، وقال : علي اسبق من العجل ، وأنه بعث مع كل نبي سراً وبعث مع النبي جهراً ، وأنه كان عصا موسى وسفينة نوح وخاتم سليمان ، وأنه شرب من سرة النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ، فوزن علم الأولين والآخرين .

وان ملك الموت جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فى زي أعرابي ،

فقال له النبي : قابض أم زائر ؟ فقال له : ما زرت أحداً من قبلك حتى أزورك ، فأعطاه تفاحة فشمها فخرجت روحه فيها ، وان فاطمة بكت عليه حتى أقلقت أهل المدينة حتى أخرجوها الى بيوت الأحزان ، وينقلون قصص الأنبياء من جنس هذا السؤال ، ويفسرونها بآيات لم تسمع من أهل العلم ، وكل واحدة من هذه تحزبوا فيها ليلة .

وكان بعض العلماء قد منعهم من هذا النقل ، وأنهم لا ينقلون إلا من كتب عليها سماعات المشايخ أهل العلم ، فاعتمدوا على كتب فيها من جنس ما ذكر من تصنيف رجل يقال له : البكري ، فما يجب عليهم في مثل هذه الأمور ؟ لأنهم ينقلون ما يخالف ما ثبت عن الرسل عليهم السلام ، وينقلون في بعض الأشياء ما هو تنقيص بهم وهل يثاب من أمر بمنعهم .

وينقلون أيضاً : ان الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلقت ، فخلق الله من كل قطرة نبيا ، وكانت القبضة النبي وبقي كوكب دري ، وكان نوراً منقولا من أصلاب الرجال الى بطون النساء .

فأجاب شيخ الاسلام قدوة الايمان تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، فقال :

الحمد لله رب العالمين . هذه الأحاديث من الأحاديث المفتراة باتفاق أهل العلم ، وإنما تؤخذ مثل هذه الأحاديث من مثل «تنقلات الأنوار» للبكرى وأمثاله ممن روى الأكاذيب الكثيرة .

أما الأول فان القمر لم يدخل فى طوق النبي صلى الله عليه وسلم ولا ثيابه ولا باشر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن انشق فرقتين : فرقة دون الجبل ، وفرقة فوق الجبل .

وكذلك حبيب أبى مالك لا وجود له ، والحديث المذكور عن بشير بن غنام أيضاً كذب ، وهذا الاسم غير معروف . وخالد بن الوليد لم يؤسر أصلا ، بل أسلم بعد الحديبية ، وما زال منصوراً فى حروبه .

وكذلك ما ذكر عن المسمى بالملك الدحاق كذب ، وهذا الاسم لا وجود له فيمن حار به النبي صلى الله عليه وسلم عاش ، ولكن الذين عاشوا بعد الموت فى هذه الأمة كان بينهم طائفة في زمن الصحابة والتابعين ، واما من أحيا الله له دابته بعد الموت من المؤمنين فهؤلاء بعضهم كان من المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من كان بعد موته صلى الله عليه وسلم .

وكذلك ما ذكر عن الملك المسمى بالخطار ، هو من الأكاذيب ولا وجود له . وأما غزاة تبوك فلم يكن بها قتال ؛ بل قدم النبي صلى الله عليه وسلم بالشام رومهم وعربهم وغيرهم ، ولم يجتمع المسلمون في غزاة مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما اجتمع معه عام تبوك ، وهي آخر المغازي ، وأقام بتبوك عشرين يوماً فلم تقدم عليه النصارى.

وكذلك الأحزاب لم يكن فيها إقتتال بين الجيشين ، بل كان الأحزاب محاصرين للمسلمين خارج الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة ، وكان المسلمون داخل الخندق ، وكان فيها مناوشة قليلة بين بعض المسلمين وبعض الكفار بمنزلة المبارزة أو ما يشبهها ، وقتل علي — رضي الله عنه — عمرو بن عبد ود العامري ، ولم تكسر الأحزاب بقتال ، ولا قتل منهم ولا من المسلمين عدد له قدر ، بل أرسل الله عليهم الريح — ريح الصبا — وأرسل الملائكة ، كما قال تعالى فى قصة الأحزاب : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) .. الآيات وما ذكر من كيفية قتل عمرو بن عبد ود العامري فهو كذب ، وكذلك ضرب عمرو بن عبد ود الشجرة بفخذه وقلعها كذب ، ولم يكن هناك شجر وإنما النخيل كان بعيداً من العسكر .

وكذلك ما ذكر من مناداة المنادي بقوله : « لا سيف إلا ذو

الفقار ، ولا فتى إلا علي » كذب مفترى . وكذلك من نقل ان ذلك كان يوم بدر أو غيره ، وذو الفقـار لم يكن سيفاً لعلي ، ولكن كان سيفاً لأبي جهل غنمه المسلمون منه يوم بدر ، وكان سيفاً من السيوف المعدنيـة ، ولم ينزل من السماء سيف ، ولم يكن سيف يطول لا هو ولا غـيره .

وكذلك ما ذكره من قتال الجن ، وان علياً أو غيره من الانس قاتلهم فى بئر ذات العلم أو غيره من الانس ، فهذا كله كذب ، والجن لم تكن لتقاتل الصحابة أصلا ، ولكن الجن الكفار كانوا يقاتلون الجـن المؤمنين ، وأما علي وأمثاله من الصحابة فهم أجل قدراً من أن يثبت الجن لقتـالهم . وقـد ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسـلم قال لعمـر بن الخطـاب : « ما رآك الشيطان سالـكا فجـاً إلا سلك فجاً غير فجك » .

وما ذكر من رمي علي فى المنجنيق ومحاصرة المسمى بحصن الغراب : كله كذب مفترى ، ولم يرم المسلمون قط أحداً فى منجنيق إلى الكفار لا عليا ولا غـيره ، بل ولم ينصب المسلمون على عهـد النبي صلى الله عليـه وسلم منجنيقا إلا على الطائف لما حاصرها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة حنين وهزيمة هوازن ، حاصر الطائف ونصب المنجنيق وأقام عليها شهرا ، ولم تفتح حتى أسلم أهل الطائف بعد ذلك طوعا ، ولما كان

المسلمون يقاتلون مسيلمة الكذاب وأصحابه ألجأوهم إلى حديقتهم ، فحمل الناس البراء بن مالك حتى ألقوه إليهم داخل السور ، ففتح لهم الباب .

وأما قصة مرحب فقد روي فى الصحيح : ان عليا رضي الله عنه قتل مرحبا ، وروي فى الصحيح ان محمد بن مسلمة قتل مرحبا ، وقال بعضهم : بل إحدى الروايتين غلط .

وأما كون البيضة التى على رأسه كانت جرن رخام فكذب ، وكذلك كون الضربة قسمت الفارس وفرسه ونزلت إلى الأرض ؛ فهـذا كله كذب ؛ ولم ينقل مثل هذا أهل العلم بالمغازي والسير ، وإنمـا ينقله الجهال والكذابون .

وأظهر من ذلك عبور العسكر على ساعد علي ومرور البغلة ودعاء علي عليها بقطع النسل ؛ فان هذا وأمثاله إنما يرويه من هو من أجهل الناس بأحوال الصحابة ، ومن هو من أجهل الناس بأحوال الوجود ؛ فان البغلة ما زالت عقيما؛ وعسكر خيبر لم يكن فيه بغلة أصلا ، ولم يكن مع المسلمين بغلة ولا فى المدينة بغلة ولا حولها مـن أرض العرب بغلة ، إلا البغلة التى أهداهـا المقوقس صاحب مصر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أهداها له بعد خيبر ؛ فانه صلى الله عليه وسلم لما صالح أهل الحديبيـة رجع منصرفا

ففتح الله عليهم خيبر ، ثم رجع وأرسل إلى الملوك رسله ، فأرسل إلى كسرى ، وقيصر ، والمقوقس ، وملوك العرب بالشام واليمن واليمامة والمشرق . ولكن المعروف عند أهل العلم ان عليا قلع باب خيبر .

وما ذكر من نزول ذو الفقار من السماء كذب ، وقد تقدم أنه كان سيفاً من سيوف أبي جهل غنمه المسلمون يوم بدر منه ، فأما علي فقد سماه أبوه بهذا الاسم قبل أن يبعث الله محمداً بالنبوة ، وقبل أن يثبت لأحد حكم الاسلام : لا من الرجال ، ولا من الصبيان .

وأما قول القائل : إنه كان عصى موسى وسفينة نوح وخاتم سليمان ، فهذا لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ، وهو بكلام المجانين أشبه منه بكلام العقلاء ، وهذا لا يقصد [احد] مدح علي به إلا لفرط فى الجهل ، فان عليا هو ومن دونه من الصحابة أشرف قدراً عند الله من هذه الجمادات وإن كانت العصى آية لموسى فليس كل ما كان معجزة لنبي أفضل من المؤمنين ، بل المؤمنون أفضل من الطير الذي كان المسيح يصوره من الطين فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، وأفضل من الجراد والقمل والضفادع والدم الذي كان آية لموسى ، وأفضل من العصى والحية ، وأفضل من ناقة صالح . فمن ظن أنه بهذا الكذب والجهل يمدح علياً كان جهله من المدح والثناء من جنس جهله بأن هذه الجمادات لم تكن آدميين قط .

وأما قول القائل : انه شرب من سرة النبي صلى الله عليه وسلم فدرى علم الأولين والآخرين ، فهو أيضاً من الأكاذيب ، فان العلم الذي تعلم علي من النبي صلى الله عليه وسلم كان حاصلا قبل موته ، وما رزقه الله من الفهم والسماع وزيادة العلم بعد موته فلم يكن سببه شرب ماء السرة ، ولا شرب أحد على نبي ولا غير نبي فحصل له بذلك علم أصلا ، ولا كان أحد من الصحابة لا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا غيرهم يعلم علم الأولين والآخرين .

وقد ثبت للصحابة رضي الله عنهم من الفضائل الثابتة في الصحاح ما أغنى الله بها عن أكاذيب المفترين ، مثل قوله الذي صح عنه من غير وجه : « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا » وقوله : « لا يبقين فى المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر » وقوله : « ان أمن الناس علينا فى صحبته وذات يده أبو بكر » وقوله : « أيها الناس ! إنى أتيت إليكم فقلت : إني رسول الله إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ فهل أنتم تاركوا لي صاحبي » وقوله فى مرضه الذي توفى فيه : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » مرة بعد مرة ، ومثل قوله لعائشة : « ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا لأبى بكر لا يختلف الناس من بعدي » ثم قال : « يأبى الله

والمؤمنون إلا أبا بكر » ؛ وأمثال ذلك .

ومثل قوله : « إنه كان فى الأمم قبلكم محدثون ؛ فان يكن فى أمتي أحد فعمر » ، وقوله لعمر : « ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك » ؛ وقوله : « رأيت كأني أتيت باناء من لبن فشربت ثم ناولت فضلي عمر ، قالوا : فما أولته ؟ قال : العلم » ، وقوله : « رأيت كأن الناس يعرضون علي وعليهم قمص ، منها ما بلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض علي عمر وعليه قميص يجره ! قالوا : فما أولته ؟ قال : الدين » ، وقوله : « رأيت كأنى على قليب انتزع منها ، فأخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غربا ، فلم أر عبقريا يفرى فريه ، حتى صدر الناس بعطن » .

وأمثال ذلك ، مثل قوله عن عثمان : « ألا أستحي ممن تستحيي منه ملائكة السماء » ، وقوله : « من يشتري بئر رومة وله الجنة » فاشتراها عثمان ، وقوله فى عثمان لما جهز جيش العسرة : « ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم » ، وقوله يوم بيعة الرضوان لما بايع المسلمين تحت الشجرة : « هذه يدى عن يمين عثمان » ، وكان قد بعثه رسولا الى أهل مكة . وقال ابن عمر : كنا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، ثم عمر ؛ ثم عثمان . وأمثال ذلك .

ومثل قوله عام خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » ، وكان علي غائباً بالمدينة لأنه كان أرمد ، فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح قدم علي فأعطاه الراية حتى فتح الله على يديه ، ولما خرج فى غزوة تبوك بجميع الناس ولم يأذن فى التخلف إلا لأهل العذر واستخلف علياً على المدينة . فطعن فيه بعض المنافقين فلحقه علي وهو يبكي ، وقال : أتخلفنى مع النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ غير أنه لا نبي بعدي » ، وأدار كساءه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال : « اللهم ! هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » ، ولما أراد أن يباهل أهل نجران أخذ عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً وخرج ليباهل بهم ، ولما تنازع علي وجعفر وزيد فى حضانة ابنة حمزة قضى بها لخالتها وكانت تحت جعفر ، وقال لجعفر : « أشبهت خلقي وخلقي » ، وقال لعلي : « أنت منى وأنا منك » ، وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » .

وكذلك قال : « ان الأشعريين إذا أرملوا فى السفر أو قلت نفقة عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان معهم في ثوب واحد ثم قسموه بالسوية هم منى وأنا منهم » .

وقال : « إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح »

وقال : « إن لكل نبي حواريين وحواريي الزبير » .

فهذه الأحاديث وأمثالها فى الصحاح فيها غنية عن الكذب .

وكذلك ما ذكر من إتيان ملك الموت فى صورة أعرابى واعطاؤه إياه تفاحة فشمها هو أيضاً من الكذب ، بل الحديث الطويل الذي روى فى قصة موت النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأنه طرق الباب فخرج إليه واحد بعد واحد ، وأنهم لما عرفوا أنه ملك الموت خضعوا له ؛ هو أيضا من الكذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث . مع أنه قد رواه الطبراني من حديث عبد المنعم بن ادريس عن أبيه من حديث وهب ابن منبه عن ابن عباس ، وعبد المنعم هذا معروف بالأكاذيب .

وكذلك ما ذكر من بكاء فاطمة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى أقلقت أهل المدينة وأخرجوها إلى بيوت الأحزان ، هذا أيضاً من الأكاذيب المفتراة ، وما يروي مثل هذا إلا جاهل أو من قصده أن يسب فاطمة والصحابة رضي الله عنهم ، ينقل مثل هذا الفعل الذي نزه الله فاطمة والصحابة عنه .

وكذلك ما ذكر من «أن الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلقت ، فخلق من كل قطرة نبيا ، وأن القبضة كانت

هى النبي صلى الله عليه وسلم ، وانه بقي كوكب دري » فهذا أيضاً كذب باتفاق أهل المعرفة بحديثه .

وكذلك ما يشبه هذا ، مثل أحاديث يذكرها شيرويه الديلمي فى كتابه « الفردوس » ويذكرها ابن حمويه فى حقائقه مثل كتاب « المحبوب » ونحو ذلك ، مثل ما يذكرون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كوكباً ، أو أن العالم كله خلق منه ، أو أنه كان موجوداً قبل أن يخلق أبواه ، أو أنه كان يحفظ القرآن قبل ان يأتيه به جبريل ؟ وأمثال هذه الأمور ، فكل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته .

والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بل خلق كل واحد من أبويه ونفخ الله فيه الروح ، ولا كان كلما يعلم الله لرسله وأنبيائه بوحيه يأخذونه بواسطة سوى جبريل [بل] تارة يكلمهم الله وحيا يوحيه إليهم ، وتارة يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى بن عمران ، وتارة يبعث ملكا فيوحي باذنه ما يشاء .

ومن الأنبياء من يكون على شريعة غيره ، كما كان أنبياء بني إسرائيل على شريعة التوراة .

وأما كونهم كلهم يأخذون من واحد فهذا يقوله ونحوه أهل

الالحاد من أهل الوحدة والاتحاد : كابن عربي صاحب « الفتوحات المكية » و« الفصوص » وأمثالهما ؛ فانه لما ذكر مذهبه الذى مضمونه أن الوجود واحد ، وان الوجود الخالق هو الوجود المخلوق وان تعددت الأعيان الثابتة فى العدم . قال : وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء ، وما يراه احد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، وما يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى أن الرسل لا يرونه إذا رأوه إلا من مشكاة خاتم الأولياء ، فان الرسالة والنبوة أعنى نبوة التشريع ورسالته ينقطعان ، وأما الولاية فلا تنقطع أبداً ، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرونه إلا من مشكاة خاتم الأولياء .

وساق الكلام إلى أن ذكر أن خاتم الأنبياء موضع لبنة فضة ، وأن خاتم الأولياء موضع لبنتين : لبنة ذهب ولبنة فضة ، فهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه من الأحكام ، لأنه يرى الأمر على ماهو عليه فلا بد أن يراه هكذا ، وهو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن ؛ فانه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسل .

فهذا الكلام ونحوه فيه كثير من الضلال ، مثل دعواه أن جميع الأنبياء والرسل يستفيدون معرفة الله من خاتم الأنبياء ؛ فان هذا كذب .

ومن قال : ان ابراهيم الخليل وموسى وعيسى وغيرهم إنما استفادوا معرفة الله من النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ، بل الله أوحى اليهم وعلمهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن موجوداً حين خلقوا ، والمتقدم لا يستفيد من المتأخر .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » وفى لفظ « كتبت نبياً » : كقوله صلى الله عليه وسلم : « إنى عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته » فان الله بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه كتب واظهر ما سيكون من ذريته ، فكتب نبوة محمد وأظهرها ، كما ثبت فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه أربعين يوما [نطفة] ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات ، فيقال : اكتب رزقه وأجله ؛ وعمله ؛ وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح » ، فقد اخبر صلى الله عليه وسلم أنه بعد ان يخلق بدن الجنين فى بطن أمه وقبل نفخ الروح فيه يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي ام سعيد ؟ فهكذا كتب خبر سيد ولد آدم وآدم منجدل فى طينته قبل ان ينفخ الروح فيه .

وأما قول بعضهم : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » فهذا نقل باطل نقلا وعقلا ؛ فان آدم [ليس] بين الماء والطين ؛ بل الطين ماء وتراب ؛ ولكن كان بين الروح والجسد . فهذا ونحوه فيه

علم الله بالأشياء قبل كونها ، وكتابته إياها ، وإخباره بها ، وذلك غير وجود أعيانها ؛ لأنها لا توجد أعيانها حتى تخلق ، ومن لم يفرق بين ثبوت الشيء فى العلم والكلام والكتاب وبين حقيقته [فى] الخارج ، وكذلك بين الوجود العلمي والعيني : عظم جهله وضلاله .

وأهل العلم قد أعظموا النكبة على من يقول : المعدوم شيء ثابت في الخارج ، وان كان لهؤلاء شبهة عقلية لكونهم ظنوا أن تميزه فى العلم والارادة يقتضي تمييزه في الخارج فانهم أخطأوا فى ذلك ، والتحقيق الفرق بين الثبوت العلمي والعيني ، وأما وجود الأشياء قبل خلقها فهذا أعظم فى الجهل والضلال .

[وأما] دعواه أن الأولياء كلهم حتى الأنبياء يستفيدون من خاتم الأولياء فهذا مخالف للعقل والشرع ؛ فان الأنبياء أفضل من الأولياء ، وخيار الأولياء اتبعهم للأنبياء ، كما كان أبو بكر أفضل من طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين .

وكذلك دعواه أن خاتم الأولياء يأخذ العلم الظاهر من حيث يأخذه النبي ؛ ويأخذ العلم الباطن من المعدن الذي يأخذ منه الملك ما يوحيه الى النبي ؛ فهذا من أعظم الكفر والضلال ، وهو مبنى على قول المتفلسفة الذين يجعلون النبوة فيضاً يفيض على عقل النبي ، ويقولون : ان الملك

هو [ما] يتمثل في نفس النبي من الاشكال النورانية ، فيقولون : ان النبي يأخذ عن تلك الصور الخيالية وهي الملك عندهم ، فمن أخذ المعانى العقلية عن العقل المجرد كان أعظم واكمل ممن يأخذ عن الامثلة الخيالية ، فهؤلاء اعتقدوا أقوال هؤلاء الفلاسفة الملحدين وسلكوا مسلك الرياضة ، فأخذوا يتكلمون بتلك الأمور الالحادية الفلسفية ، ويخرجونها في قالب المكاشفات والمخاطبات .

وما ذكروه من خاتم الاولياء لا حقيقة له ، وان كان قد ذكره الحكيم الترمذي فى كتاب « خاتم الأولياء » فقد غلط فى ذلك الكتاب غلطاً معروفا عند أهل المعرفة والعلم والايمان . وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع .

فهذه الأحاديث وأمثالها مما هو كذب وفرية عند أهل العلم ، لا سيما إذا كانت معلومة البطلان بالعقل ؛ بل متخلية فى العقل ، ليس لأحد أن يرويها ويحدث بها إلا على وجه البيان لكونها كذبا ، كما ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من روى عنى حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » .

وعلى ولاة الأمور أن يمنعوا من التحدث بها فى كل مكان ، ومن أصر على ذلك فانه يعاقب العقوبة البليغة التى تزجره وأمثاله عن الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل بيته ؛ وغيرهم من أهل العلم والدين ، والله اعلم .

وقال رحمه الله

في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « على كل مسلم صدقة » قيـل : أرأيت إن لم يجـد ؟ قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق ، قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قال : قيل له : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير ، قال : أرأيت ؟ ان لم يفعل ، قال : يمسك عن الشر فانها صدقة ».

وفي الصحيحـين عن أبي ذر قال : قلت : يا رسـول الله ! أي الاعمال افضل ؟ قال : « الايمان بالله والجهاد في سبيله » قال : قلت : أي الرقاب أفضل ؟ قال : « أنفسها عند أهلها واكثرها ثمنـاً » قال : قلت : فان لم أفعل ، قال : « تعين صانعاً أو تصنع لأخرق » قال : قلت : يا رسـول الله ! أرأيت إن ضعفت عن بعض العمـل ؟ قال : « تكف شرك عن الناس فانها صدقة منك على نفسك » .

ففي هذا الحديث أنه اوجب الصدقة على كل مسلم ، وجعلها خمس مراتب على البدل : الاولى الصدقة بماله ، فان لم يجـد اكتسب المال

فنفع وتصدق . وفيه دليل وجوب الكسب ؛ فان لم يستطع فيعين المحتاج ببدنه ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يفعل فيكف عن الشر . فالأوليان تقع بمال إما بموجود أو بمكسوب ، والاخريان تقع ببدن إما بيد وإما بلسان .

وفى صحيح مسلم عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » ، ففي هذا الحديث أنه جعل الصدقة الكلمات الأربع . والامر والنهي ، وركعتا الضحى كافيتان .

وفيه عنه أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ! ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة قالوا : يا رسول الله ! أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال :

أرأيتم لو وضعها في حرام أ كان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر » .

قلت : يشبه — والله اعلم — أن يكون قوله : صدقة أي : تقوم مقام الصدقة التى للأغنيـاء ، فيكون الحديث الثـانى مفسرا للأول ، بخلاف حديث أبى موسى فانه موجب للصدقة ، او تكون صدقة نفسه على نفسه ، كما فى حديث أبى ذر المتقدم تكف شرك عن الناس .

وسئل شيخ الاسلام رحمه الله

عن أحاديث يرويها القصاص وغيرهم بالطرق وغيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فأجاب عنها :

منها ما يروون أنه قال : (أدبني ربى فأحسن تأديبي) .

فأجاب : الحمد لله . المعنى صحيح ، لكن لا يعرف له اسناد ثابت .

ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « لو كان المؤمن فى ذروة جبل قيض الله له من يؤذيه أو شيطاناً يؤذيه » .

فأجاب : الحمد لله . ليس هذا معروفا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا » .

فأجاب : الحمد لله . ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يعرف عنه باسناد ، ولكن المؤمن لا بد أن يتيح الله له من الرزق ما يغنيه ، ويمتنع في الشرع أن يحرم على المؤمن مالا بد منه ؛ فان الله

لم يوجب على المؤمنين مالا يستطيعونه ولا حرم عليهم مايضطرون اليه من غير معصية منهم . قاله وكتبه أحمد بن تيمية .

ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم عن الله : « ما وسعني سمائى ولا أرضي ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » .

فأجاب : الحمد لله . هذا مذكور فى الاسرائيليات ، ليس له اسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى « وسعني قلبه » الايمان بى ومحبتى ومعرفتى ، ولا من قال : ان ذات الله تحل فى قلوب الناس فهذا من النصارى خصوا ذلك بالمسيح وحده .

ومما يروونه عنه أيضاً : « القلب بيت الرب » .

فأجاب : الحمد لله . هذا كلام من جنس الاول ، فان القلب بيت الايمان بالله ومعرفته ومحبته ، وليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروونه عنه أيضاً : « كنت كنزاً لا اعرف فأحببت أن اعرف فخلقت خلقاً فعرفتهم بى فعرفونى » .

فأجاب : ليس هذا من كلام الله النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يعرف له اسناد صحيح ولا ضعيف .

ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم : « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :-كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلم مع أبي بكر كنت كالزنجي بينهما » الذي لا يفهم .

فأجاب : الحمد لله . هذا كذب ظاهر لم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث ، ولم يروه الا جاهل أو ملحد .

ومما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » .

فأجاب : هذا حديث ضعيف ، بل موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ، لكن قد رواه الترمذى وغيره ، ومع هذا فهو كذب .

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله يعتذر للفقراء يوم القيامة ويقول ، وعزتى وجلالي ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم علي ، لكن أردت أن أرفع قدركم فى هذا اليوم ، انطلقوا الى الموقف فمن أحسن اليكم بكسرة أو سقاكم شربة من الماء أو كساكم خرقة انطلقوا به الى الجنة » .

فأجاب : الحمد لله . هذا الشأن كذب لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث وهو باطل مخالف للكتاب والسنة بالاجماع .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم : « انه لما قدم المدينة فى الهجرة خرجت بنات النجار بالدفوف وهن يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

الى آخر الشعر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هزوا كرابيلكم بارك الله فيكم » .

فأجاب : أما ضرب النسوة الدف في الزواج فقد كان معروفا على عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما قوله : « هزوا كرابيلكم بارك الله فيكم » فهذا لا يعرف عنه صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون عنه انه قال : « لو وزن ايمان أبي بكر بايمان الناس لرجح ايمان أبي بكر على ذلك » .

فأجاب : الحمد لله . هذا جاء معناه في حديث معروف فى السنن ان ابا بكر رضي الله عنه وزن هذه الامة فرجح .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « اللهم انك أخرجتني من أحب البقاع الي فاسكني فى أحب البقاع إليك » .

فأجاب : الحمد لله . هذا باطل ، بل ثبت في الترمذي وغيره انه قال لمكة : « والله إنك لأحب بلاد الله الى الله ، وقال : انك لأحب البلاد الي » ، فأخبر انها احب البلاد الى الله وإليه .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم : « من زارني وزار أبي ابراهيم في عام واحد دخل الجنة » .

فأجاب : الحمد لله . هذا حديث كذب موضوع ، ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم : « فقراؤكم » .

فأجاب : الحمد لله . هذا اللفظ ليس مأثوراً ، لكن معناه صحيح وان الفقراء موضع الاحسان إليهم فبهم تحصل الحسنات .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم : « البركة مع أكابركم » .

فأجاب : الحمد لله ، قد ثبت فى الصحيح من حديث جبير انه قال : « كبر ، كبر » أي : يتكلم الاكبر ، وثبت من حديث الامامة انه قال : « فان استووا — أي فى القراءة والسنة والهجرة — فليؤمهم اكبرهم سناً » .

ومما يروون أيضاً : « الشيخ فى قومه كالنبي فى أمته » .

فأجاب : الحمد لله ، ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما يقوله بعض الناس .

ومما يروون أيضاً : « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا » .

فأجاب : الحمد لله . هذا مأثور عن بعض السلف وهو كلام صحيح .

ومما رووا عن علي رضي الله عنه : ان اعرابياً صلى ونقر صلاته فقال له علي : لا تنقر صلاتك ، فقال له الاعرابي : لو نقرها أبوك ما دخل النار .

فأجاب : الحمد لله . هذا كذب ، ورووه عن عمر وهو كذب .

ومما يروون عن عمر رضي الله عنه أنه قتل أباه .

فأجاب : هذا كذب ؛ فان أبا عمر رضي الله عنه مات فى الجاهلية قبل أن يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ، وكنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين » .

فأجاب : الحمد لله . هذا اللفظ كذب باطل ، ولكن اللفظ المأثور الذي رواه الترمذي وغيره انه قيل : يا رسول الله ! متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » ، وفى السنن عن العرباض بن سارية انه قال : « اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته » .

ومما يروون أيضاً : « العازب فراشه من النار ، ومسكين رجل بلا امرأة ، ومسكينة امرأة بلا رجل » .

فأجاب : الحمد لله . هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولم أجده مرويا ولم يثبت .

ومما يروون أن ابراهيم عليه السلام لما بنى البيت صلى فى كل ركن ألف ركعة فأوحى الله تعالى إليه : يا إبراهيم ! أفضل من هذا سد جوعة أو ستر عورة .

فأجاب : الحمد لله . هذا كذب ظاهر ليس هو فى شيء من كتب المسلمين.

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « اذا ذكر ابراهيم وذكرت أنا فصلوا عليه ثم صلوا علي ، واذا ذكرت أنا والأنبياء غيره فصلوا علي ثم صلوا عليهم » .

فأجاب : الحمد لله . هذا لا يعرف من كتب أهل العلم ولا عن أحد من العلماء المعروفين بالحديث .

وىما يروون عنه صلى الله عليه وسلم : « من أكل مع مغفور له غفر له » .

فأجاب : الحمد لله . هذا ليس له اسناد عن أهل العلم ولا هو فى شيء من كتب المسلمين ، وانما يروونه عن سالم ، وليس معناه صحيحاً على الاطلاق ، فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون .

ومما يروون أيضاً : « من أشبع جوعة أو ستر عورة ضمنت له الجنة » .

فأجاب : الحمد لله . هذا اللفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون : « لا تكرهوا الفتن ؛ فان فيها حصاد المنافقين » .

فأجاب : الحمد لله . هذا ليس معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون : « سب أصحابي ذنب لا يغفر » .

فأجاب : رحمه الله : هذا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .

ومما يروون : « من علم أخاه آية من كتاب الله فقد ملك رقه » .

فأجاب : الحمد لله . هذا كذب ليس فى شيء من كتب أهل العلم .

ومما يروون عنه : « آية من القرآن خير من محمد وآله » .

فأجاب : الحمد لله . القرآن كلام الله منزل غير مخلوق فلا يشبه بالمخلوقين ، واللفظ المذكور غير مأثور .

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا من العرب وليس العرب مني » .

فأجاب : الحمد لله . هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون عنه أيضاً : « اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين » .

فأجاب : هذا يروى لكنه ضعيف لا يثبت ، ومعناه أحيني خاشعا متواضعاً ، لكن اللفظ لم يثبت .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « اذا سمعتم عنى حديثاً فاعرضوه على الكتاب والسنة ، فان وافق فارووه ، وان لم يوافق فلا » .

فأجاب : الحمد لله . هذا مروى ولكنه ضعيف عن غير واحد من الأئمة كالشافعي وغيره .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « يا علي ! اتخذ لك نعلين من حديد وافنهما فى طلب العلم ولو بالصين » .

فأجاب : الحمد لله . ليس هذا ولا هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « يقول الله تعالى « لا قونى بنياتكم ولا تلاقونى بأعمالكم » .

فأجاب : الحمد لله . ليس هذا اللفظ معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من قدم ابريقاً لمتوضىء فكأنما قدم جواداً مسرجا ملجوما يقاتل عليه فى سبيل الله .

فأجاب : هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يعرف في شيء من كتب المسلمين المعروفة .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم : « يأتى على أمتى زمان ما يسلم بدينه الا من يفر من شاهق الى شاهق » .

فأجاب : الحمد لله . هذا اللفظ ليس معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حسنات الابرار سيئات المقربين » .

فأجاب : الحمد لله . هذا كلام بعض الناس ، وليس هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : «ستروا من أصحابى هدنة : القاتل والمقتول فى الجنة » .

فأجاب : الحمد لله . هذا اللفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون عنه : « اذا وصلتم الى ما شجر بين أصحابى فامسكوا واذا وصلتم الى القضاء والقدر فأمسكوا » .

فأجاب : الحمد لله . هذا مأثور باسناد منقطع ، وماله اسناد ثابت .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم : « اذا كثرت الفتن فعليكم بأطراف اليمن » .

فأجاب : الحمد لله . هذا اللفظ لا يعرف .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « من بات فى حراسة كلب بات فى غضب الرب » .

فأجاب : الحمد لله . هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم : « انه أمر النساء بالغنج لأزواجهن عند الجماع » .

فأجاب : ليس هذا عنه صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كسر قلباً فعليه جبره » .

فأجاب : الحمد لله . هذا أدب من الآداب ، وهذا اللفظ ليس معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثير من الكلام يكون صحيحاً

لكن يمكن أن يقال من الرسول صلى الله عليه وسلم مالم يقدح ، اذ هذا اللفظ ليس بمطلق فى كسر قلوب الكفار والمنافقين اذ به اقامة الملة .

والله أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين .

آخر المجلد الثامن عشر

فهرس المجلد الثامن عشر

الصفحة	الموضوع
	اهدكم » .
١٧١ ـ ١٧٨	الهدى أربعة أقسام ، الاستطاعة .
١٧٥ ، ١٧٦	(فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) الايات .
١٧٤ ـ ١٧٧	من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها .
١٧٧ ، ١٧٨	(واتقوا الله ويعلمكم الله) .
١٧٨ ـ ١٨٥	فصل واما قوله « يا عبادى كلكم جائع الى قوله أكسكم » فيقتضى أصليين .
١٧٩ ـ ١٨٣	وجوب التوكل على الله فى الرزق وغيره ، والاخذ بالاسباب . غلط طوائف فى هذا .
١٨٢	(وتزودوا فان خير الزاد التقوى)
١٨٥ ـ ١٩٢	فصل واما قوله « يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار الى قوله اغفر لكم » .
١٨٥ ـ ١٩٢	المغفرة العامة نوعان .
١٨٦ ـ ١٨٩	تقبل توبة كل أحد ولو كان مبتدعا ، توبة القاتل ومن ظلم غيره أو اغتابه .
١٨٨ ـ ١٩٠	هل تقبل توبة الزنديق والمحارب ومن فعل جريمة ثم رفع الى الامام .
١٩٠ ، ١٩١	لا تقبل توبة من غرغر .
١٩٠ ، ١٩١	(الان وقد عصيت قبل) الاية (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا) .
١٩١ ١٩٢	آية الزمر فى حق التائبين .
١٩٢ ١٩٣	فصل واما قوله « يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى » .
١٩٤	فصل قوله « يا عبادى الى قوله ما نقص ذلك من ملكى شيئا » .
١٩٥	قوله « لو ان اولكم الى قوله ادخل البحر » .
١٩٦ ـ ٢٠١	فى قوله « لم ينقص مما عندى » قولان . هل لفظ النقص على بابه فى قوله « لم ينقص مما عندى ام انه كلفظ النقص فى حديث موسى والخضر .
١٩٨ ، ١٩٩	(ثم أورثنا الكتاب) (وورث سليمان داود) .
٢٠٢ ـ ٢٠٩	فصل قوله « يا عبادى انما هى أعمالكم الخ »

الصفحة | الموضوع

٢١٠ـ٢٤٤ «شرح حديث عمران بن حصين»

الصفحة الموضوع

٢٤٤-٢٨٥ «شرح حديث انما الاعمال بالنيات»

الصفحة الموضوع

الصفحة	الموضوع
٣٥٨	قولهم ان القمر دخل فى طوق النبى الخ من الاكاذيب وانه أتى اليه ملك يقال له حبيب واخر يقال له بشير بن غنام وآخر يقال له الدهاق الخ .
٣٥٩	ما ذكروه عن الملك المسمى بالخطار .
٣٥٩	لم يكن فى غزوة تبوك ولا فى الاحزاب قتال ، سبب انهزامهم يوم الاحزاب .
٣٥٩ ـ ٣٦٢	ما ذكره من صفة قتل عمرو بن عبدود الخ كذب وكذلك قوله « لا سيف الا ذو الفقار الخ » .
٣٦٠	قتال على أو غيره للجن كذب ، لم ينصب المسلمون المنجنيق الا على الطائف .
٣٦١	قصة قتل مرحب ، قولهم ان البيضة التى على رأسه كانت جرن رخام وان الضربة قسمت الفارس وفرسه ونزلت الى الارض كذب .
٣٦١ ، ٣٦٢	ومن الكذب قولهم ان العسكر عبر على ساعد على ومرت البغلة فدعا عليها ، على قلع باب خيبر .
٣٦٣	قول القائل انه شرب من سرة النبى فروى علم الاولين والاخرين .
٣٦٣ ـ ٣٦٥	ما ثبت للخلفاء الاربعة وسائر الصحابة من الفضائل يغنيهم عن هذه الاكاذيب .
٣٦٦	ما ذكره فى قصة موت النبى وانه أتاه الملك فى صورة أعرابى الخ كذب .
٣٦٦	ما ذكره من بكاء فاطمة على النبى حتى أقلقت أهل المدينة الخ كذب .
٣٦٦	ما ذكره ان الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر اليها فعرقت ودلقت فخلق من كل قطرة نبيا الخ .
٣٦٧	ما ذكر « ان النبى كان كوبا ... الخ » كذب .
٣٦٧ ـ ٣٦٩	قولهم ان الانبياء كلهم يأخذون من واحد الخ .
٣٦٩	حديث « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » وفى لفظ « كتبت نبيا » الخ .
٣٦٩ ، ٣٧٠	ما روى « وآدم بين الماء والطين » باطل ، خاتم الاولياء .

الصفحة	الموضـــوع
٣٨٠	ومنها « العازب فراشة من النار ومسكين رجل بلا امرأة ومسكينة امرأة بلا رجل » .
٣٨٠	ومنها ما يروون ان ابراهيم لما بنى البيت صلى فى كل ركن الف ركعة فاوحى الله اليه يا ابراهيم أفضل من هذا سد جوعة أو ستر عورة « اذا ذكر ابراهيم وذكرت أنا فصلوا عليه ثم صلوا على واذا ذكرت انا والانبياء غيره فصلوا على ثم صلوا عليهم » .
٣٨١	ومنها « من أكل مع مغفور له غفر له » « من أشبع جوعة أو ستر عورة ضمنت له الجنة .
٣٨١	ومنها « لا تكرهوا الفتن فان فيها حصاد المنافقين » « سب أصحابى ذنب لا يغفر » .
٣٨١	ومنها « من علم أخاه آية من كتاب الله فقد ملك رقه » « آية من القرآن خير من محمد وآله » .
٣٨٢	« أنا من العرب وليس العرب منى » « اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا ... الخ » .
٣٨٢	« اذا سمعتم عنى حديثا فاعرضوه على الكتاب والسنة فان وافق فاروه وان لم يوافق فلا » .
٣٨٢	« يا على اتخذ لك نعلين من حديد وافنهما فى طلب العلم ولو بالصين » .
٣٨٣	« يقول الله تعالى لاقونى بنياتكم ولا تلاقونى بأعمالكم » « من قدم ابريقا لمتوضىء فكأنما قدم جوادا مسرجا ملجوما يقاتل عليه فى سبيل الله » .
٣٨٣	ومنها « يأتى على أمتى زمان ما يسلم بدينه الا من يفر من شاهق الى شاهق » « حسنات الابرار سيئات المقربين » .
٣٨٣	« ستروا من أصحابى هدنة القاتل والمقتول فى الجنة » .
٣٨٤	ومنها « اذا وصلتم الى ما شجر بين أصحابى فامسكوا واذا وصلتم الى القضاء والقدر فامسكوا » « اذا كثرت الفتن فعليكم بأطراف اليمن » .
٣٨٤	ومنها « من بات فى حراسة كلب بات فى غضب الرب » « أنه أمر النساء بالغنج لازواجهن عند الجماع » « من كسر قلبا فعليه جبره » .